الجامع الوافي لفضائل الإسلام

تأليف

أبو إسلام أحمد بن علي

غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

حقوق المؤلف

حقوق الترجمة لأي لغة عالمية وحقوق الطبع والنشر والنسخ والنقل والتوزيع مكفولة للجميع ولجميع كتبي المنشورة من قبل والتي ستنشر إن شاء الله تعالى مستقبلاً إن أحيانا الله تعالى ، بشرط عدم التبديل والتغيير في الكتب ولا في أي جزء منها من أول الغلاف إلى آخر صفحة منها .

(نسأل الله تعالى حسن النية وقبولها كعلم ينتفع به بعد مماتنا ... آمين)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٩٣ في صحيح الجامع.

‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘

إعداد

طبيب بيطري/ أحمد علي محمد علي مرسي

الشهير بـــ / أبو إسلام أحمد بن علي

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية

ahmedaly240@hotmail.com

ahmedaly2407@gmail.com

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

وبعد :

قال تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِندَاللّهِ **الإِسْلاَمُ** وَمَااخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْالْكِتَابَإِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُالْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِاللّهِ فَإِنَّاللّهِ سَرِيعُالْحِسَابِ }آل عمران١٩

وقال تعالى{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ **الإِسْلاَمِ** دِيناًفَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَالْخَاسِرِينَ}آل عمران٨٥

وقال تعالى .{الْيَوْمَأَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْوَأَتْمَمْتُعَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ **الإِسْلاَمَ** دِيناً..}المائدة٣

وقال تعالى {فَمَن يُرِدِ اللّهُأَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ **لِلإِسْلاَمِ** وَمَن يُرِدْأَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }الأنعام١٢٥

وقال تعالى أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ **لِلإِسْلاَمِ** فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌلِّلْقَاسِيَةِقُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِاللَّهِ أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ }الزمر٢٢

وقال تعالى {فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ**أَسْلَمْتُ** وَجْهِيَلِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْالْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ **أَأَسْلَمْتُمْ** فَإِنْ**أَسْلَمُواْ**فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَاعَلَيْكَالْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌبِالْعِبَادِ }آل عمران٢٠

وقال تعالى {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّاخَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِأَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَيُتِمُّ نِعْمَتَهُعَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ **تُسْلِمُونَ** }النحل٨١

فالإسلام هو دين الله في الأرض منذ آدم إلى يوم القيامة وهذا الدين هو الذي جاء به الرسل كلهم وهم متفقون في كلياته وقد تختلف الشرائع في بعض الجزئيات ولكنه يجب في كل عصر اتباع الرسول المبعوث أو الرسل المبعوثين في ذلك العصر مع الإيمان بالأنبياء الآخرين ومحبتهم وتقديرهم جميعا وعدم التفريق بينهم وعدم الإيمان ببعض والكفر ببعض، وقد وصف الله تعالى المتمسكين بدينه الحق بالإسلام سواء كانوا أنبياء أو أتباع الأنبياء:

١- فقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم ويعقوب أوصيا بالموت على الإسلام، وأن إبراهيم كان من المسلمين، وذلك حيث يقول تعالى في شأن إبراهيم إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُأَسْلِمْ قَالَأَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{١٣١} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّإِلاَّوَأَنتُم مُّسْلِمُونَ{١٣٢}البقرة

٢- وأخبر أن بني يعقوب أقروا على أنفسهم بالإسلام فقال{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }البقرة١٣٣

٣- وأخبر أن إبراهيم وإسماعيل كانا يقولان في دعائهما {رَبَّنَاوَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَوَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْعَلَيْنَا إِنَّكَأَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة١٢٨

٤- وقد وصف إبراهيم بالإسلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية، فقال {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُيَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاًوَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماًوَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران٦٧

٥- وأخبر أن سحرة فرعون بعد إسلامهم دعوا الله تعالى فقالوا {وَمَا تَنقِمُ مِنَّاإِلاَّأَنْ آمَنَّا بِآيَاتِرَبِّنَالَمَّا جَاءتْنَارَبَّنَاأَفْرِغْعَلَيْنَا صَبْراًوَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ }الأعراف١٢٦

٦- وأخبر أن نوحا عليه السلام قال في خطابه لقومه {فَإِنتَوَلَّيْتُمْ فَمَاسَأَلْتُكُم مِّنْأَجْرٍ إِنْأَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىاللّهِ وَأُمِرْتُأَنْأَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }يونس٧٢

٧- وأخبر أن موسى عليه السلام قال في خطابه لبني إسرائيل {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ }يونس٨٤

٨- وأخبر أن سليمان عليه السلام قال في رسالته لسبأ {أَلاَّتَعْلُواعَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ }النمل٣١

٩- ووصف سبحانه وتعالى بيت لوط بالإسلام، فقال فيهم {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ }الذاريات٣٦

١٠- وأخبر تعالى أن الحواريين أشهدوا عيسى على إسلامهم، فقال {فَلَمَّاأَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْأَنصَارِي إِلَىاللّهِ قَالَالْحَوَارِيُّونَ نَحْنُأَنصَارُاللّهِ آمَنَّابِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }آل عمران٥٢

فالإسلام بمعناه العام الذي هو الاستسلام لله تعالى وإفراده بالعبادة وهو دين جميع الأنبياء.

وفي كتابنا هذا جمعنا لكم جميع فضائل الإسلام من التوحيد إلى العبادات إلى الآداب ومحاسن الأخلاق التي أمر بها الإسلام وذكرنا باختصار ما نهى عنه الإسلام .

نبتهل إلى الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، عسى أن ينفع به وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن نعي ونتأسى ونتبع سنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فإنها خير الطريق إلى جنة الخلد بإذن الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إعداد

أبو إسلام أحمد بن علي

الفهرس

حقوق المؤلف.....٢

مقدمة.....٣

الفهرس.....٥

لماذا الإسلام هو دين الحق ؟

أولا : لأن المسلم يعبد إلها واحدا لا شريك له ١٠

ثانيا: آثار العبادات الإسلامية على نفس المسلم

١- الصلاة.....١٤

٢- الزكاة ١٦

٣- الصيام ٢١

٤- الحج ٢٧

ثالثا: أنّ الإسلام قد أمر بكلّ خير ونهى عن كلّ شرّ وأمر بسائر الآداب ومحاسن الأخلاق مثل:

١- الصّدق ٣٢

٢- والحلم والأناة ٣٨

الفهرس

٣- الرفق ٤٤
٤- التواضع ٥٢
٥- الحياء ٥٨
٦- الوفاء بالعهد ٦٩
٧- الوقار والرزينة ٧٩
٨- الرحمة ٨٩
٩- العدل ٩٩
١٠- الشّجاعة ١٠٤
١١- الصّبر ١١١
١٢- الألفة ١١٩
١٣- القناعة ١٢٥
١٤- العفّة ١٢٩
١٥- الإحسان ١٣٨
١٦- السّماحة ١٥٥

الفهرس

١٧- الأمانة ١٦٥

١٨-الشكر على المعروف ١٧١

١٩- كظم الغيظ ١٧٩

٢٠- بر الوالدين ١٨٨

٢١- صلة الرّحم ١٩٣

٢٢- إغاثة الملهوف ١٩٩

٢٣- الإحسان إلى الجار ٢٠٢

٢٤- حفظ مال اليتيم ورعايته ٢٠٧

٢٥- رحمة الصغير ٢١٠

٢٦- احترام الكبير ٢١٣

٢٧-الرّفق بالخدم ٢١٥

٢٨- الرفق بالحيوانات ٢٢٠

٢٩- إماطة الأذى عن الطريق ٢٢٥

٣٠- الكلمة الطيبة ٢٢٧

الفهرس

٣١- العفو ٢٣١
٣٢- نصيحة المسلم لأخيه المسلم ٢٤٠
٣٣- قضاء حوائج المسلمين ٢٤٨
٣٤- إنظار المعسر ٢٥٤
٣٥- الإيثار ٢٦٠
٣٦- المواساة ٢٦٧
٣٧- التعزية ٢٧١
٣٨- التبسّم في وجوه الناس ٢٨١
٣٩- عيادة المريض ٢٨٥
٤٠- نصرة المظلوم ٢٩٠
٤١- الهديّة بين الأصحاب ٢٩٥
٤٢- إكرام الضّيف ٣١٣
٤٣- معاشرة الزوجة بالمعروف ٣٢٠
٤٤- الإنفاق على الزوجةو الأولاد ٣٢٤

الفهرس

٤٥- إفشاء السّلام ٣٢٦

٤٦- الاستئذان ٣٣١

رابعا : مانهى الإسلام عنه ٣٣٥

ختـــــــــــــــام ٣٤٧

؛؛

لماذا الإسلام هو دين الحق ...؟

أولا : لأن المسلم يعبد إلها واحدا لا شريك له

له الأسماء الحسنى والصفات العلى فتتوحّد وجهة المسلم وقصده ويثق بربّه وخالقه ويتوكل عليه ويطلب منه العون والنّصر والتأييد.

- وهو يؤمن بأنّ ربه على كلّ شيء قدير.

- لا يحتاج إلى زوجة ولا ولد .

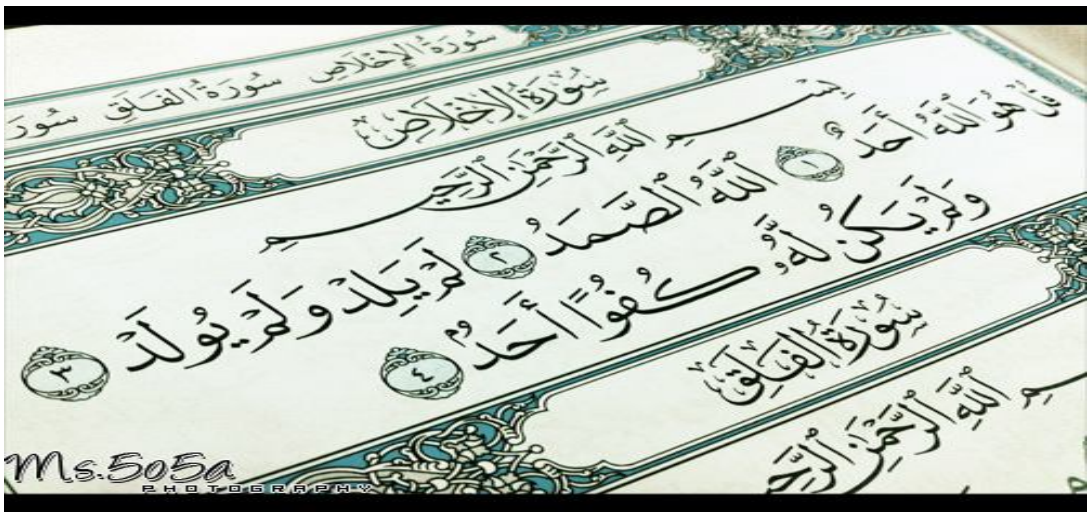

- خلق السموات والأرض .

- وهو المحيي المميت.

- الخالق الرازق فيطلب العبد منه الرزق .

- السميع المجيب فيدعوه العبد ويرجو الإجابة .

- التواب الغفور الرحيم فيتوب إليه العبد إذا أذنب وقصّر في عبادة ربّه .

- العليم الخبير الشهيد الذي يعلم النيات والسرائر وما في الصّدور فيستحيي العبد أن يقترف الذّنب بظلم نفسه أو ظلم الخلق لأنّ ربّه مطّلع عليه وشاهد .

-وهو يعلم أنّ ربّه حكيم يعلم الغيب فيثق في اختيار الربّ له وقدره فيه وأنّ ربّه لم يظلمه وأنّ كلّ قضاء قضاه له فهو خير وإن غابت الحكمة عن العبد .

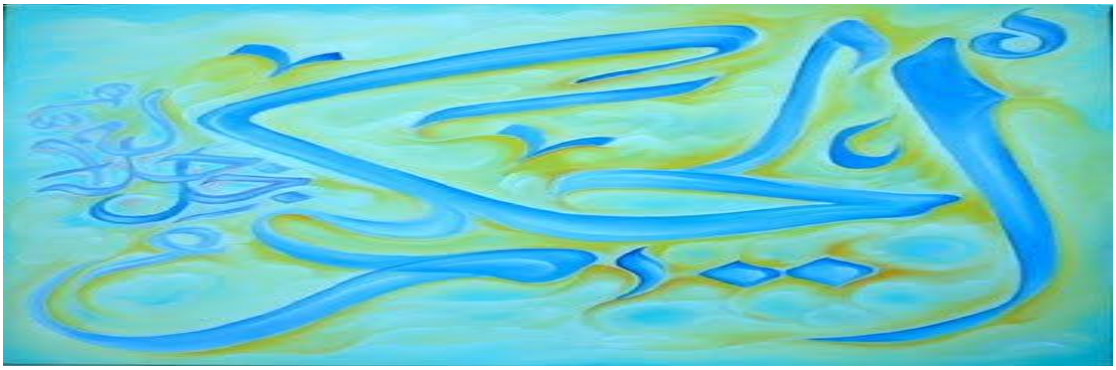

ثانيا: آثار العبادات الإسلامية على نفس المسلم

١- الصلاة :

هي الركن الثاني من أركان الإسلام.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

وقوله أيضاً: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله).

- والصلاة واجبة على كل مسلم، بالغ، عاقل، ذكر كان أو أنثى.

- وقد فرضت الصلاة في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى يثرب في السنة الثالثة من البعثة النبوية، وذلك أثناء رحلة الإسراء والمعراج.

- في الإسلامتؤدى الصلاة خمس مرات يومياً فرضا على كل مسلم بالغ عاقل خالي من الأعذار، بالإضافة لصلوات تؤدى في مناسبات مختلفة مثل صلاة العيد وصلاة الجنازة وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف وصلاة التراويح في شهر رمضان المعظم وصلاة التهجد.

- والصلاة هي وسيلة مناجاة بين العبد وربّه. صلة بينه وبين ربّه إذا دخل فيها بخشوع أحسّ بالسكينة والطمأنينة والرّاحة لأنّه يأوي إلى ركن شديد وهو الله عزّ وجلّ .

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أرحنا بالصلاة يابلال .

وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

وكلّ من وقعت له مصيبة فجرّب الصلاة أحسّ بمدد من الصّبر وعزاء عمّا أصابه ذلك لأنّه يتلو كلام ربّه في صلاته وأثر تلاوة كلام الربّ لا يُقارن بأثر قراءة كلام مخلوق وإذا كان كلام بعض الأطبّاء النفسانيين فيه راحة وتخفيف فما بالك بكلام من خلق الطبيب النّفساني .

;;;

٢- الزكاة

قال تعالى : (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)البقرة٤٣

فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة.

الزَّكاةُ : البَرَكة والنَّماءُ.

و الزَّكاةُ : الطَّهارةُ.

و الزَّكاةُ : الصَّلاح.

و الزَّكاةُ : صفوةُ الشيءِ.

و الزَّكاةُ شرعاً : حِصّةٌ من المال ونحوه يوجب الشرعُ بذلها للفقراءِ ونحوهم بشروط خاصة .

ومصطلح الزكاة مشتق في اللغة العربية من كلمة "زكا"، والتي تعني النماء والطهارة والبركة. وسميت الزكاة لأنها تزيد في المال الذي أخرجت منه، وتقيه الآفات، كما قال ابن تيمية: نفس المتصدق تزكو، وماله يزكو، يَطْهُر ويزيد في المعنى.

أما تعريفها اصطلاحاً :

- فهو الجزء المخصص للفقير والمحتاج من أموال الغني، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

- وهي أحد أركان الإسلام فإنها تطهير للنّفس من الشحّ والبخل وتعويد على الكرم ومساعدة للفقراء والمحتاجين وأجر ينفع يوم القيامة كبقيّة العبادات ، ليست باهظة وإنما في كلّ ١٠٠٠ يدفع ٢٥ فقط يؤديها المسلم الصادق عن طواعية نفس لا يتهرّب منها حتى ولو لم يلاحقه أحد .

تجب الزكاة في الأنواع التالية

- الأنعام : الإبل والبقر والغنم وبعض العلماء أوجبها في الخيول كذلك.

- الخارج من الأرض: كالحبوب والثمار والزروع المقتاتة حالة الاختيار.

-الذهب والفضة والمعدن والركاز منهما وما راج رواجهما في التعامل كالعملة الورقية والحلي .

- أموال التجارة.

** ولكن لا تجب الزكاة في أدوات الإنتاج مثل المباني والآلات والسيارات والمعدات والأراضى التي ليس الغرض بيعها والمتاجرة فيها.

** ولا تجب قبل بلوغ النصاب وحولان الحول إلا في المعدن فإنها تجب حالا بعد تنقيته من التراب وفي الركاز فإنها تجب حالا إن بلغ النصاب.

- والنصاب هو المقدار المعين من المال الذي لا تجب الزكاة في أقل منه وتختلف قيمة النصاب حسب نوع المال.

نصاب الزكاة وقدر الإخراج

- أول نصاب الزكاة في **الإبل** : خمسة ويخرج عنها شاة عمرها سنة (جذعة ضأن).

- أول نصاب **البقر** : ثلاثون ويخرج عنها ذكر أو أنثى من البقر عمرها سنتان.

- أول نصاب **العملات الورقية** : هو ما يكافئ (٨٥)غراماً تقريباً من الذهب الخالص ويتغير بتغير قيمة العملة.

- ونسبة زكاة **الثروة النقدية** ٢,٥% سنويًا.

مصارف الزكاة:

مصارف الزكاة ثمانية، حددها الله في الآية التالية من القرآن الكريم :

(إِنَّمَا الصَّدُقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة ٦٠

الفقراء: والفقير هو من لا يجد كفايته.

المساكين: والمسكين من يجد كفايته بالكاد وقد لا تسد حاجته.

العاملون عليها: وهم العمال القائمين على شأن الزكاة حيث أن الزكاة في الإسلام نظام كامل متكامل يتطلب من يقوم على تطبيقه والتفرغ التام له، ومن ثم أجاز الشارع الحكيم لهؤلاء العاملين عليها أن يؤجروا منها، أي من أموال الزكاة التي يتم جمعها.

المؤلفة قلوبهم : وهم نوعان، النوع الأول هم من دخلوا في الإسلام من غير أن يرسخ الإيمان في قرارة نفوسهم،والنوع الثاني من يريد الإسلام أن يستميلهم، أو على الأقل أن يكفوا أذاهم عن المسلمين.

وفي الرقاب: وهم العبيد والإماء المكاتبون أي الذين اتفقوا مع من يملكونهم على أن يتم تحريرهم نظير مبلغ معين فتجوز الزكاة لهم حتى يصبحوا أحراراً.

الغارمون: والغارم هو الذي تراكمت عليه الديون، فيأخذ من الزكاة ما يفي دينه.

في سبيل الله: وهم المجاهدون المتطوعون وليس معناه كل عمل خيري، فلا يشمل عمل الرابطة أو الجمعية ولا أمثالها. وبالتالي لا يجوز صرفه في نشاطاتها ونفقاتها.

ابن السبيل:

وابن السبيل هو المسافر الذي قد يكون نفد ماله وهو في مكان غير بلده فيعطى ما يكفيه للعودة إلى بلده.

مقارنة بين الزكاة والضرائب

الزكاة	الضرائب
الزكاة فريضة إسلامية .	الضريبة يفرضها القانون.
تأديتها عبادة لله وتنجي الفرد من عذاب الآخرة .	تأديتها انقياد للقانون حتى لايعاقب في الدنيا.
لا يمكن التهرب من آدائها لأن الله يراقب العباد .	الضرائب يمكن للمرء التهرب منها.
تصل مباشرة من الأغنياء للفقراء.	فقد يتهرب منها الأغنياء ويجبر على دفعها الفقراء.
يؤديها المسلم مقبل عليها وهو طائع لذلك فهي تبعث في نفسه السعادة .	يؤديها الفرد وهو مجبر تحت سطوة القانون لذلك تزيد من الضغوط النفسية عليه مما يزيد من مخاطر الأمراض النفسية
لا تؤدي الزكاة إلى هذا المرض الاقتصادي الخطير وهو التضخم وزيادة المستوى العام للأسعار.	تساهم في صناعة التضخم وهو زيادة المستوى العام للأسعار.
تؤخذ من الأغنياء وبالتالي تقوم الزكاة بدور اجتماعي واقتصادي إيجابي.	يقوم بتحملها الفقراء وليس الأغنياء فتقوم الضرائب بدور سلبي.

؛؛

٣- الصيام :

فامتناع عن الطعام والنكاح عبادة لله وشعورا بحاجة الجائعين والمحرومين وتذكيرا بنعمة الخالق على المخلوق وأجر بلا حساب .

معناه في اصطلاح الشرع هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس، مع نية التقرّب من الله بالشروط التي وضعها الشرع، وهذا التعريف متفق عليه بين الحنفية؛ والحنابلة، أما المالكية والشافعية فإنهم يزيدون في آخره كلمة "بنيّة" فالنية محل خلاف.

فرض الله الصوم على المسلمين في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة .وقيل انه في شهر شعبان منها. فثبوته بالكتاب يتجلى في قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، لعلكم تتقون).

وأما ثبوته في السنة النبوية فيتجلى في قول رسول الإسلام (إن الإسلام بنى على خمس :شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت) فهو واجب على كل مسلم بالغ عاقل ويستثنى من ذلك المريض والمسافر على أن يقضوا ما فاتهم لاحقا.

للصوم فوائد منها :

١- تعويد النفس على الصبر.

٢- ترويض النفس على التعب والمشقة.

٣-أن فيه فرصة للأغنياء أن يعطوا إخوانهم الفقراء

فضل الصوم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ايمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه (رواه أبو هريرة).

كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالي: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي .للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل : إني امرؤ صائم.

روى عن أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه) لذلك لا بد من تجديد التوبة في هذا الشهر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر).

حكمة الصيام:

١- الإنسان تحكمه عاداته، ويصل به الأمر إلى أن يصبح مجموعة من العادات، فتتحكم فيه إلى درجة فيعدو معها، كأنه آلة من الآلات فيبتعد عن المرونة التي تفرق بينه وبين الآلات. والإنسان الذي تحكمه عاداته : يصبح عبدا لها وفرض الله الصيام لتحرير الإنسان من هذه العبودية، فإن الصيام يعلم الإنسان نوعا من المرونة، حتى لا يتصرف تصرف الآلة.

٢- يشير المرحوم فريد وجدى إلى فائدة الصيام من الناحية الطبية ففى عهد أبقراط علم الناس بأنه ينقى الجسم من سموم الأغذية، فإن المواد الحيوانيه تحتوى على مواد دهنية الإكثار منها يؤدى إلى

إصابه الإنسان بآفات مرضية ومن ثم فالصيام ذو تأثير بالغ في تخفيف الأعراض التي تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة.

٣- فرض الله الصيام ليحس الغنى بألم الجوع، فيحسن على الفقير، وبذلك يتم العطف والمودة، وينشأ عنهما تماسك المجتمع.

٤- فرض الله الصيام لتقوية العزيمة وتهذيب للنفس وتدريب المسلم على الصبر.

عن سهل بن سعد، عن النبى (إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم. يقال أين الصائمون فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، اغلق فلا يدخل منه أحد)صححه الألباني.

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم) أخرجه أحمد وغيره وصححه ابن حبان .

الأعذار المبيحة للفطر

هناك بعض الأعذار تبيح الفطر في رمضان على أن يقوم المفطر بالقضاء، أي أن يصوم بدلاً من الأيام التي فطرها، ويجب عليه انهاؤها قبل حلول رمضان الثاني. ولا يشترط أن يصومها متصلة بل يجوز له أن يفرقها.فإذا حل عليه رمضان الثاني قبل اتمامها فيكون عليه الفدية وهي :

إطعام مسكين عن كل يوم أفطره والفدية مقدارها وجبتين كاملتين من أوسط ما يأكله ويجوز إعطائه للمسكين قيمتها. ونذكر فيما يلي الأعذار المبيحة للفطر:

المرض :إذا لحق بالصائم مرض شديد أو خاف من زيادة مرضه إذا صام سواء بتفاقم المرض أو زيادة مدته؛ فيكون له أن يفطر، ويحدد هذا الأمر الطبيب.

السفر: لمسافة لا تقل عن ٨٤ كم، فإذا تضرر المسافر من الصيام فله أن يفطر.

الحيض والنفاس.

الرضاعة والحمل: إذا كان الصوم يضر بالحامل أو المرضع أو الطفلفلها أن تفطر أيضاً على أن تقضي أو تخرج الفدية كما أسلفنا البيان.

كبر السن : إذا لم يطق العجوز الصيام أو لحق به مشقة فله أن يفطر ويخرج الفدية.

العمل الشاق :للصائم الذي لا يجد سبيلاً آخر للرزق مثل الفعلة أو عمال المناجم له أن يفطر ولكن عليه الفدية.

مبطلات الصيام:

يبطل الصيام إذا قام المسلم أو المسلمة بأي من :

١- الأكل.

٢- الشرب.

٣- الجماع.

٤- مايقوم مقام الأكل والشرب مثل الأبر المغذية.

٥- إنزال المني بشهوة بفعل الإنسان.

٦- القيئ العمد.

٧- الحجامة.

٨- خروج دم الحيض أو النفاس.

صيام التطوع

١- صيام ستة أيام من شوال:

وعن أبي أيوب الأنصاري أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر (رواه مسلم).

٢- صيام تسع ذي الحجة وتأكيد يوم عرفة لغير الحاج:

حديث أبي قتادة مرفوعا :(صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضيه ومستقبله وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية) رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي.

٣- صيام المحرم وتأكيد صوم عاشوراء ويوم قبلها ويوم بعدها:

حدثنا سهل بن أبي سهل ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما فقال ما هذا قالوا هذا يوم أنجى الله فيه موسى وأغرق فيه فرعون فصامه موسى شكرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه(صححه الألباني).

حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب أن إسماعيل بن أمية القرشي حدثه أنه سمع أبا غطفان يقول سمعت عبد الله بن عباس يقول حين صام النبي صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمرنا بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان العام المقبل صمنا يوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم(صححه الألباني).

٤- صيام أكثر شعبان:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم أكثر شعبان، قالت عائشة رضي الله عنها :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان) صححه الألباني.

٥- صيام الأشهر الحرم:

الأشهر الحرم :ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ،وسميت بذلك لأنها يحرم فيها القتال. حديث أبي هريرة مرفوعا:(أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم) رواه مسلم.

٦- صيام يومي الاثنين والخميس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين فيقول أخروهما (صححه الألباني).

٧- صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال أنبأنا الفضل بن موسى عن فطر عن يحيى بن سام عن موسى بن طلحة عن أبي ذر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة (حسنه الألباني).

٨- صيام يوم وفطر يوم:

حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما (متفق عليه).

؛؛؛

٤- الحج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا).

والحج فرض عين على كل مسلم قادر لما ذكر في القرآن:

قال الله تعالى :

وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ{٢٧}الحج

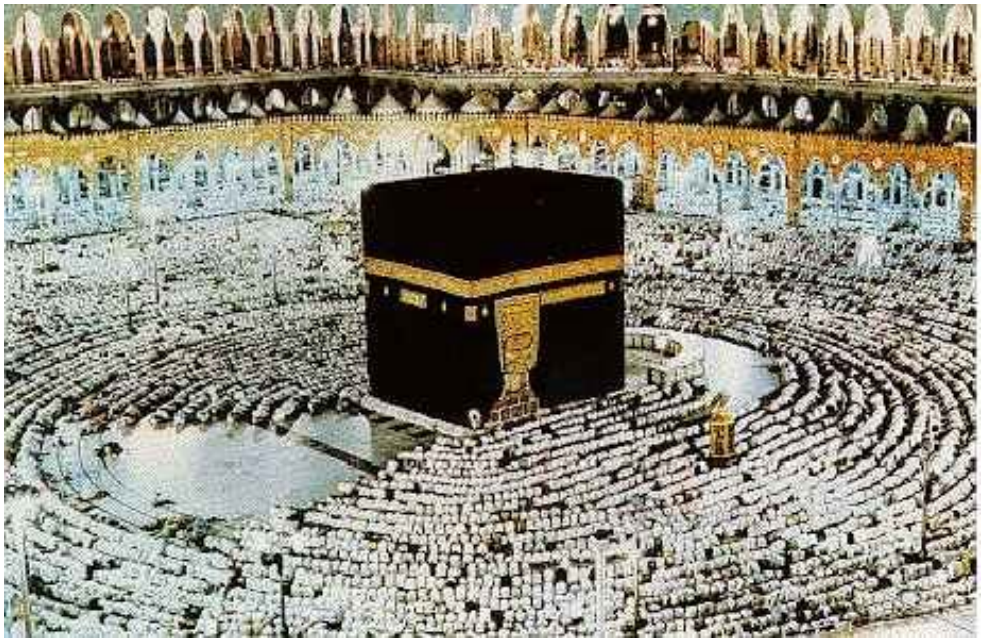

والحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة فقط.

تبدأ مناسك الحج في شهر ذي الحجة بأن يقوم الحاج بالإحرام من مواقيت الحج المحددة، ثم التوجه إلى مكة لعمل طواف القدوم، ثم التوجه إلى منى لقضاء يوم التروية ثم التوجه إلى عرفة لقضاء يوم عرفة، بعد ذلك يرمي الحاج الجمرات في جمرة العقبة الكبرى، ويعود الحاج إلى مكة لعمل طواف

الإفاضة، ثم يعود إلى منى لقضاء أيام التشريق،ويعود الحاج مرة أخرى إلى مكة لعمل طواف الوداع ومغادرة الأماكن المقدسة.

الحج طقس ديني موجود من قبل الإسلام، إذ يعتقد المسلمون أنه شعيرة فرضها الله على أمم سابقة مثل الحنيفية أتباع ملة النبي إبراهيم، ذكر في القرآن:

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }الحج٢٦

فكان الناس يؤدونها أيام النبي إبراهيم ومن بعده، لكنهم خالفوا بعض مناسك الحج وابتدعوا فيها،وذلك حين ظهرت الوثنية وعبادة الأصنام في الجزيرة العربية على يد عمرو بن لحي.

وقد قام النبي بالحج مرة واحدة فقط هي حجة الوداع في عام ١٠هـ، وفيها قام النبي بعمل مناسك الحج الصحيحة، وقال:

(خذوا عني مناسككم) كما ألقى النبي خطبته الشهيرة التي أتم فيها قواعد وأساسات الدين الإسلامي.

فرض الحج في السنة التاسعة للهجرة.

ويجب على المسلم أن يحج مرة واحدة في عمره،فإذا حج المسلم بعد ذلك مرة أو مرات كان ذلك تطوعا منه، فقد روى أبو هريرة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال:

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال:

(إن الله عز وجل قد فرض عليكم الحج فقال رجل في كل عام فسكت عنه حتى أعاده ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قمتم بها ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بالشيء فخذوا به ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) صححه الألباني.

شروط الحج خمسة :

الشرط الأول: الإسلام بمعنى أنه لا يجوز لغير المسلمين أداء مناسك الحج.

الشرط الثاني : العقل فلا حج على مجنون حتى يشفى من مرضه.

الشرط الثالث :البلوغ فلا يجب الحج على الصبي حتى يحتلم.

الشرط الرابع : الحرية فلا يجب الحج على المملوك حتى يعتق.

الشرط الخامس: الاستطاعة بمعنى أن الحج يجب على كل شخص مسلم قادر ومستطيع.

فضل الحج

وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن فضل أداء مناسك الحج وعن الثواب الذي يجنيه المسلم جراء أداء هذا الركن من أركان الإسلام ومن أبرز هذه الأحاديث:

١- وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة. (رواه الترمذي والنسائي) .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور . (متفق عليه) .

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: سمعت رسول الله يقول من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه(صححه الألباني).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (متفق عليه) .

٥- أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة (رواه النسائي بإسناد حسن).

٦- وما ورد في صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ألا نخرج فنجاهد معك فإني لا أرى عملا في القرآن أفضل من الجهاد قال لا ولكن أحسن الجهاد وأجمله حج البيت حج مبرور.

٧- وما ورد في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: أن رسول الله قال :ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة.

أنواع الحج

ينقسم الحج من حيث طبيعة المناسك إلى ثلاثة أنواع هي:

حج التمتع :

ويعني أن الحاج ينوي أولا أداء العمرة وذلك في الأيام العشرة الأوائل من شهر ذو الحجة، ثم يحرم بها من الميقات، ويقول: (لبيك بعمرة)، ويتوجه الحاج بعد ذلك إلى مكة، وبعد الوصول لمكة يتم المحرم مناسك العمرة من الطواف والسعي، ثم يتحلل من الإحرام بالتقصير، ويحل له كل شيء حتى النساء، ويظل كذلك إلى يوم الثامن من ذي الحجة فيحرم بالحج ويؤدي مناسكه من الوقوف بعرفة وطواف الإفاضة، والسعي وسواه،فيكون قد أدى مناسك العمرة كاملة ثم أتبعها بمناسك الحج كاملة أيضا. ويشترط لصحة التمتع أن يجمع بين العمرة والحج في سفر واحد، وفي أشهر الحج، وفي عام واحد.

حج القران :

ويعني أن ينوي الحاج عند الإحرام الحج والعمرة معا فيقول: (لبيك بحج وعمرة)، ثم يتوجه إلى مكة ويطوف طواف القدوم، ويبقى محرما إلى أن يحين موعد مناسك الحج، فيؤديها كاملة من الوقوف بعرفة، ورمي جمرة العقبة، وسائر المناسك، وليس على الحاج أن يطوف ويسعى مرة أخرى للعمرة بل يكفيه طواف الحج وسعيه، وذلك لما ورد في صحيح مسلم أن رسول الله قال لعائشة: طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك.

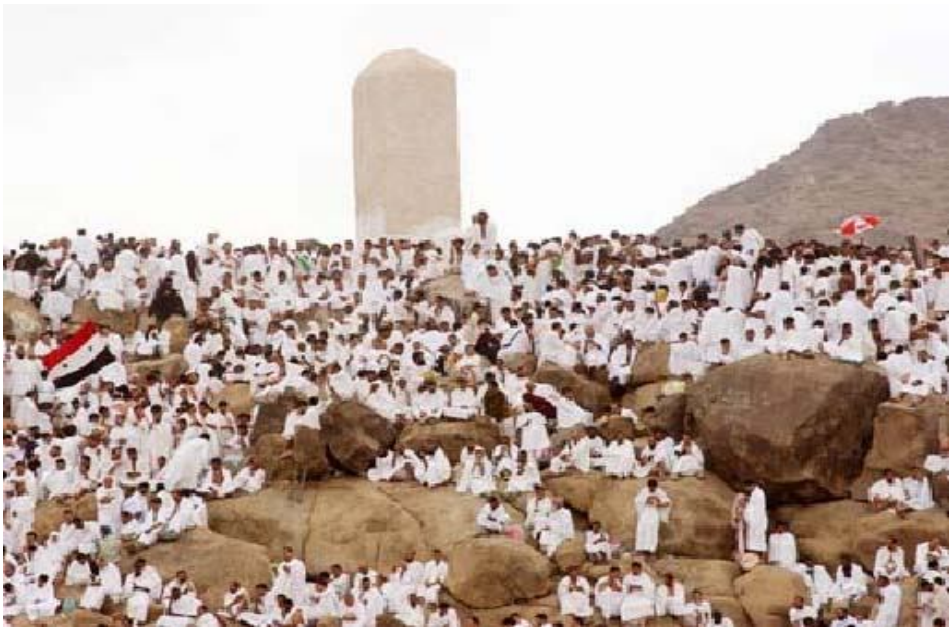

حج الإفراد :

ويعني أن ينوي الحاج عند الإحرام الحج فقط ويقول:(لبيك بحج) ثم يتوجه إلى مكة ويطوف طواف القدوم، ويبقى محرما إلى وقت الحج، فيؤدي مناسكه من الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة، ورمي جمرة العقبة، وسائر المناسك،حتى إذا أنهى المناسك بالتحلل الثاني خرج من مكة وأحرم مرة أخرى بنية العمرة - إن شاء - وأدى مناسكها.

؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛

ثالثا : أنّ الإسلام قد أمر بكلّ خير ونهى عن كلّ شرّ

وأمر بسائر الآداب ومحاسن الأخلاق مثل:

١- الصّدق :

الصدق من أجَلِّ الأخلاق وأعظمها، وهو منبع كثير من الفضائل الخلقية حيث يتشعب منه الأمانة والعفة والوفاء والشجاعة وغيرها، وهو غير قاصر على صدق القول بل يشمل صدق الفعل والحال.

وكما قال المحاسبي: الصدق في ثلاثة أشياء لا يتم إلا بها :

١- صدق القلب بالإيمان تحقيقاً.

٢- وصدق النية في الأعمال.

٣- وصدق اللفظ في الكلام.

وصدق الحال أن يتطابق ما بين ظاهر المرء وباطنه، فلا يكون مرائيًا أو متظاهرًا بما ليس حقيقة واقعة فقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :المتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور(صححه الألباني).

الصدق في الكتاب والسنة

- **وصدق الفعل** : هو مطابقة فعل الإنسان لقوله، فإن وعد وفى، وإن استعد لأمر أمضاه. وكذب الفعل أشنع من كذب القول؛ لأنه يظهر فيه القصد والعمد بشدة كما فعل إخوة يوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب.

- وقد وردت مخالفة الفعل للقول في معرض التحذير والذم فقال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاتَفْعَلُونَ }الصف٢

- **وصدق القول** : هو الأشهر والأظهر، فكل قول خالف الحقيقة فهو كذب فقال تعالى : {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىاللّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ }يونس٦٩

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصدق فقال :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَآمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ }التوبة١١٩

ووعدهم بأجزل المثوبة عليه فقال:{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءأَوْ يَتُوبَعَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }الأحزاب٢٤

وبيّن لهم أن عاقبته في الدنيا خير فقال :{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ }محمد٢١

ونوَّه بأثره في الآخرة فقال: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }المائدة١١٩

والصدق هو الخُلق الذي اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته حتى لُقِّب بالصادق الأمين.

- وقد أوضح عليه الصلاة والسلام آثار كل من الصدق والكذب النفسية فقال :دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة (صححه الألباني) .

- فالصادق :

مطمئن النفس منشرح الصدر عالم بأنه أخبر بالحق ونطق بالصدق فلا يخشى أن ينكشف شيء على خلاف ما قاله، وعنده توافق بين ظاهره وباطنه فلا تناقض ولا تعارض.

بينما الكاذب :

يكون في شك وحيرة واضطراب فلا هو مطمئن ولا متوافق مع نفسه لأنه يعلم أنه قال أو فعل خلاف الحق، ولا هو مرتاح في تعامله مع الآخرين، لخوفه أن ينكشف أو يفتضح أمره.

وإضافة لذلك بيّن عليه الصلاة والسلام مآل كل الصادق والكاذب فقال :

إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتي يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا(صححه الألباني)

كما بيّن أثرهما في التعامل بين الناس فقال شأن المتبايعين فقال صلى الله عليه وسلم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما (صححه الألباني).

-عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم .رواه أحمد(صححه الألباني) .

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه . رواه أبو داود (حسنه الألباني).

- وعن أبي محمد الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما قال :

حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة رواه الترمذي (صححه الألباني).

- عن أبي سفيان صخر بن حرب ، رضي الله عنه:

في حديثه الطويل في قصة هِرَقْل ، قال هرقل :فماذا يأمركم - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - قال أبو سفيان : قلت : يقول: أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقولوا آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة (متفق عليه).

والصدق مع الناس يكون بهذه الأفعال :

(١) صدق الحال :بعدم المخادعة بالمظاهر الكاذبة والأحوال الزائفة بل كن معهم كما أنت على حقيقتك في بساطتك، وبحسب قدرتك وإمكانياتك.

(٢) الصدق في القول : فلا تروج عليهم كذبًا، ولا تنشر بينهم شائعة، بل أصدقهم القول، وتحّر الصواب فيما تخبرهم به، وتثبت فيما تنقله إليهم ؛ فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع . رواه مسلم.

(٣) النصح والإخلاص لهم : وذلك بأن تحرص على تحصيل مصالحهم وجلبها لهم، وأن تعمل على تعطيل مفاسدهم وتدفعها عنهم، فكن لهم أصدق من يَدّلهم على الخير، ويكشف لهم الشر، فإنهم أقرب إليك، وأدنى منك وأحب عندك، فاصدقهم فيما ينفعهم، وكن معهم فيما فيه الخير.

(٤) والزوجة يضاف في الصدق معها، مكاشفتها ببعض الهموم، وإطلاعها على بعض الأسرار، وإشراكها في بعض الطموحات والآمال، وذلك بحسب ما تراه نافعاً ومفيداً، فإن الزوجة شريكة الحياة، وشعورها بمدى الثقة بها يقربها إليك، ويعظم صلتها بك.

أقوال السلف عن الصدق :

١- قول عمر رضي الله عنه: عليك بالصدق وإن قتلك.

٢- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق أحب إليّ من أن يرفعني الكذب.

٣- وقال الحسن البصري: إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة.

٤- قال يوسف بن أسباط: ما صدق الله عبد إلا صنع له.

٥- وقال أحمد بن حنبل: لو وضع الصدق على جرح لبرأ.

٦- وقال عبدالواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله بالعمل.

٧- وقال بشر الحافي: من عامل الله بالصدق، استوحش من الناس.

٨- وقيل هو: موافقة السر النطق.

٩- وقيل هو: استواء السر والعلانية - يعني أن الكاذب علانيته خير من سريرته كالمنافق الذي ظاهره خير من باطنه.

١٠- وقيل: الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة.

١١- وقيل: كلمة الحق عند من تخافه وترجوه.

١٢- وقال بعضهم: من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت. قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق.

١٣- وقيل: من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق، والباطل.

١٤- وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

قصص عن الصدق :

١- يحكى أن رجلا كان يعصي الله -سبحانه- وكان فيه كثير من العيوب ، فحاول أن يصلحها، فلم يستطع ، فذهب إلى عالم ، وطلب منه وصية يعالج بها عيوبه ، فأمره العالم أن يعالج عيبًا واحدًا وهو الكذب ، وأوصاه بالصدق في كل حال ، وأخذ من الرجل عهدًا على ذلك ، وبعد فترة أراد الرجل أن يشرب خمرًا فاشتراها وملأ كأسًا منها ، وعندما رفعها إلى فمه قال : ماذا أقول للعالم إن سألني : هل شربتَ خمرًا ؟ فهل أكذب عليه ؟ لا ، لن أشرب الخمر أبدًا.

وفي اليوم التالي ، أراد الرجل أن يفعل ذنبًا آخر ، لكنه تذكر عهده مع العالم بالصدق . فلم يفعل ذلك الذنب ، وكلما أراد الرجل أن يفعل ذنبًا امتنع عن فعله حتى لا يكذب على العالم ، وبمرور الأيام تخلى الرجل عن كل عيوبه بفضل تمسكه بخلق الصدق.

٢- ويحكى أن طفلا كان كثير الكذب ، سواءً في الجد أو المزاح ، وفي إحدى المرات كان يسبح بجوار شاطئ البحر وتظاهر بأنه سيغرق، وظل ينادي أصحابه: أنقذوني أنقذوني... إني أغرق ، فجرى زملاؤه إليه لينقذوه فإذا به يضحك لأنه خدعهم ، وفعل معهم ذلك أكثر من مرة.

وفي إحدى هذه المرات ارتفع الموج ، وكاد الطفل أن يغرق ، فأخذ ينادي ويستنجد بأصحابه ، لكنهم ظنوا أنه يكذب عليهم كعادته ، فلم يلتفتوا إليه حتى جري أحد الناس نحوه وأنقذه ، فقال

الولد لأصحابه : لقد عاقبني الله على كذبي عليكم ، ولن أكذب بعد اليوم ، وبعدها لم يعد هذا الطفل إلى الكذب مرة أخري.

؛؛؛

٢- والحلم والأناة :

الحلم خلق من أخلاق الإسلام العظيمة، والذي يتمثل في تريث الإنسان وتثبته في الأمر، ويعني الأناة وضبط النفس. وهو ضبط إرادي للانفعال في مواجهة إساءات الآخرين، ابتغاء وجه الله.

وهذا الضبط الإرادي يعطي الحليم الفرصة للتفكير الهادئ والتقدير السديد لتلك الإساءات، فيقرر بطريقة سليمة خلقيًّا ودينيًّا أن يقابلها بمثلها، أو يعفو عنها.

الحلم في الكتاب والسنة:

وقد ورد في الكتاب والسنة في فضل هذه الخليقة وحسنها والحث على تحصيلها وترتيب آثارها عليها.

١- قال الله تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) آل عمران ١٣٤

٢- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء) رواه أبو داود.

٣- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لا تغضب ولك الجنة)رواه الطبراني .

الحلم من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المسلم في حياته، اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب الأدب والخلق الرفيع. وكذلك نجد نماذج كثيرة ممن اقتدوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صفة الحلم والصفح عبر الأزمنة.

أقوال السلف عن الحلم والإناة :

١- بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:أيها النَّاس، أيَّتها الرعية إنَّ لنا عليكم حقًّا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيَّتها الرعاة إنَّ للرعيَّة عليكم حقًّا فاعلموا أنَّه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، ليس جهل أبغض إلى الله، ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنَّه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه.

٢- وروي أنَّ عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية: أما بعد: فإنَّ التفهم في الخبر زيادة رشد، وإنَّ الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أوكاد أن يكون مصيبًا وإن العَجِل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا، وأن من لا ينفعه الرِّفق يضره الخرق، ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي.

٣- وعن عروة بن الزبير قال: كان يقال: الرِّفق رأس الحكمة.

٤- وعن الشعبي قال: غُشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته فسمَّى ابنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردت لي يا بُنية؟ قالت: الرِّفق، قال. يا بنية، إنَّما طلبت الرِّفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)، وفي رواية: إنَّما طلبت الرِّفق لتعبي.

٥- وقال سفيان لأصحابه: تدرون ما الرِّفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها؛ الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه.

٦- قال وهب بن منبه: الرِّفق ثني الحلم.

٧- وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال: الرِّفق يمن، والخرق شؤم.

٨- وعن حبيب بن حجر القيسيِّ قال: كان يقال: ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرِّفق.

٩- وقال ابن القيم: من رَفَقَ بعبادِ الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه.

١٠- وقال ابن حجر: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرِّفق، إلا عجز وانقطع فيغلب.

١١- وقال أبو حاتم: الواجب على العاقل لزوم الرِّفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفَّة فيها، إذ الله تعالى يحب الرِّفق في الأمور كلها، ومن منع الرِّفق منع الخير ،كما أنَّ من أعطي الرِّفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب، إلا بمقارنة الرِّفق ومفارقة العجلة.

١٢- وقال أيضًا: العاقل يلزم الرِّفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأنَّ الزيادة على المقدار في المبتغى عيبٌ، كما أنَّ النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرِّفق لم يصلحه

العنف، ولا دليل أمهر من رفق، كما لا ظهير أوثق من العقل، ومن الرِّفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز ترجى السلامة، وفي ترك الرِّفق يكون الخرق، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة.

قصص في الحلم والإناة :

١-كان عمر بنعبد العزيز الخليفة الراشدي الخامس حليمًا صفوحًا، يتطاول عليه الرجل فلا يجيبه، فيقال لعمر: ما يمنعك منه؟ فيجيب: إن التقى مُلْجِمٌ.

وحدث ذات ليلة، خرج الخليفة عمر بن عبد العزيز ليتفقد أحوال رعيته ومعه الحارس، فدخلا مسجدًا وكان المسجد مظلمًا، فتعثر عمر برَجُلٍ نائم، فرفع الرجل رأسه وقال له: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا. وأراد الحارس أن يضرب الرجل، فقال له عمر: لا تفعل، إنما يسألني: أمجنون أنت؟ فقلت له: لا. هكذا بكل بساطة، صحيح أن السؤال مصحوب بانفعال، ولكن جواب الخليفة الحليم كان خاليًا منه.فقد سبق حلم الخليفة غضبه، فتقبل ببساطة أن يصفه رجل من عامة الناس بالجنون، ولم يدفعه سلطانه وقوته إلى البطش به .

فمن اتصف بهذه الصفة ألا وهي صفة الحلم فقد يحبه الله ورسوله؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه).

٢-كان الصحابي الجليل الأحنف بن قيس شديد الحلم، حتى صار يُضرَب به المثل في ذلك الخلق، فكان يقال: أحلم من الأحنف.

٣- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأشج عبد القيس: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة).

ويحكى أن رجلا شتم الأحنف فلم يرد عليه ومشى في طريقه، فتبعه الرجل وهو يزيد في شتمه، فلما اقترب الأحنف من الحي الذي يعيش فيه وقف وقال للرجل: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله قبل أن يسمعك أحد من الحي فيؤذيك.

٤-ويحكى أيضا: أن قوما بعثوا إليه رجلا ليشتمه، فصمت الأحنف ولم يتكلم، واستمر الرجل في شتمه حتى جاء موعد الغداء، فقال له الأحنف: يا هذا إن غداءنا قد حضر فقم معي إن شئت، فاستحيا الرجل ومشى.

٥-كان زيد بن سعنة حبرًا مثل عبد الله بن سلام، عرف أوصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد رأيته في محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا أنني لم أعرف من العلامات علامتين: الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا قال: فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يومًا من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فاستوقفه رجل، فقال: يا رسول الله! إن قومي من بني فلان في قرية كذا قد دخلوا الإسلام، وقد وقع بهم شدة، وكنت قد وعدتهم إن دخلوا في الإسلام أن يأتيهم رزقهم رغدًا، وأخشى اليوم أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا في الإسلام طمعًا، فإن رأيت أن تغيثهم بشيء من المال فعلتَ، وجزاك الله خيرًا، فالتفت النبي عليه الصلاة والسلام إلى علي وكأنه يريد أن يسأله عن مال، فقال علي: والله ما بقي منه شيء يا رسول الله.قال زيد بن سعنة: فانطلقت إلى النبي صلى

الله عليه وسلم فقلت: يا محمد! بعني تمرًا معلومًا في حائط بني فلان إلى أجلٍ معلوم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسم حائط بني فلان، قال: قبلت، قال: فأعطيت النبي ثمانين مثقالا من ذهب، فدفعها كلها إلى هذا الرجل، وقال: أغث به قومك، وانطلق.

قال: فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يومًا يصلي على جنازة، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فجلس إلى جوار جدار في المدينة من شدة الحر، قال زيد بن سعنة: فانطلقت إليه وأنا مغضب، وأخذت النبي من مجامع ثوبه، وقلت له: أدِّ ما عليك من حق يا محمد، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مطلًا، يعني: في سداد الحق - تصور هذا المشهد وسط الصحابة! - فانقض عمر - رضوان الله عليه - وقال: يا عدو الله! تقول هذا لرسول الله، وتفعل به ما أرى!؟ والله لولا أني أخشى غضبه لضربت رأسك بسيفي هذا، فماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: يا عمر، والله لقد كان من الواجب عليك أن تأمرني بأداء الحق، وأن تأمره بحسن الطلب، خذه يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمرٍ جزاء ما روعته.

فأخذه عمر - رضوان الله عليه - فأعطاه حقه وزاده عشرين صاعًا من تمر؛ فقال له زيد بن سعنة: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله أن أدفعها لك جزاء ما روعتك، قال له: ألا تعرفني يا عمر؟ قال: لا أعرفك، قال: أنا زيد بن سعنة، قال: حبر اليهود؟ قال: نعم، قال: وما الذي حملك أن تفعل برسول الله ما فعلت، وأن تقول له ما قلت؟

قال: يا عمر لقد نظرت في علامات النبوة؛ فوجدت كل العلامات فيه، لكنني أردت أن أختبر فيه هاتين العلامتين: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهالة عليه إلا حلمًا، وهأنذا قد جربتهما اليوم فيه؛ فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق بشطر ماله للفقراء والمساكين، وجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه معظم الغزوات، وقتل شهيدًا مقبلًا غير مدبر في غزوة تبوك.

فمن اتصف بهذه الصفة فهو يصون علاقاته مع أهله، وجيرانه، وزملائه، وشركائه، وكل من يتعامل معه، وكلما زادت سلطاته وقدراته ونفوذه كان حلمه أنفع له ولمن يحكم.

؛؛؛

٣- الرفق :

إن الرفق يعني لين الجانب بالقول والفعل، واللطف في اختيار الأسلوب وانتقاء الكلمات، وطريقة التعامل مع الآخرين، وترك التعنيف والشدة والغلظة في ذلك، والأخذ بالأسهل.

والرفق عام يدخل في كل شيء. تعامل الإنسان مع نفسه، ومع أهله، ومع أقاربه، وأصحابه، ومع من يشاركه في مصلحة أو جوار، وحتى مع أعدائه وخصومه، فهو شامل لكل الأحوال والشئون المناسبة له.

إن استعمال الرفق في الأمور يؤدي إلى أحسن النتائج وأطيب العواقب، ويبارك الله في هذا السلوك وينفع به. أما استعمال العنف والشدة والغلظة فتفسد الأمور وتصعبها على أصحابها، وتجعل النتائج عكسية، ويحرم الخير من ترك الرفق، وترفع البركة في عمله، ويصعب عليه الأمر.

كما أن الرفق له أثر حسن في التأليف بين القلوب والإصلاح بين المتخاصمين، وهداية الكفار واستياقهم إلى حظيرة الإسلام والبركة في الرزق والأجل.

الرفق في الكتاب والسنة:

١- قال الله تعالى :

اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى{٤٤}طه

٢- قال الله تعالى:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْوَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران١٥٩

و يقول تعالى :

٣- {مُّحَمَّدٌرَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ..}الفتح٢٩

فليست الرجولة والمروءة في ترك الرفق واستعمال العنف والشدة في سائر الأحوال، ويخطئ من يظن أن استعمال الرفق ينقص من قدر الإنسان، أو يكون علامة على ضعف الإنسان وخوره في طلب الحقوق، لأن سلوك الرفق لا يقتضي ترك المطالبة بالحق أو السكوت عن الباطل أو المداهنة فيه أو التنازل عن الحقوق، وإنما هو استعمال اللطف في الأسلوب والطريقة فقط دون المضمون؛ فالرفيق يطالب بحقه ويبين الشرع ويأمر بالمعروف ويؤدب من تحت يده ويعامل الناس، ولكن كل ذلك يفعله بسلوك اللطف والرفق.

٤- لقد أكثر النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق فقال: (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف) صححه الألباني .

٥- وفي صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) صححه الألباني .

٦- وعن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من يحرم الرفق يحرم الخير) رواه مسلم .

٧- عن أبي الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير) صححه الألباني.

٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن ينتهك حرمة الله فينتقم لله بها) متفق عليه .

٩- رفق النبي بقومه بالرغم من أذيتهم له :من طريق بن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك و ماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد

بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين(وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا . (تفسير ابن كثير ج٢/ص١٣٧-١٣٨)

١٠- طلب النبي من عائشة الرفق في الأمر كله:حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم قالت عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول أو لم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم.(صحيح البخاري ج٥:ص٢٢٤٢)

١١- رفق النبي بالأعرابي الذي بال في المسجد :حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك أن أعرابيا بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه.(صحيح مسلم ج٣:ص١٤٥٨)

١٢- رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالشاب الذي يريد أن يزني :حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حريز حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أئذن لي بالزنى فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال أدنه فدنا منه قريبا فقال اجلس فجلس فقال أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أفتحبه لأختك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.(تفسير ابن كثير ج٣/ص٣٩)

١٣- النبي يأمر أنجشة الرفقَ بالقوارير :حدثنا أبو الربيع العتكي وحامد بن عمر وقتيبة بن سعيد وأبو كامل جميعا عن حماد بن زيد قال أبو الربيع حدثنا حماد حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير.(صحيح مسلم ج٤:ص٢٠٠٣)

١٤- رفق النبي بمن قال له اعدل يا محمد :عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس في ثوب بلال يوم حنين يعطيهم فقال إنسان من الناس اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم ويلك إذا لم أعدل فمن يعدل لقد خبت وخسرت إن لم أعدل قال فقال عمر رضوان الله علي دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابا له يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.(صحيح ابن حبان ج١١/ص١٤٨)

١٥- رفق النبي بالأعرابي الذي جذبه من ملابسه :حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة حتى رأيت صفح أو صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته فقال يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.(مسند أحمد بن حنبل ج٣/ص١٥٣)

١٦- رفق النبي بأهل مكة بعد فتحها :كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما حتى بأعدائه لما دخل يوم الفتح مكة على قريش وقد أجلسوا بالمسجد الحرام وصحبه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

١٧النبي لا يرد أحداً خائباً :

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده وإلا أمر بالاستدانة عليه وفي حديث الترمذي أن رجلا جاءه فسأله أن يعطيه فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيته فقال عمر يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره قول

عمر فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم فرحا بقول الأنصاري أي وعرف في وجهه البشر ثم قال بهذا أمرت .(البداية والنهاية ج٤/ص٣٠١)

١٨- رفق النبي في أداء مناسك الحج :

ففي حديث جابر الطويل عند مسلم فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى حبلا من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء الحديث .

وقد شنق للقصواء الزمام : يعني أنه يكفها بزمامها عن شدة المشي .والمورك : هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدم واسطة الرحل إذا مل من الركوب .وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدمة الرحل شبه المخدة الصغيرة .وقوله السكينة السكينة: أي يأمرهم بالسكينة مشيرا بيده والسكينة الرفق والطمأنينة .كلما أتى حبلا من الحبال : والمراد بالحبل في حديثه الرمل المستطيل المرتفع.(أضواء البيان ج٤/ص٤٤١)

١٩- أمر النبي الرفق بالحيوان :

حدثناه محمد بن المثنى وبن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت المقدام بن شريح بن هانئ بهذا الإسناد وزاد في الحديث ركبت عائشة بعيرا فكانت فيه صعوبة فجعلت ترده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق .(صحيح ابن حبان ج٢:ص٧٤)

٢٠- أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة :

حدثنا الفضيل بن الحسين الجحدري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال اثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته قال أبو حاتم رحمه الله أراد بقوله أحسنوا القتلة في القصاص.

٢١- أمر النبي بالرفق في الطاعات :أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الفضل الكلاعي بحمص قال حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد قال حدثنا أبي قال حدثنا شعيب عن الزهري عن عروة عن عائشة أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت هذه الحولاء بنت تويت وزعموا أنها لا تنام بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنام بالليل خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا (صحيح ابن حبان ج٢:ص٣٠٧)

٢٢- إشارة الحاكم بالرفق في الخصومة :

أخبرنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا الليث عن بن شهاب عن عروة أنه حدثه أن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليهم فاختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال يا رسول الله أن كان بن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا زبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر.(سنن النسائي الكبرى ج٣:ص٤٧٩)

٢٣- رفق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأهل :قالت عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل شيء منه قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى). وكانت زوجه عائشة إذا هويت شيئًا أتبعها إياه ما لم يكن إثمًا، وقد أذن لها صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى أهل الحبشة وهم يلعبون، وأذن لها بالفرح واللعب يوم العيد.

٢٤- رفق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخادم :فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء: لمَ فعلت كذا، وهلاّ فعلت كذا).

؛؛

٤- التواضع :

خلق التواضع من الأخلاق الفاضلة الكريمة ، والشيم العظيمة التي حث عليها الإسلام ورغَّب فيها، وتمثله رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجاً عملياً في حياته، وفي ثنايا الأسطر التالية نقف عند بعض ملامح هذا المنهج العملي لنرى تواضعه صلى الله عليه وسلم.

فقد كان صلى الله عليه وسلم مع علو قدره ، ورفعة منصبه أشد الناس تواضعاً، وألينهم جانباً، وحسبك دليلاً على هذا أن الله سبحانه وتعالي خيَّره أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فأختار أن يكون نبياً عبداً صلوات الله وسلامه عليه.

التواضع في الكتاب والسنة:

قال تعالى :

١- {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران١٥٩

٢- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }المائدة٥٤

٣- {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }الحجر٨٨

٤- {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }الإسراء٣٧

٥- {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }الفرقان٦٣

٦- {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }الشعراء٢١٥

٧- {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }لقمان١٨

٨- عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد . رواه مسلم (صححه الألباني).

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما نقصت صدقة من مال شيئا وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . رواه مسلم (صححه الألباني).

١٠- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها رواه الترمذي وقال حديث حسن .

١١- وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ابغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون أو تنصرون بضعفائكم . رواه أبو داود (صححه الألباني).

١٢- وعن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر . متفق عليه . وفي رواية مسلم كل جواظ زنيم متكبر .

١٣- عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة قال ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تسمعون ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان يعني التقحل(التقشف) قال أبو داود هو أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري. سنن أبي داود(صححه الألباني).

١٤- وكان صلى الله عليه وسلم يمنع أصحابه من القيام له، وما ذلك إلا لشدة تواضعه فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على عصاً ، فقمنا له ، قال :(لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظّم بعضهم بعضاً) رواهأحمد وأبو داود وهذا خلاف ما يفعله بعض المتكبرين من حبهم لتعظيم الناس لهم ، وغضبهم عليهم إذا لم يقوموا لهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام من أحب أن يتمثَّل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار) رواه أحمد والترمذي و أبو داوود.

١٥- وخلق التواضع كان سمةً ملازمةً له صلى الله عليه وسلم في حياته كلها، في جلوسه ، وفي ركوبه ، وفي أكله ، وفي شأنه كله ، ففي أكله وجلوسه نجده يقول (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) رواه ابن حبان .

وفي ركوبه يركب ما يركب عامة الناس، فركب صلى الله عليه وسلم البعير و الحمار والبغلة والفرس، قال أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف) رواه الترمذي.

١٦- وفي (سنن ابن ماجه) عن قيس بن أبي حازم :

أن رجلاً أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام بين يديه فأخذته رعدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(هوّن عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) ـ والقديد هو اللحم المجفف - وهذا من تمام تواضعه صلى الله عليه وسلم حيث بين له أنه ليس بملك، وذكر له ما كانت تأكله أمه لبيان أنه رجل منهم ، وليس بمتجبر يُخاف منه.

فالتواضع كان خلقاً ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من الأخلاق التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها و يحرص عليها إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم كي ينال خيريِّ الدنيا والآخرة.

أقوال السلف عن التواضع :

١- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إنكم لتغفلون أفضل العبادة: التواضع.

٢- وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر ويكون من أحب وأبغض في الحق سواء يحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته.

٣- وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله.

٤- وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

٥- وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال : رأيت أم الدرداء مع نساء المساكين جالسة ببيت المقدس.

٦- وقال قتادة : من أعطي مالا أو جمالا وثيابا وعلما ثم لم يتواضع كان عليه وبالا يوم القيامة.

٧- وقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص لعبد الملك : أي الرجال أفضل قال من تواضع عن رفعة وزهد على قدرة وترك النصرة على قومه.

٨- وقال إبراهيم بن شيبان : الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة.

٩- وقال علوان بن داود البجلي حدثني شيخ من همدان عن أبيه قال :بعثني قومي في الجاهلية بخيل أهدوها لذي الكلاع فأقمت ببابه سنة لا أصل إليه ثم أشرف إشرافة على الناس من غرفة له فخروا له سجودا ثم جلس فلقيته بالخيل فقبلها ثم لقد رأيته بحمص وقد أسلم يحمل الدرهم اللحم فيبتدره قومه ومواليه فيأخذونه منه فيأبى تواضعا وقال :

أف لذي الدنيا إذا كانت كذا..... أنا منها كل يوم في أذى
ولقد كنت إذا ما قيل .....من أنعم الناس معاشا قيل ذا
ثم بدلت بعيش شقوة .....حبذا هذا شقاء حبذا

١١- وعن صالح المري قال :خرج الحسن ويونس وأيوب يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن وهل تدرون ما التواضع : التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا.

١٢- وولي أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره يقول طرقوا للأمير.

١٣- وقال يحيى ابن أبي كثير : رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر.

قصص عن التواضع :

١-عن عمرو بن شيبة، قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكبًا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس.قال: ثم عدت بعد حين، فدخلت بغداد، فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: ما لك تنظر إليَّ؟ فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة. ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفَّع الناس.

٢- قال المغيرة كنا نهاب إبراهيم النَّخَعي هيبة الأمير، وكان يقول: إن زمانًا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

٣- وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض، وقال: هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس.

٤- تفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يومًا، فقال سلمان:لكنني خُلقتُ من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم آتى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لئيم.

٥- ركب زيد بن ثابت، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال له: مَه يابن عمِّ رسول الله .فقال: هكذا ُأمرنا أن نفعل بعلمائنا فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبَّلها، وقال: هكذا ُأمرنا أن نفعل بأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- قال عروة بن الزبير :

رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا !!فقال :لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلتْ في نفسي نخوة، فأحببتُ أن أكسرها .ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.

٧- عن عبد الله بن عباس، قال:

كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلَّى بالناس، فأتاه العباس، فقال: والله، إنه للموضعُ الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس.

٨- نظر المأمون يومًا إلى رءوس آنيته محشوةً بقطنٍ، وكانت قبل ذلك بأطباق فضةٍ،فقال لصاحب الشراب:

أحسنت يا بني، إنما يباهي بالذهب والفضة من خلاق عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو رءوس أوانيك إلا بالقطن؛ فذاك بالملوك أهيأ وأبهى.
٩- قال إبراهيم بن أدهم :ما فزت في الدنيا قط إلا مرة؛ بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام، وكان في البطن فجَرَّ المؤذن رجلي حتى أخرجني من المسجد.

؛؛

٥- الحياء :

- إن الحياء خلق يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح، فهو من صفات النفس المحمودة.

-وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ كما في الحديث: إن لكل دين خُلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء.

فالحياء دليل على الخير، وهو المُخْبِر عن السلامة، والمجير من الذم.

- قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء.

- وقيل أيضًا: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

حياؤك فاحفظه عليك فإنما.....يدلُّ على فضل الكريم حياؤه

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه.....ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

الحياء في الكتاب والسنة:

ونظرًا لما للحياء من مزايا وفضائل؛ فقد أمر الشرع بالتخلق به وحث عليه، بل جعله من الإيمان، ففي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

والسر في كون الحياء من الإيمان: أن كلاً منهما داعٍ إلى الخير مقرب منه، صارف عن الشر مبعدٌ عنه، وصدق القائل:

وربَّ قبيحةٍ ما حال بيني.....وبين ركوبها إلا الحياءُ

وإذا رأيت في الناس جرأةً وبذاءةً وفحشًا، فاعلم أن من أعظم أسبابه فقدان الحياء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم:

(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) رواه البخاري .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي..... ولم تستحِ فاصنع ما تشاءُ

يعيش المرء ما استحيا بخير .....ويبقى العود ما بقي اللحاءُ

ليس من الحياء:

إن بعض الناس يمتنع عن بعض الخير، وعن قول الحق وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بزعم الحياء، وهذا ولا شك فهمٌ مغلوط لمعنى الحياء؛ فخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس حياءً، بل أشد حياءً من العذراء في خِدرها، ولم يمنعه حياؤه عن قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل والغضب لله إذا انتهكت محارمه.

كما لم يمنع الحياء من طلب العلم والسؤال عن مسائل الدين، كما رأينا أم سليم الأنصارية رضي الله عنها تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة غسلٌ إذا احتلمت؟

لم يمنعها الحياء من السؤال، ولم يمنع الحياءُ الرسول صلى الله عليه وسلم من البيان؛ فقال: "نعم، إذا رأت الماء".

أنواع الحياء:

قسم بعضهم الحياء إلى أنواع، ومنها:

١- الحياء من الله.

٢- الحياء من الملائكة.

٣- الحياء من الناس.

٤- الحياء من النفس.

أولاً: الحياء من الله: حين يستقر في نفس العبد أن الله يراه، وأنه سبحانه معه في كل حين، فإنه يستحي من الله أن يراه مقصرًا في فريضة، أو مرتكبًا لمعصية.

قال الله عز وجل: (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى)[العلق:١٤].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اطلاعه على أحوال عباده، وأنه رقيب عليهم.

- وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: استحيوا من الله حق الحياء. فقالوا: يا رسول الله! إنا نستحي. قال: ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء :

- فليحفظ الرأس وما وعى.

- والبطن وما حوى.

- وليذكر الموت والبلى.

- ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.

فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء(رواه الترمذي وحسنه الألباني).

- خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مكوكبها؟(تعني أين خالقها).

- ولله در القائل:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة.....والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحيي من نظر الإله وقل لها.....إن الذي خلق الظلام يراني

ثانيا: الحياء من الملائكة: قال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله:

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ{١٠} كِرَاماً كَاتِبِينَ{١١}يَعْلَمُونَ مَاتَفْعَلُونَ{١٢} الانفطار

قال ابن القيم رحمه الله:أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟! وكان أحدهم إذا خلا يقول: أهلاً بملائكة ربي.. لا أعدمكم اليوم خيرًا، خذوا على بركة الله، ثم يذكر الله.

ثالثًا: الحياء من الناس:عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس. وقال مجاهد: لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه.

وقد نصب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحياء حكمًا على أفعال المرء وجعله ضابطًا وميزانًا، فقال: (ما كرهت أن يراه الناس فلا تفعله إذا خلوت) حسنه الألباني.

رابعًا: الاستحياء من النفس: من استحيا من الناس ولم يستحِ من نفسه، فنفسه أخس عنده من غيره، فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، ويكون هذا الحياء بالعفة وصيانة الخلوات وحُسن السريرة.

فإذا كبرت عند العبد نفسه فسيكون استحياؤه منها أعظم من استحيائه من غيره.

قال بعض السلف: من عمل في السر عملاً يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

إن الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، وممهِّد الثناء، وموفِّر العقل، ومعظم القدر:

إني لأستر ما ذو العقـل ساتــره..... من حاجةٍ وُلميتُ السر كتمانًا

وحاجة دون أخرى قد سمحتُ بها.....جعلتها للتي أخفيتُ عنــوانًا

إني كأنــي أرى مَن لا حيـاء له.....ولا أمانة وسط القــوم عريانًا

أقوال السلف عن الحياء :

١- قال عمر رضي الله عنه: مَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه.

٢- قال ابن القيِّم في حقيقة الحَياء: قال صاحب المنازل: الحَياء: مِن أوَّل مدارج أهل الخصوص، يتولَّد مِن تعظيمٍ منوطٍ بودٍّ. إنَّما جَعَل الحَياء مِن أوَّل مدارج أهل الخصوص: لما فيه مِن ملاحظة حضور مَن يستَحيي منه، وأوَّل سلوك أهل الخصوص: أن يروا الحقَّ سبحانه حاضرًا معهم، وعليه بناء سلوكهم. وقوله: إنَّه يتولَّد مِن تعظيمٍ منوطٍ بودٍّ. يعني: أنَّ الحَياء حالة حاصلة مِن امتزاج التَّعظيم بالمودَّة، فإذا اقترنا تولَّد بينهما الحَياء.

٣- وقال أيضًا: حياة القلب يكون فيه قوَّة خُلُق الحَياء، وقلَّة الحَياء مِن موت القلب والرُّوح، فكلَّما كان القلب أحيى كان الحَياء أتم.

٤-قال الجنيد: الحَياء: رؤية الآلاء ورؤية التَّقصير، فيتولَّد بينهما حالة تُسمَّى الحَياء، وحقيقته: خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنع مِن التَّفريط في حقِّ صاحب الحقِّ.

٥- وقال الفضيل بن عياض: خمسٌ مِن علامات الشَّقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلَّة الحَياء، والرَّغبة في الدُّنْيا، وطول الأمل.

٦- وقال أبو عبيدة النَّاجي: سمعت الحسن يقول: الحَياء والتَّكُرُّم خصلتان مِن خصال الخير، لم يكونا في عبد إلَّا رفعه الله عزَّ وجلَّ بهما.

٧- وقال ابن عطاء: العلم الأكبر: الهيبة والحَياء؛ فإذا ذهبت الهيبة والحَياء، لم يبق فيه خير.

٨-وقال ذو النُّون المصري: الحَياء، وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربِّك تعالى.

٩- وقال أبو عثمان:مَن تكلَّم في الحَياء ولا يستحي مِن الله عزَّ وجلَّ فيما يتكلَّم به، فهو مُستَدرَج.

١٠- وقال الجريري: تعامل القرن الأوَّل مِن النَّاس فيما بينهم بالدِّين، حتى رقَّ الدِّين. ثمَّ تعامل القرن الثَّاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثمَّ تعامل القرن الثَّالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثمَّ تعامل القرن الرَّابع بالحَياء حتى ذهب الحَياء، ثمَّ صار النَّاس يتعاملون بالرَّغبة والرَّهبة.

١١-وقيل: مِن علامات المستحي: أن لا يُرَى بموضع يُسْتَحَيا منه.

١٢- وقال ابن أبي الدُّنْيا:

قيل لبعض الحكماء: ما أنفع الحَياء؟ قال: أن تستحي أن تسأله ما تحبُّ، وتأتي ما يكره.

١٣- وقال ربيط بني إسرائيل: زين المرأة الحَياء، وزين الحكيم الصَّمت.

١٤- قال الجراح: تركت الذنوب حياء أربعين سنة.

١٥- قال الجنيد في حقيقة الحياء :خلق يبعث على ترك القبائح ، ويمنع من التفريط في حق صاحبه.

١٦- قال الحسن: لو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام ، لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء.

١٧- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه.

١٨- وقال أيضا: من استحيا استخفى ، ومن استخفى اتقى ، ومن اتقى وُقي.

١٩- رأى أبو موسى الأشعري قوما يقفون عند الماء بغير أزر فقال: لأن أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر أحب إلي من أن أفعل مثل هذا.

٢٠- قال محمد بن الفضل : أربعين سنة ما نظرت في شيء أستحسنه حياء من الله.

٢١- قال أبو مسلم الخولاني:من نعمة الله علي أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيئا يستحيى منه إلا قربي من أهلي.

٢٢- قال محمد بن سيرين: ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله وإني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.قال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام.

٢٣- قالت عائشة رضي الله عنها: الحياء رأس مكارم الأخلاق.

٢٤- قال ابن عطاء:العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير أي القلب.

٢٥- قال وهب بن منبه: الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء.

٢٦- قال الحسن: الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير ، لم يكونا في عبد إلا رفعه.

٢٧- قال مجاهد في قوله تعالى : ولمن خاف مقام ربه جنتان : هو الرجل يخلو بمعصية الله فيذكر مقام الله فيدعها فرقا من الله.

قصص عن الحياء :

١- قال تعالى : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخٌ كبيرٌ. فسقا لهما) الذي ورد موسى –عليه السلام- فلما ورد الماء وجد امرأتين تذودان نعم تذودان أي تبتعدان عن أماكن تجمع الرجال والتي قد يحدث فيها من الفتن الشي الكثير سألهما موسى عليه السلام عن أمرهما (ماخطبكما) قالتا له (قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) نعم هذا ردهما على موسى

لم يُطلن معه الكلام ومع الكلام بعض التغنج والضحكات لاوالله بل رد ولاتعقيب عليه؛ قالتا لانسقي حتى ينتهي الرعاء من السقاية ويبتعدون عن الماء؛ هذا هو الحياء والله وليس كبعض النساء في الأسواق وحالهن مع الباعة ومايدور بينهم وكيف تخضع له بالقول والحديث حتى يطمع لأن بعضهم في قلبه مرض وهو مرض الشهوة؛ والتي نزعت الحياء هي كذلك فيها مرض الشهوة وعندما قالتا لموسى عليه السلام سبب وقوفهما بينا له لماذا قدمتا للسقاية وهو عندما قالتا: (وأبونا شيخ كبير) نعم هذا ما دعاهما إلى الخروج لرعي الغنم والسقاية لعدم وجود الرجل القوي الذي يكفيهما هذا الخروج وهذا دليل على كرههما الخروج من منزلهما وليس كبعض نساء هذا الزمان يبحثن عن أتفه وأقل الأسباب للخروج وتتمنى أن تقضي جلّ وقتها خارج بيتها ثم سقا لهما موسى –عليه السلام- وذهبتا إلى أبيهماقال تعالى : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) هنا يبين الله حالة المرأة عندما جاءت إلى موسى هل وصف طولها أم شعرها أم لون عينيها لاوالله لأن هذه الصفات وأحسن منها قد تكون سبباً لدخول نار جهنم لأن كثير من النساء لم يحفظن ما أنعم الله بِهِ عليهن من نعمة جمال الخلق بل جعلنه سبباً في بلوغ الشهوات وإشباع الرغبات ونشر الفساد والفتن والموبقات.

عندما وصلت وأرادت توصيل الرسالة قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا هذه الرسالة قالتها بأبلغ عبارة وأوجزها لم تطل الكلام ولم تعطه الفرصة للسؤال بل قالت أن أباها يدعوه وقالت سبب تلك الدعوة مباشرة حتى لا يسأل أبدآ؛ هذا والله الحياء الذي نبحث عنه نُريد من جميع نساء المسلمين أن يصبحن جافات وحادات بكلامهن مع الرجال الأجانب حتى لا يطمعون بهن ولايفكرون بالمساس بهن ثم لما أرادت الذهاب بِهِ إلى منزل أبيها هل مشيت أمامهُ حتى يرى جسمها وحتى تتمايل بمشيتها وتوقع بقلبِهِ حبها أم مشت بجانبه تتبادل معه الحديث وتتغنج بكلامها لاوالله أتعرفون كيف اوصلته إلى أبيها؟جعلته يمشي أمامها وهي خلفه ومعها أحجار بيدها فإذا أرادت أن يتوجه يمين رمت بالحجر يمين وإذا أرادت أن يذهب شمالاً رمت بالحجر شمالاً حتى وصل إلى بيت أبيها؛ لله درها كيف جعلت الحياء لباسها وطعامعها وشرابها ولا فكرت للحظة واحدة بنزع حياءهاثم قالت لأبيها : قالت إحداهما يا أبت استأجره ،طلبت هذا الطلب ليكفيهن شر الخروج من المنزل وكانت نهاية هذا الحياء هو زواجها من نبي الله نبي من أولوا العزم من الرسل هذا هو أكبر هدية وأكبر عطاء من رب العزة والجلال.

٢- قال تعالى : (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها) وقال الله أحصنت ولم يقل أحصنا وهذا دليل على أنها هي من تبحث عن العفاف والستر والمتمسكة بِهِ وعندما أرسل الله إليها ملك من نور لينفخ فيها ماذا فعلت؟هل أهلت ورحبت بِهِ أم أخذت منه موعداً حتى تخلو بِهِ ؟لاوالله بل قالت وملء قلبها إيمان (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) وعندما نفخ فيها وأنجبت ابنها قالت: (ياليتني مت قبل هذاوكنت نسياً منسيا)هذا ماتمنت وماحصل لها الا تكريماً من الله لها ورفعة في منزلتها .

٣- جلست أسماء بنت عميس يوم من الأيام تكلم فاطمة-رضي الله عنها- وتكلمها عن أحداث حصلت لهم في الحبشة وأنهم زاروا النجاشي وكان معنا كذا وكذا؛ وفاطمة سارحة الذهن؛ فقالت أسماء مالي أحادثكِ ولاتُردين علي؟ فقالت فاطمة :عذراً يا أسماءولكني أفكر في نفسي غداً إذا أنا مت والله إني لأستحي أن يطرحوا فوقي ثوبًا على النعش وأخرج أمام الرجال.هذا هو الهم الذي أشغل فاطمة-رضي الله عنها- أين هي عن القبر وأهواله أين هي من التفكير في منكر ونكير لله درها تفكر بالستر والعفاف وهي على النعش وعند من وممن من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أين من تجلس عند صويحباتها وتخرج جوالها لتحادث صديقها أوحبيبها وتضحك معه وتتغنج بالكلام وكأنها تحادث أحد محارمها أين من خرجت ولبست العباءة التي على الكتف لتبين تفاصيل جسمها أين من لبست العباءة الفرنسية أو المخصرة أو الملونة أو المزخرفة لتصف لنا جسدها ومفاتنها لاحول ولاقوة الابالله قالت فاطمة لعلي-رضي الله عنهما- :

ناشدتك بالله إذا أنا مت أن تدفنني في الليل قال لماذا : قالت لا أريد الرجال أن يروني نزل ملك لأول مرة إلى الأرض وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله جل جلاله أرسلني ويقول قل لمحمد يقول لفاطمة بشروها أني كتبتها سيدة نساء أهل الجنة.

٤- قالت عائشة-رضي الله عنها- دفنا محمد صلى الله عليه وسلم في بيتي فكنت أدخل وأستغفر الله له وأصلي عليه ودفنا أبي فكنت أدخل عليهما وأستغفرالله لهما وأصلي عليهما ، فلا والله مادخلته قط بعد أن دفنا عمر الا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءاً من عمر-رضي الله عنه- وهو تحت الأرض.

٥- شهد الفضيل الموقف الأشرف في عرفات فرفع رأسه إلى السماء وقد قبض لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى ويقول: واسوأتاه منك وإن عفوت:

ياخجلة العبد من إحسان سيده ..... يا حسرة القلب من ألطاف معناه

فكم أسأت وبالإحسان قابلني.............. واخجلتي واحيائي حين ألقاه

٦- لما احتضر الأسود بن يزيد بكى فقيل له:

ما هذا الجزع ؟ قال : مالي لا أجزع ؟!

ومن أحق بذلك مني.. والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، ولا يزال مستحييا منه.

؛؛

٦- الوفاء بالعهد :

- الوفاء بالعهود والمواثيق من أجلى الأمور التي دعا إليها الإسلام، وأكد ضرورة الوفاء بها؛ ورتب على نقضها والإخلال بها صنوف الذم والعقاب.

والوفاء يختصّ بالإنسان، فمن فُقد فيه الوفاء فقد انسلخ من الإنسانيّة، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان، وصيّره قواما لأمور النّاس، فالنّاس مضطرّون إلى التّعاون، ولا يتمّ تعاونهم إلّا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التّعايش.

- وناقض العهد والميثاق إنسان منحط القيم والأخلاق، بهيمي الطبع، لا يوثق بقوله، ولا يؤمن جانبه.فالوفاء قيمة أخلاقية عالية، لا يتمثلها إلا أولو الألباب، الذين ارتفعوا بأنفسهم عن الحيوانية؛ و تسنموا معالي الأمور؛ محافظين على أعراضهم من الخدش والقالة.

الوفاء بالعهد في الكتاب والسنة:

١- وردت نصوص شرعية آمرة بالوفاء بالعهود، محذرة من نقضها: فمن ذلك قوله تعالى :

وَلاتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا** ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{١٥٢}الأنعام

٢- وقال تعالى :

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ{٩١}النحل

٣- وقال تعالى : وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً{٣٤}الإسراء

- ففي هذه النصوص المباركة أمر بالوفاء بالعهود؛ وحث على أداء الأمانات التي من أعلاها الوفاء بالعهد.وأول العهود الواجبة على العبد أن يؤديها وفاؤه مع ربه؛ الذي خلقه فسواه، ورزقه وهداه لمصالحه؛ وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلا. ووفاؤه لربه أن يعبده وحده، ولا يشرك معه أحد غيره، ولا يصرف شيئًا من أنواع العبادة لأحد سواه؛ لأنه المستحق للعبادة؛ المتفضل بالإيجاد والخلق.

٤- وقد أمر الله تعالى بني آدم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئًا؛ وأخذ منهم العهد على ذلك، كما قال تعالى :

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ{٦٠}وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ{٦١}يس

٥- وقال تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ{١٧٢}أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ{١٧٣}الأعراف

فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى، فقد نقض عهده مع ربه، وخان الأمانة التي استرعاه الله عليها.

٦- ومن العهود التي أخذها الله من بني آدم؛ ما أخذه الله تعالى من العهد على أنبيائه وصفوته من خلقه؛ أنه إن أرسل نبيه -صلى الله عليه وسلم- أنهم سيؤمنون به وينصرونه ويتبعونه؛ فأقروا بذلك العهد وأدوه حق أدائه؛ حيث قال تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ{٨١} فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ{٨٢}آل عمران

وفي استجابة خير البشر لذلك العهد دعوة لأتباعهم بأن يقوموا مقامهم إن هم أدركوا ذلك النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته.

٧- ومن العهود الواجبة الوفاء بها: ما أخذه الله على أهل العلم من العهد ببيان العلم وعدم كتمانه، والدلالة والإرشاد إلى طريق الخير والتحذير من الشر؛ كما قال تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ{١٨٧}آل عمران

٨- وأداء العقود والالتزام بها مما أمر الله به المؤمنين بالوفاء بها؛ فقال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ{١}المائدة

٩- وكل عهد أبرمه الإنسان فواجب عليه أداؤه؛ لأن إخلاف العهود من صفات المنافقين الذين ذمهم الله تعالى: فعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (متفق عليه).

١٠- فإخلاف العهود والمواثيق مما رتب الله عليه الوعيد الشديد؛ حيث كان المخلف لوعده؛ والغادر لعهده، يكون الرب -تبارك وتعالى -خصمه يوم القيامة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره . رواه البخاري(صححه الألباني).

١١- فالوفاء بالعهود والمواثيق من سمات أهل الإيمان؛ حيث مدح الله -عز وجل- الوافين بعهدهم، وبيَّن أنه من صفات المتقين الصادقين؛ وذلك حين قال تعالى :

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوْا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ{١٧٧}البقرة

١٢- وقال تعالى مثنيا على الذين يوفون بعهودهم :

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ{١٩} الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ{٢٠} وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ{٢١}الرعد

فالوفاء بالعهد شرفٌ يحمله المسلم على عاتقه وهو قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى، بها تُدعم الثقة بين الأفراد، وتؤكد أواصر التعاون في المجتمع، وهو أصل الصدق وعنوان الاستقامة.

الوفاء بالعهد خصلة من خصال الأوفياء الصالحين، ومنقبة من مناقب الدعاة المخلصين، وهو أدب رباني حميد، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي نبيل، الوفاء بالعهد من شعب الإيمان وخصاله الحميدة، ومن أهم واجبات الدين وخصال المتقين وخلال الراغبين في فضل رب العالمين، فمن أبرم عقدًا وجب أن يحترمه، ومن أعطى عهدًا وجب أن يلتزمه؛ لأنه أساس كرامة الإنسان في دنياه، وسعادته في أخراه.

أقوال عن الوفاء بالعهد :

١- قال الأحنف: لا صديق لملولٍ، ولا وفاء لكذوبٍ، ولا راحة لحسودٍ، ولا مروءة لبخيلٍ، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

٢- وعن الأصمعي قال: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

٣- وقال بعض الحكماء: من لم يفِ للإخوان، كان مغموز النسب.

٤- وقال ابن مفلح: كان يقال: كما يُتوخَّى للوديعة، أهل الأمانة والثقة، كذلك ينبغي أن يتوخَّى بالمعروف، أهل الوفاء والشكر.

٥- وقال الحريري: تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدين زمانًا طويلًا حتى رقَّ الدين، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة.

٦- وقال ابن حزم: إنَّ من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق ...الوفاء؛ وإنَّه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات... وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب... لا يحول عنه إلا خبيث المحتد، لا خلاق له ولا خير عنده.

٧- وقال أيضًا: الوفاء مركب من العدل، والجود، والنجدة؛ لأنَّ الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه؛ فعدل في ذلك، ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ؛ فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلَّد لما يتوقَّع من عاقبة الوفاء؛ فشجع في ذلك.

٨- وعن عوف بن النعمان الشيباني أنه قال في الجاهلية الجهلاء: لأن أموت عطشًا، أحبُّ إليَّ من أكون مخلاف الموعدة.

٩- وعن عوف الكلبي أنه قال: آفة المروءة خلف الموعد.

١٠- وقال الحارث بن عمرو بن حجر الكندي: أنجز حرٌّ ما وعد.

١١- وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له، واصطناع من لا شكر عنده، والكريم يودُّ الكريم عن لُقْية واحدة، واللئيم لا يصل أحدًا إلا عن رغبة أو رهبة.

١٢- وأوصت أعرابية ابنًا لها، فقالت: يا بني، اعلم أنَّه من اعتقد الوفاء والسخاء، فقد استجاد الحلة بربطتها وسربالها، وإياك والنمائم؛ فإنها تنبت السخائم، وتفرق بين المحبين، وتحسي أهلها الأمرين.

قصص عن الوفاء بالعهد :

١لمّا كان النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة قبل الأسلام وكان النعمان قد قسّم أيامه كلها إلى يومين يوم بؤس ويوم نعيم من قابله فى يوم بؤسه قتله ومن قابله فى يوم نعيمه أعطاه العطايا ومنحه وأغدق عليه ، فلقيه رجل من قبيلة طئ فى يوم بؤسه فعلم هذا الرجل أنه مقتول لا محالة فأقبل هذا الرجل إلى النعمان وقال حى الله الملك ثم قال الرجل لقد خرجت اليوم من بيتى وقد تركت أولادى على شفا حفرةٍ من الجوع والهلاك وخرجت مُبكراً لأبحث لهم عن قوتٍ وعن رزق فرزقنى الله اليوم هذا الأرنب فإن رأى الملك أن أعود لأولادى لأطعمهم وأوصى بهم وله على أن أعود إليه لأضع يدى فى يده إن رأى الملك أن أفعل هذا أشكر له فقال النعمان بن المنذر بعدما رق له لن أفعل ذلك ولن أتركك تذهب بالأرنب البرى لأولادك إلا إذا ضمنك أحداً منا فإن تأخرت قتلناه مكانك فتأخر من كان مع الملك إلا رجل يقال له شريك بن عمرو بن شراحيل تقدّم للنعمان وقال أيها الملك أن أضمن هذا الرجل قال الملك إن تأخر قتلناك قال أنا أضمنه وإن تأخر فأقتلنى فأذن له النعمان بن المنذر أن ينصرف بالأرنب إلى أولاده وفى الوقت المحدد إذ بالنعمان يرى هذا الرجل واقف بين يديه وعينيه فنظر إليه النعمان وقد طاش عقله حيث كان يتوقع أن لا يأتيه فقد يأتى إلى هلاكه بعد أن نجى فقال النعمان لهذا الرجل كلمات جميلة جداً قال له أيها الرجل لقد أوفيت بوعدك حتى لم تترك للوفاء سبيلا ثم إلتفت إلى شريك بن عمرو وقال وأنت يا شريك والله لقد جُدت حتى لم تدع للجود سبيلا ثم قال وأنا والله لن أكون ألئم الثلاثة فعفى عن الرجل وأكرم شريك بن عمرو ورفع هذا اليوم الذى كان يسمى يوم البؤس ، فقال هذا الأعرابى من قبيلة طيء:

ولقد دعتنى لإخلاف الوعد عشيرتى..... فأبيتُ عند تجهم الأطوال

إنى أمرؤ منى الوفاء سجية .....وخِصالُ كل مهذبٍ مِفضالُ

٢- أتى شابّان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان في المجلس وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه قال عمر: ما هذا قالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا قتل أبانا قال: أقتلت أباهم ؟ قال: نعم قتلته ! قال : كيف قتلتَه ؟ قال : دخل بجمله في أرضي ، فزجرته،فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً ، وقع على رأسه فمات .قال عمر : القصاص الإعدام قرار لم يكتب . وحكم سديد لا

يحتاج مناقشة ،لم يسأل عمر عن أسرة هذا الرجل ، هل هو من قبيلة شريفة ؟ هل هو من أسرة قوية ؟ ما مركزه في المجتمع ؟ كل هذا لا يهم عمر - رضي الله عنه - لأنه لا يحابيأحداً في دين الله ، ولا يجامل أحداً على حساب شرع الله ، ولو كان ابنه القاتل ، لاقتص منه قال الرجل : يا أمير المؤمنين : أسألك بالذي قامت به السماوات والأرض أن تتركني ليلة ، لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية ،فأُخبِرُهم بأنك سوف تقتلني ، ثم أعود إليك ، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا قال عمر : من يكفلك أن تذهب إلى البادية ، ثم تعود إليَّ؟ فسكت الناس جميعاً ، إنهم لا يعرفون اسمه ، ولا خيمته ، ولا داره ولا قبيلته ولا منزله ، فكيف يكفلونه ، وهي كفالة ليست على عشرة دنانير، ولا على أرض ، ولا على ناقة إنها كفالة على الرقبة أن تُقطع بالسيف ومن يعترض على عمر في تطبيق شرع الله ؟ ومن يشفع عنده ؟ومن يمكن أن يُفكر في وساطة لديه ؟ فسكت الصحابة ، وعمر مُتأثر ،لأنه وقع في حيرة ، هل يُقدم فيقتل هذا الرجل ، وأطفاله يموتون جوعاً هناك أو يتركه فيذهب بلا كفالة ، فيضيع دم المقتول ، وسكت الناس ، ونكّس عمر رأسه ، والتفت إلى الشابين : أتعفوان عنه ؟ قالا : لا ، من قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين قال عمر : من يكفل هذا أيها الناس ؟ !!فقام أبو ذر الغفاريّ بشيبته وزهده ، وصدقه ،وقال: يا أمير المؤمنين ، أنا أكفله قال عمر : هو قَتْل ، قال : ولو كان قاتلا !قال: أتعرفه ؟ قال: ما أعرفه ، قال : كيف تكفله؟ قال: رأيت فيه سِمات المؤمنين ، فعلمت أنه لا يكذب ، وسيأتي إن شاءالله قال عمر : يا أبا ذرّ ، أتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك !قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين . فذهب الرجل ، وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ ، يُهيئ فيها نفسه،ويُودع أطفاله وأهله ، وينظر في أمرهم بعده ،ثم يأتي ،ليقتص منه لأنه قتل وبعد ثلاث ليالٍ لم يئس عمر الموعد ، يَعُدّ الأيام عداً ، وفي العصرنادى في المدينة : الصلاة جامعة ،فجاء الشابان ، واجتمع الناس ، وأتى أبو ذر وجلس أمام عمر ، قال عمر: أين الرجل ؟قال : ما أدري يا أمير المؤمنين !وتلفَّت أبو ذر إلى الشمس ، وكأنها تمر سريعة على غير عادتها ، وسكتالصحابة واجمين ، عليهم من التأثر مالا يعلمه إلا الله .صحيح أن أبا ذرّ يسكن في قلب عمر، وأنه يقطع له من جسمه إذا أراد لكن هذه شريعة ، لكن هذا منهج ، لكن هذه أحكام ربانية ،لا يلعب بها اللاعبونولا تدخل في الأدراج لتُناقش صلاحيتها، ولا تنفذ في ظروف دون ظروف وعلى أناس دون أناس ، وفي مكان دون مكان. وقبل الغروب بلحظات ،وإذا بالرجل يأتي ، فكبّر عمر ،وكبّر المسلمون معه فقال عمر : أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ،ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك !! قال: يا أمير المؤمنين ، والله ما عليَّ منك ولكن عليَّ

من الذي يعلم السرَّ وأخفى !! ها أنا يا أمير المؤمنين ، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية ،وجئتُ لأقتل .وخشيت أن يقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس فسأل عمر بن الخطاب أبو ذر لماذا ضمنته؟ فقال أبو ذر : خشيت أن يقال لقد ذهب الخير من الناس فوقف عمر وقال للشابين : ماذا تريان؟ قالا وهما يبكيان : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه وقالوا نخشى أن يقال لقد ذهب العفو من الناس ! قال عمر : الله أكبر ، ودموعه تسيل على لحيته. جزاكما اللهخيراً أيها الشابان على عفوكما ، وجزاك الله خيراً يا أبا ذرّ يوم فرّجت عن هذا الرجل كربته ، وجزاك الله خيراً أيها الرجل لصدقك ووفائك .وجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين لعدلك و رحمتك .قال أحد المحدثين : والذي نفسي بيده ، لقد دُفِنت سعادة الإيمان والإسلام في أكفان عمر .!!

٣- لم يحضر أنس بن النضر غزوة بدر، فحزن لذلك، ثم قال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين فيه، ولئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم قتال المشركين ليرينَّ ما أصنع. وهكذا أخذ أنس بن النضر عهدًا على نفسه بأن يجاهد ويقاتل المشركين، ويستدرك ما فاته من الثواب في بدر، فلما جاءت غزوة أحد انكشف المسلمون، وحدث بين صفوفهم اضطراب، فقال أنس لسعد بن معاذ: يا سعد بن معاذ، الجنَّة ورَبَّ النَّضْر، إني لأجد ريحها من دون أحد، ثم اندفع أنس يقاتل قتالا شديدًا حتى استشهد في سبيل الله، ووجد الصحابة به بضعًا وثمانين موضعًا ما بين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بالسهم، ولم يعرف أحد أنه أنس بن النضر إلا أخته بعلامة في إصبعه.

٤- كانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- زوجة رحيمة تعطف على النبي صلى الله عليه وسلم، وتغمره بالحنان، وتقدم له العون، وقد تحملت معه الآلام والمحن في سبيل نشر دعوة الإسلام، ولما توفيت السيدة خديجة -رضي الله عنها-ظل النبي صلى الله عليه وسلم وفيًّا لها، ذاكرا لعهدها، فكان يفرح إذا رأى أحدًا من أهلها، ويكرم صديقاتها.

٥- وكانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- تغار من السيدة خديجة رضي الله عنها وهي في قبرها، فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلكَ الله خيرًا منها؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا، وقال لها: (والله ما أبدلني الله خيرًا منها؛ آمنتْ بي إذ

كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء. وهكذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم وفيًّا لزوجته خديجة رضي الله عنها.

٦- ضرب صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من الأنصار وهم أهل المدينة أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد، فقد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على الدفاع عن الإسلام، ثم أوفوا بعهدهم،فاستضافوا إخوانهم المهاجرين واقتسموا معهم ما عندهم، حتى تم النصر لدين الله.

فعن عوف بن مالك -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تبايعون رسول الله؟. فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلامَ نبايعك؟ قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا وأسرَّ كلمة خفية، قال :ولا تسألوا الناس شيئًا. قال عوف بن مالك: فقد رأيتُ بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم ما يقود به الدابة، فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه(صحيح مسلم).

٧- كان عرقوب رجلا يعيش في يثرب المدينة المنورة منذ زمن بعيد، وكان عنده نخل ينتج تمرًا كثيرًا. وذات يوم جاءه رجل فقير مسكين يسأله أن يعطيه بعض التمر، فقال عرقوب للرجل الفقير: لا يوجد عندي تمر الآن، اذهب ثم عد عندما يظهر طلع النخل (أول الثمار).

فذهب الفقير، وحينما ظهر الطلع جاء إلى عرقوب، فقال له عرقوب :اذهب ثم عد عندما يصير الطلع بلحًا .فذهب الرجل مرة ثانية، ولما صار الطلع بلحًا جاء إلى عرقوب، فقال له: اذهب ثم ارجع عندما يصير البلحرطبًا، وعندما صار البلح رطبًا حضر الرجل إلى عرقوب، فقال له عرقوب: اذهب ثم ارجع عندما يصير الرطب تمرًا، فذهب الرجل. ولما صار الرطب تمرًا صعد عرقوب إلى النخل ليلا، وأخذ منه التمر، وأخفاه حتى لا يعطي أحدًا شيئًا منه، فلما جاء الفقير لم يجد تمرًا في النخل، فحزن لأن عرقوب لم يفِ بوعده. وصار عرقوب مثلا في إخلاف الوعد، حتى ذم الناس مُخْلِف الوعد بقولهم: مواعيد عرقوب.

::

٧- الوقار والرزينة :

الوَقَار : السُّكون والحِلْم والرَّزانة، مصدر وَقَرَ يَقِرُ وَقارًا وَقَرَة إذا ثبت، فهو وَقُور ووَقار، ومتوقِّر، وأصل هذه المادَّة يدلُّ على ثِقَل في الشَّيء، وفلان ذو قَرَة، أي: وَقار، ورجل موقَّر: مجرَّب.

والتَّوقير: التَّعظيم والتَّرزين، ومنه قول الله تعالى﴿مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾نوح: ١٣

معنى الوَقَار اصطلاحًا: هو سكون النَّفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المَطالب .وقيل: هو التَّأنِّي في التَّوجُّه نحو المَطالب.

وقيل :الوَقَار هو الإمْسَاك عن فضول الكلام والعبث، وكثرة الإشارة والحركة، فيما يُسْتَغنى عن التَّحرُّك فيه، وقِلَّة الغَضَب، والإصغاء عند الاستفهام، والتَّوقُّف عن الجواب، والتَّحفُّظ من التَّسرُّع.

و الوقار من مكارم الأخلاق التي يجدر بالمسلم أن يتحلى بها خلق الوقار، والوقار صفة تنتج عن التحلي بمجموعة من الأخلاق الكريمة الأخرى كالحلم والسكينة والرزانة والوداعة والثبات. ولهذا عرفه بعضهم بأنه: التأني في التوجه نحو المطالب.

والسكينة هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده ، فتبعث على السكون والوقار ، وتثبت القلب عند المخاوف ، فلا تزلزله الفتن ، ولا تؤثر فيه المحن ، بل يزداد إيمانا ويقينا.

وقد ذكرها الله عز وجل في ستة مواضع من كتابه الكريم ، كلها تتضمن هذه المعاني من الجلال والوقار الذي يهبه الله تعالى موهبة لعباده المؤمنين ، ولرسله المقربين.

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح منزلة السكينة من (منازل السالكين إلى الله) هذه المنزلة من منازل المواهب ، لا من منازل المكاسب ، وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع.

الأول : قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾البقرة٢٤٨

الثاني : قوله تعالى: {ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }التوبة٢٦

الثالث : قوله تعالى: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }التوبة٤٠

الرابع : قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }الفتح٤

الخامس : قوله تعالى: {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا }الفتح١٨

السادس : قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }الفتح٢٦

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور : قرأ آيات السكينة.

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الإيمان ، وقوة اليقين ، والثبات.

ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة ، إذ هو وصاحبه في الغار ، والعدو فوق رءوسهم ، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما ، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد ، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم ،ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس ، وحسبك بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها ، وهو عمر ، حتى ثبته الله بالصدِّيق رضي الله عنه.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

رأيت النبي ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلدة بطنه وهو يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ..... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ..... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ..... وإن أرادوا فتنة أبينا

وعرف الجاحظ الوقار بأنه:

الإمساك عن فضول الكلام والعبث، وكثرة الإشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب والإصغاء عن الاستفهام، والتوقف عن الجواب والتحفظ من التسرع والمباكرة في جميع الأمور. وقد حرص الشرع المطهر على تحلية المؤمنين بحلية الوقار وزينته.

ويحث النبي على الوقار حين يقول صلى الله عليه وسلم:

(إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا). وإذا كان المسلم مطالبًا بذلك فأجدر بأهل العلم والديانة أن يحرصوا عليه ويتحلوا به. وهكذا كان العلماء من السلف رضي الله عنهم؛ فهذا الإمام مالك رحمه الله كان إذا أراد أن يُحدِّث تنظف وتطيب، وسرح لحيته، ولبس أحسن الثياب، وقد ألقى الله عليه الوقار حتى قيل فيه:

يَدَعُ الجوابَ ولا يُراجَع هيبةً.....والسائلون نواكسُ الأذقانِ
نور الوقار وعز سلطان التقى.....فهو المهيب وليس ذا سلطان

وهكذا أوصى ابن مسعود رضي الله عنه أهل القرآن فقال:

ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا سكينًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلاً ولا ضحايًا، ولا صياحًا ولا حديدًا

وقال الحسن رحمه الله: قد كان الرجل يطلب العلم يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشيه، وهديه ولسانه، وبصره، وبره.

إن القلب إن كان حيًّا وكان بالوجه حياء حمل صاحبه على الوقار، فيوقر غيره ويتوقر هو في نفسه. وعلى قدر توقير العبد وتعظيمه لربه يكون توقير الخلق له. فمن عظم الله ووقره زرع الله له المحبة والتوقير في قلوب الخلق.

ومن استهان بحق الله تعالى وضعف في قلبه توقير الرب، فتجرأ على معاصيه وحدوده وضيع أوامره وفرائضه، فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، وإن وقَّره بعض الخلق اتقاء شره فذاك وقار بغض لا وقار حبٍّ ولا تعظيم.

وأخيرًا: ما أحسن ما قال الشاعر:

انطـق مصيبًـا لا تكـن هـذرًا.....عيابة ناطقًا بالفُحش والرِّيب
كُن رزينًا طويل الصمت ذا فِكَرٍ.....فإن نطقت فلا تُكثر من الخطب
ولا تجـب سـائلاً من غير تروية.....وبالذي مثله لم تُسأل فلا تجب

موانع اكتساب صفة الوَقَار:

١-الحُمق، وحقيقته، كما قال ابن الأثير: (وضع الشَّيء في غير موضعه مع العلم بقُبحه).

٢-المجاهرة بالمعاصي، قال الحكيم: (إذا استُخِفَّ بالمحقَّرات، دخل التَّخلط في إيمانه، وذهب الوَقَار، وانتقص من كلِّ شيء بمنزلة الشَّمس ينكسف طرف منها، فبقدر ما انكسف -ولو كرأس إبرة- يُنقص من شعاعها وإشراقها على أهل الدُّنيا، وخلص النُّقصان إلى كلِّ شيء في الأرض، فكذا نور المعرفة ينقص بالذَّنب على قَدْره، فيصير قلبه محجوبًا عن الله، فزوال الدُّنيا بكُلِّيتها أهون من ذلك، فلا يزال ينقص ويتراكم نقصانه وهو أبله لا ينتبه لذلك، حتى يستوجب الحرمان.

٣-الغَضَب، قال أهل العلم: (اتَّقوا الغَضَب؛ فإنَّه يفسد الإيمان، كما يُفسد الصَّبر العسل. فالغَضَب يؤثِّر على البدن حتى يُعمِي البصر، ويُصِمُّ الآذان، ويخرِس اللِّسان، ويُعجِز الإنسان؛ فيُفقِده الوَقَار.

٤-كثرة المزَاح: فالإكثار من المزاح يؤدِّي إلى سقوط الوَقَار، فقد قال عمر رضي الله عنه: مَن مَزَح استُخِفَّ به.

٥-الطَّيْش وضدُّه الوَقَار، وهو الحِلْم والرَّزَانَة، فلازم كون الطَّيش ضدُّ الوَقَار أنَّه يمنعه؛ إذ لا يجتمع ضدَّان، ولا يليق لهما أن يجتمعا.

٦- سماع الغناء والميل إليه: فبينما ترى الرَّجل وعليه سِمَة الوَقَار، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا سمع الغناء ومال إليه، نقص عقله، وقلَّ حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلَّى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله إيمانه، وثُقل عليه قرآنه، وقال: يا رب! لا تجمع بيني وبين قرآن عدوِّك في صدر واحد.

الوسائل المعينة على التَّحلِّي بالوَقَار

١- السَّكينة: فإنَّها تُثمر الخشوع، وتَجْلب الطُّمأنينة، وتُلبس صاحبها ثوب الوَقَار.قال ابن القيِّم:(السَّكينة إذا نزلت على القلب اطمأنَّ بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوَقَار، وأنطقت اللِّسان بالصَّواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخَنَا والفحش واللَّغو والهُجْر وكلِّ باطل.

٢-اتِّباع آثار الأنبياء والصَّالحين الذين تحلَّوْا بالوَقَار:عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال :إنَّ الهدي الصَّالح والسَّمت الصَّالح والاقتصاد جزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النُّبوَّة.

٣- الخشوع في الطَّاعات، والإكثار من الصَّالحات.

٤- طلب العلم:عن الحسن قال: (قد كان الرَّجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعه، وهديه، ولسانه، وبصره، وبِزِّه).

٥- الحياء: قال القرطبيُّ: (إنَّ من الحياءما يحمل صاحبه على الوَقَار، بأن يوقِّر غيره، ويتوقَّر هو في نفسه).

٦- البعد عن الغَضَب، والطَّيش والنَّزَق: فإنَّ ذلك ينافي الوَقَار والهيبة، وقال طاهر بن الحسين يوصي ابنه عبد الله: (واملك نفسك عن الغَضَب وآثِر الوَقَار والحِلْم. وإيَّاك والحدَّة والطَّيش والغرور فيما أنت بسبيله).

٧- التزام الصَّمت وقلَّة الكلام: إلَّا فيما يعني، كلُّ ذلك من سِمَات الوَقَار وعلاماته، لذا قالوا: (الصَّمت زين الحِلْم وعُودَة العلم، يُلزِمك السَّلامة، ويُصحِبك الكرامة، ويكفيك مؤنة الاعتذار، ويُلبسك ثوب الوَقَار.

٨- الحِلْم : فهو وسط بين الاستشاطة والانفِراك، وهي حالة تكسب النَّفس الوَقَار. وقد قيل: فإنَّ من عُرف بالصِّدق صار النَّاس له أتباعًا. ومن نُسب إلى الحِلْم أُلبس ثوب الوَقَار والهيبة وأبَّهة الجلالة، ومن عُرف بالوفاء استنامت بالثِّقة به الجماعات، ومن استعزَّ بالصَّبر نال جَسيمات الأمور.

٩- الصِّدق فإنَّ صدق اللَّهجة عنوان الوَقَار.

١٠- تعظيم الحرمات.

فوائد الوَقَار:

١-الوقار علامة على وجود الحياء، قال ابن حجر: (أنَّ من الحياء ما يحمل صاحبه على الوَقَار، بأن يوقِّر غيره، ويتوقَّر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أن يَسكن عن كثيرٍ ممَّا يتحرَّك النَّاس فيه من الأمور التي لا تليق بذي المروءة).

٢- ويقول المناوي:

(الحياء زينة)؛ لأنَّه من فِعْل الرُّوح، والرُّوح سماويٌّ نورانيٌّ جميلٌ، والحياء خجل الرُّوح من كلِّ أمرٍ لا يصلح في السَّماء، فهو يخجل من ذلك، فهذا يزيِّن الجوارح، فهو زينة العبد، فمنه الوَقَار والحِلْم، وكفى بهما زينة، وما أحسن قول نَفْطَويه:

وعقل المرء أحسن حليتيه..... وزَين المرء في الدُّنيا الحياء

٣-الوَقَار يكسو الرَّجل هيبةً وبهاءً، ويعطيه سَمْتًا حسنًا، وهذا داعية لسماع قوله، وقبول نصحه، واحترامه وتقديره.

٤-الوَقَار يصون العبد عن المنكرات والرَّذائل، والاحتكاك بما يدنِّس بالنَّفس، ويقلِّل من هيبتها.
٥- والوقاريطبع الحبَّ في قلوب الآخرين للشَّخص المتَّصف بالوَقَار، ويُكسبه المهابة بين النَّاس.

٦-الوَقَار عزٌّ لصاحبه في الدُّنْيا والآخرة.

أقوال السَّلف والعلماء في الوَقَار

١-قال ذو النُّون: ثلاثةٌ من أعلام الوَقَار: تعظيم الكبير، والتَّرحُّم على الصَّغير، والتَّحلُّم على الوضيع.

٢عن عمران بن مسلم أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: تعلَّموا العلم، وعلِّموه النَّاس، وتعلَّموا له الوَقَار والسَّكينة، وتواضعوا لمن يعلِّمكم عند العلم، وتواضعوا لمن تعلِّموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

٣- قال ابن مفلح: وفي التَّفسير :(وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ) ٢٦ الأعراف، قالوا: الحياء. وقالوا: الوَقَار من الله، فمن رزقه الله الوَقَار، فقد وَسَمَه بِسِيما الخير. وقالوا: من تكلَّم بالحكمة لاحظته العيون بالوَقَار.

٤- قام جرير بن عبد الله رضي الله عنه، يوم مات المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه، فحمِد الله وأثنى عليه، وقال: (عليكم باتِّقاء الله وحده لا شريك له، والوَقَار والسَّكينة حتى يأتيكم أمير، فإنَّما يأتيكم الآن. ثمَّ قال :استعفوا لأميركم؛ فإنَّه كان يحبُّ العفو).

٥- قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن يكون ناطقًا كعيٍّ، وعالمًا كجاهل، وساكتًا كناطق؛ لأنَّ الكلام لا بدَّ له من الجواب، والجواب لو جُعل له جواب، لم يكن للقول نهاية، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية، والمتكلِّم لا يسلم من أن يُنسب إليه الصَّلف والتَّكلُّف، والصَّامت لا يليق به إلَّا الوَقَار وحُسْن الصَّمت، ولقد أحسن الذي يقول :

حتف امرئ لسانه..... في جِدِّه أو لعبه

٦- وقال ابن مفلح: قال ابن عقيلٍ -أيضًا- في الفنون :(لما رأينا الشَّريعة تنهى عن تحريكات الطِّباع بالرُّعونات، وكَسَرت الطُّبول والمعازف، ونهت عن النَّدب والنِّياحة، والمدح، وجرِّ الخُيلاء، فعلمنا أنَّ الشَّرع يريد الوَقَار دون الخلاعة.

٧-وقال الغزالي: آداب العالم: الاحتمال، ولزوم الحِلْم، والجلوس بالهيبة على سَمْت الوَقَار مع إطراق الرَّأس، وترك التَّكبُّر على جميع العباد، إلَّا على الظَّلمة زجرًا لهم عن الظُّلم، وإيثارًا للتَّواضع في المحافل والمجالس، وترك الهَزْل والدُّعابة، والرِّفق بالمتعلِّم، والتَّأنِّي بالمتعجرف، وإصلاح البليد بحُسْن الإرشاد، وترك الحَرْد عليه، ومؤاخذة نفسه -أولًا- بالتَّقوى ليقتدي المتعلِّم -أولًا- بأعماله، ويستفيد -ثانيًا -من أقواله.

٨- وقال أيضًا: الوَقَار وَسَط بين الكِبْر والتَّواضع.

الوقار في السنة النبوية :

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا قطُّ ضاحكا، حتى تُرى منه لهواته، وإنَّما كان يتبسَّم. هذا الحديث ذكره النَّوويُّ تحت باب الوَقَار والسَّكينة في كتابه رياض الصَّالحين وقد قال الشَّيخ ابن عثيمين مُعلِّقًا: (يعني: ليس يضحك ضحِكا فاحشًا بقهقهة، يفتح فمه حتى تبدو لَهاته ولكنَّه صلى الله عليه وسلم كان يبتسم أو يضحك حتى تبدو نواجِذه، أو تبدو أنيابه، وهذا من وَقَار النَّبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا تجد الرَّجل كثير الكَركَرة -الذي إذا ضحك، قهقه وفتح فاه-يكون هيِّنًا عند النَّاس، وضيعًا عندهم، ليس له وقار، وأمَّا الذي يُكثر التَّبسُّم في محله، فإنَّه محبوبٌ، تنشرح برؤيته الصُّدور، وتطمئنُّ به القلوب).

قال ابن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث: أنَّه صلى الله عليه وسلم كان - في مُعْظَم أحواله - لا يزيد على التَّبسُّم، ورُبَّما زاد على ذلك، فضحك، والمكروه من ذلك إنَّما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه؛ لأنَّه يُذهب الوَقَار.

٢-عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال :إنَّ الهَدي الصَّالح والسَّمت الصَّالح والاقتصاد جُزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النُّبوَّة(حسنه الألباني). أي :أنَّ

هذه الأخلاق الكريمة هي من صفات الأنبياء وآدابهم، لذا طُلب من أتباع الأنبياء أن يقتدوا بهم، وأن يأخذوا بهذه الخصال الكريمة، فالمقصود أنَّهم يتَّبعونهم، ويسيرون على منهجهم، ويقتدون بهم في الأخلاق والأفعال والسِّمات والهدي والوَقَار، فالهدي الصَّالح هو الطَّريقة الصَّالحة .ويقال: هَدْي الرَّجل: حاله ومذهبه، أي: الحالة والطَّريقة التي هو عليها والسَّمت: الهيئة الحسنة، والوَقَار والسَّكينة التي تكون فيه.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال :أتاكم أهل اليمن، هم أرقُّ أفئدةً، وألين قلوبًا. الإيمان يمان، والحكمةيمانيَّة، والفخر والخُيَلاء في أصحاب الإبل، والسَّكينة والوَقَار في أهل الغنم(متفق عليه).

تخصيص الخُيَلاء بأصحاب الإبل، والوَقَار بأهل الغنم، يدلُّ على أنَّ مخالطة الحيوان تؤثِّر في النَّفس، وتعدي إليها هيئاتٍ وأخلاقًا تناسب طباعها، وتلائم أحوالها، قلت: ولهذا قيل: الصُّحبة تؤثِّر في النَّفس، ولعلَّ هذا -أيضًا- وجه الحكمة في أنَّ كلَّ نبيٍّ رعى الغنم، وخلاصة الكلام ورابطة النِّظام بين فصول الحديث: أنَّ أهل اليمن يغلب عليهم الإيمان والحكمة، كما أنَّ أهل الإبل يغلب عليهم الفَّخْر، وأهل الغنم يغلب عليهم السُّكون، فمن أراد صُحبة أهل الإيمان والعِرْفان، فعليه بمصاحبة نحو أهل اليمن على وجه الإيمان.

قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ وَكُونُوْا مَعَ الصَّادِقِينَ)التَّوبة: ١١٩

٤-وعن أبي هريرة، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال:(

إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصَّلاة وعليكم بالسَّكينة والوَقَار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا).

قال النَّوويُّ: (الوَقَار في الهيئة وغض البصر، وخفض الصَّوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك، والله أعلم).

٥- النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يتصف بالوقار، وكان نموذجًا يقتدى به، ففي وصف أمِّ معبد للنَّبي صلى الله عليه وسلم قالت:

(إن صَمَت فعليه الوَقَار، وإن تكلَّم سَمَاه وعلاه البهاء، أجمل النَّاس وأبْهَاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حُلْو المنْطِق، فصلًا لا نَزْر ولا هَذر ، كأن مَنْطِقه خرزات نظمٍ يتحدَّرن، رَبْعة).

٦- عن سعيد بن المسيَّب، قال:

(كان إبراهيم أوَّل النَّاس أضاف الضَّيف، وأوَّل النَّاس قصَّ شاربه وقلَّم أظفاره واستحدَّ، وأوَّل النَّاس اختتن، وأوَّل النَّاس رأى الشَّيب، فقال: يا رب، ما هذا؟ قال: الوَقَار، قال: رب! زدني وقارًا. وسأله -عليه السَّلام- الزيادة منه؛ إذ قد علم أنَّ الوَقَار محمودٌ مأمورٌ به، من هدي الصَّالحين، ولعلَّه أراد أن يزيده من الشَّيب الذي هو الوَقَار.

الوقار في القرآن الكريم:

١- قال تبارك وتعالى : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاما{٦٣} الفرقان.

في هذه الآية الكريمة يصف الله عباده المكرمين، وأولياءه الصَّالحين، فكانت أوَّل صفة امتدحهم بها الله تبارك وتعالى هي صفة الوَقَار، (والمعنى :أنَّهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم، ولا يَخْفِقون بنعالهم أشَرًا وبطَرًا)

٢- قال ابن كثير: هذه صفات عباد الله المؤمنين الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا أي: بسكينة ووقار من غير جبريَّة ولا استكبار، كما قال تعالى : وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً{٣٧}الإسراء

وقد كره بعض السَّلف المشي بتضعُّف وتصنُّع، حتى رُوي عن عمر أنَّه رأى شابًّا يمشي رويدًا، فقال: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! فعلاه بالدِّرَّة، وأمره أن يمشي بقوَّة. وإنَّما المراد بالهَوْن -هاهنا- السَّكينة والوَقَار.

٣- وقال الله تبارك وتعالى وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{١٩}لقمان

هذه إحدى وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، وفيها أمرٌ بالسَّكينة والوَقَار حال مَشْيه بين النَّاس.

قال البغوي: أي: ليكن مَشْيك قصدًا لا تخيُّلًا ولا إسراعًا.

وقال الخازن:أي: ليكن في مِشْيتك قصدٌ بين الإسراع والتَّأنِّي، أمَّا الإسراع فهو من الخُيَلاء، وأمَّا التَّأنِّي فهو أن يُرَى في نفسه الضَّعف تزهُّدًا، وكلا الطَّرفين مذمومٌ، بل ليكن مَشيك بين السَّكينة والوَقَار.

;;;

٨- الرحمة :

والرحمة هي الرقة والتعطف أي رقة القلب وعطفه، ومن الرحمة يشتق الرحمن والرحيم وهما من أبرز أسماء الله الحسنى وأشهرها بعد لفظ الجلالة (الله) وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في جميع فواتح السور (بسم الله الرحمن الرحيم) ماعدا سورة التوبة التي نزلت بدون البسملة ، كما ذكر اسم الرحمن واسم الرحيم منفصلين في الكثير من الآيات القرآنية .

والمصلي يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم ، فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه ، فإذا أدى السنن زاد عن ذلك .والرحمن أخص من الرحيم وأكثر مبالغة منه ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى.

لقد كان الدعاء بالرحمة قاسمًا مشتركاً بين جميع الأنبياء والرسل بل وبين جميع الخلق منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة .

دعا بها آدم وحواء :

(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة الأعراف آية ٢٣ .

ودعا بها سيدنا نوح(وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة هود آية ٤٧ .

ودعا بها سيدنا يونس (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ) سورة يونس آية ٨٦ .

ودعا بها سيدنا (لِمُوسَىٰ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْلَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِيْنَ) سورة الأعراف آية ١٥٥

ودعا بها سيدنا سليمان :(وَأَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ) سورة النمل آية ١٩ .

ودعا بها أصحاب الكهف(فَقَالُوْا رَبَّنَا آتِنَامِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) سورة الكهف آية ١٠ .

الرحمة في الكتاب والسنة

١- قال تعالى :

قُلِادْعُوا اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا{١١٠}الإسراء

٢- والدعاء بالرحمة على لسان رسولنا الكريم يتكرر بأساليب مختلفة ، قال تعالى: وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْوَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ{١١٨}المؤمنون

٣- ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام المأثورة :(اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) رواه أبو داود بإسناد جيد.

٤- وقوله (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) أخرجه النسائي والحاكم وصححه الطبراني بإسناد صحيح .

٥- وبها يدعو المؤمنون(وَعَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلى الْقَوْمِ الْكافِرِيْنَ) سورة البقرة آية ٢٨٦ و(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) سورة آل عمران آية ٨ .

٦- وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) رواه الترمذي .

٧- في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه .

٨- وربنا سبحانه متصفٌ بالرحمة صفةً لا تشبه صفات المخلوقين، فهو أرحم الراحمين، وخير الراحمين، وسعت رحمته كل شيء، وعمّ بها كل حي، وملائكة الرحمة -وهي تدعو للمؤمنين- أثنت على ربها، وتقربت إليه بهذه الصفة العظيمة قال تعالى :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ{٧}غافر

٩- وفي الحديث القدسي: (إن رحمتي تغلب غضبي) مخرَّج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي التنزيل العزيز: وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ{١١٨} المؤمنون وقال تعالى : قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ{٦٤} يوسف

١٠- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

قدم رسول الله بسبي، فإذا امرأةٌ من السبي تسعى قد تحلَّب ثديها، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟) قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال: (فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها) أخرجه البخاري.

١١- قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ[يونس:٥٧، ٥٨].

١٢- وأرسل الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرحمة، فهو نبي الرحمة للعالمين أجمعين، قال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ{١٠٧}الأنبياء ، بعثه ربه فسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خُلُقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الرحمن رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً ،قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ{١٥٩}آل عمران .

١٣- وقال تعالى لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ{١٢٨}التوبة

١٤- والإسلام رسالة خير وسلام ورحمة للبشرية كلها، دعا إلى التراحم، وجعل الرحمة من دلائل كمال الإيمان فعن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول(لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح .

١٥- ليس المطلوب قصر الرحمة على من تعرف من قريب أو صديق، ولكنها رحمة عامة تسع العامة كلهم، وأحاديث رسول الله تُبرز هذه العموم في إسداء الرحمة، والحث على إفشائها وانتشارها. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) متفق عليه، وفي

الحديث الآخر: (من لا يرحم لا يُرحم)، يقول ابن بطال رحمه الله: "في هذا الحديث الحضّ على استعمال الرحمة للخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك فيها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والمساعدة في الحمل وترك التعدي بالضر.

١٦- ورحمة الله تُستجلب بطاعته وطاعة رسوله محمد ، والاستقامة على أمر الإسلام قال تعالى : وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{١٣٢}آل عمران.كما تُستجلب بتقوى الله، قال تعالى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{١٠}الحجرات.

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢٨} الحديد

١٧- ومن جالبات رحمة الله إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١}التوبة والعبد بذنوبه وتقصيره فقير إلى رحمة الله،قال تعالى :قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{٤٦}لنمل

١٨- ومن أعظم ما تُستجلب به رحمة الله -عباد الله- الرحمة بعباده، ففي الحديث الصحيح: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود والترمذي.

١٩- وأولى الناس وأحقهم بالرحمة الوالدين، فبرهما تُستجلب الرحمة، وبالإحسان إليهما تكون السعادة، قال تعالى :

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا{٢٤}الإسراء.

٢٠- ثم من بعد ذلك الأولاد فلذات الأكباد، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول: (اللهم

ارحمها، فإني ارحمها) أخرجه البخاري. وقبَّل رسول الله الحسن والحسين رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد، ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله وقال: (من لا يَرحم لا يُرحم)، وفي رواية:(أَوَ أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!) مخرج في الصحيحين من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

٢١- ويرتبط بالوالدين والأولاد حق ذوي الأرحام، فالرحم مشتقة من الرحمة في مبناها، فحري أن تستقيم معها في معناها، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

إن الغلظة والجفاء والقطيعة والصدود في حق ذي الرحم تحرم العبد بركة الله وفضله، وتعرّضه لسخط الله ومقته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب إني قطعت يا رب إني أسيء إلي يا رب إني ظلمت يا رب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) رواه أحمد بإسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه.

٢٢-ومن مواطن الرحمة إحسان معاملة الخدم، والترفق بهم فيما يكلّفون به من أعمال، والتجاوز عن هفواتهم، وليحذر المرء من سطوة التصرف، فيسخّرهم ويسخر منهم، فإن الله إذا ملك أحداً شيئاً فاستبد به وأساء سلبه ما ملك، ويُخشى عليه من سوء المنقلب.

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (خدمتُ رسول الله عشر سنين، فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لي لشيء صنعتُه: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟) رواه مسلم.

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود قال بن المثنى مرتين لله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى قال أما إنك لو لم تفعل للفعتك النار أو لمستك النار (صححه الألباني).

٢٣- وفي الناس أقوام شداد قساة ينتهزون بعض الخدم، فيوقعون بهم أنواع الأذى، وقد شدد الإسلام في ذلك وغلّظ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن.

٢٤- وممّن تتطلب حالتهم الرحمة المرضى وذوو العاهات والإعاقات، فهم يعيشون في الحياة بوسائل منقوصة، تعوق مسيرهم، وتحول دون تحقيق كل مقاصدهم، وتضيق بها صدورهم، وتحرج نفوسهم، فيجب الترفق بهم، والحذر من الإساءة إليهم، أو الاستهانة بمتطلبات راحتهم، فإن القسوة معهم جرم عظيم ، قال تعالى: عَلِيمٌ{٦٠}لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ....{٦١}النور

٢٥- أما الصغار والأطفال فإنهم محتاجون إلى عناية خاصة، ورحمة راحمة، فليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا، والنفوس ذات الفطر السليمة تتعلّق بالصغير حتى يكبر، والمريض حتى يُشفى، والغائب حتى يحضر، وفي الحديث: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا) أخرجه أحمد والترمذي.

٢٦- وهذه قصةلامرأة بغيّ سقت كلباً فغفر الله لها، ونار جهنم فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، لا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإذا كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب، وفي المقابل، فإذا كان حبس هرة أوجب الناس، فكيف بحبس البرآء من البشر ؟!

٢٧- وتترقَّى تعاليم ديننا في الرحمة بالبهائم حتى في حال ذبحها، والمشروع من قتلها، يقول عليه الصلاة والسلام: عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم(إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) صححه الألباني .

٢٨- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه يشكو قسوة قلبه فقال له(أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك)صححه الألباني .

قصص عن الرحمة

١- دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فوجده يقَبِّلُ حفيده الحسن بن علي -رضي الله عنهما- فتعجب الرجل، وقال: والله يا رسول الله إن لي عشرة من الأبناء ما قبَّلتُ أحدًا منهم أبدًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يرْحم لا يرْحم) .

٢- يحكي لنا النبي صلى الله عليه وسلم قصة رجل غفر اللهله؛ لأنه سقى كلبًا عطشان، فيقول صلى الله عليه وسلم:

(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خُفَّهُ (حذاءه) بالماء، ثم أمسكه بفيه (بفمه)، فسقى الكلب، فشَكَر اللهُ له، فغَفَر له.فقال الصحابة: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ قال : في كل ذات كبد رطبة أجر (يقصد أن في سقي كل كائن حي ثوابًا)(صحيح البخاري).

ويقول الشاعر:

ارحم بُنَي جميع الخلق كُلَّهُمُ .....وانْظُرْ إليهم بعين اللُّطْفِ والشَّفَقَهْ
وَقِّرْ كبيرَهم وارحم صغيرهم .....ثم ارْعَ في كل خَلْق حقَّ مَنْ خَلَقَهْ

٣- وتحكي السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، فتقول: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادمًا له قط ولا امرأةوكان النبي صلى الله عليه وسلم يقَبِّلُ ابنه إبراهيم عند وفاته وعيناه تذرفان بالدموع؛ فيتعجب عبدالرحمن بن عوف ويقول: وأنت يا رسول الله ؟!فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: يابن عوف، إنها رحمة، إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون (البخاري) .

٤- وكان صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلاة، وهو ينوي إطالتها، فإذا سمع طفلاً يبكي سرعان ما يخففها إشفاقًا ورحمة على الطفل وأمه. قال صلى الله عليه وسلم:

إني لأدخل في الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي؛ فأتجوَّز لما أعلم من شدة وَجْدِ أمه من بكائه (متفق عليه).

٥- وهذه قصة لامرأة بغيّ سقت كلباً فغفر الله لها، ونار جهنم فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، لا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإذا كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب، وفي المقابل، فإذا كان حبس هرة أوجب الناس، فكيف بحبس البرآء من البشر ؟!

٦- كان أحد العلماء قد خرج الى السفر ومعه متاعه وكتبه وهجم عليه بعض اللصوص واخذوا ما عنده من أكل ومال وكتب ثم اخذوا يطهون الطعام ويأكلون إلا كبير اللصوص أخذ جانبا ولم يأكل سأله العالم لماذا لاتأكل أخبره بمفاجاة هى أنه صائم اليوم لأنها سنة فتبسم العالم ولسان حاله يقول تقطع الطريق وتصوم!! المهم بعدها خمس سنين رأى العالم السارق يطوف حول الكعبة ويتذلل لله ويبكى فعرفه وقال له: أنت اللص قال :نعم قال :كيف وصلت لما انت عليه .قال يا إمام: لقد تركت بابا مفتوحا مع الله فدخلت إليه من خلاله ألا هو الصيام ياإلهى كم أنت من رب عظيم.. اتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

أن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها ذراعا فيسبق عليه الأجل فيعمل عمل أهل النار فيدخلها .. اخي لاتغتر بطاعتك وادعو ربك الثبات والصدق والقبول والإخلاص.

٧- كان أحد الصالحين جار لأحد الفسقة الذين أدمنو الخمر .. والمعاصى. فلما مات هذا العاصى وطلب الناس من هذا الصالح أن يصلى عليه.. تأفف الصالح وقال هذا رجل فاسق كيف أصلى عليه، وفى تلك الليلة ..نام هذا الرجل الصالح.... وفى المنام رأى مفاجاة وهى أن هذا الفاسق كان يصلى فى الجنة جن الجنون هذا الرجل الفاسق فذهب إلى امراة الفاسق ، وسألها ماذا كان يفعل زوجك .. قالت ما كان يفعل إلا ما رأيتم إلا إنه كان كل أسبوع يجمع أطفال الحى اليتامى ويقول لهم ادعو لعمكم عسى أن يغفر الله له. أخى لا تستقل الخير فقد يكون سببا فى دخو ل الجنة.

٨- جاءت امرأة إلى داود عليه السلام قالت: يا نبي الله هل ربك ظالم أم عادل ؟ فقال داود: ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور،ثم قال لها ما قصتك قالت: أنا أرملة عندي ثلاث بنات

أقوم عليهن من غزل يدي فلما كان أمس شدّدت غزلي في خرقة حمراء و أردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه و أبلّغ به أطفالي فإذا أنا بطائر قد انقض عليّ و أخذ الخرقة و الغزل و ذهب،و بقيت حزينة لاأملك شيئاً أبلّغ به أطفالي.فبينما المرأة مع داود عليه السلام في الكلام إذا بالباب يطرق على داود فأذن له بالدخول وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده : مائة دينار فقالوا يا نبي الله أعطها لمستحقها.فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال قالوا يا نبي الله كنا في مركب فهاجت علينا الريح و أشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء و فيها غزل فسدّدنا به عيب المركب فهانت علينا الريح و انسد العيب و نذرنا لله أن يتصدّق كل واحد منا بمائة دينار و هذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت، فالتفت داود- عليه السلام- إلى المرأة و قال لها: رب يتجر لكِ في البر والجر و تجعلينه ظالمًا، و أعطاها الألف دينار و قال: أنفقيها على أطفالك.

٩- ذكروا أن موسى عليه السلام، كان هناك رجلاً من قومه يؤذيه بأنواع من الأذى و موسى يحاول أن ينصحه وأن يكف عنه شره وذاك الرجل يزداد سوءاً وشراً فاشتكى موسى إلى الله تعالى قال (يارب إن فلان فعل كذا وكذا فيارب خلصني منه) فأوحى الله تعالى إلى موسى قال له(يا موسى قد جعلت عقابه إليك) أي أنت تريد به عقوبة معينه فلك ذلك ، فرآه موسى عليه السلام في وسط الطريق يوماً فأقبل ذلك الرجل كعادته يسب موسى عليه السلام ويتنقصه فغضب موسى عليه السلام فقال يا أرض خذيه ، قالوا فانشقت الأرض فدخل الرجل إلى ركبتيه فصاح قال: يا موسى تبت، يا موسى أغثني، فقال موسى: يا أرض خذيه، فانشقت الأرض ودخل إلى حقويه فلا زال يستغيث يا موسى تبت، وموسى عليه السلام لا يستجيب له حتى بلعته الأرض كله، فأوحى الله تعالى إلى موسى ، قال يا موسى: ما أقسى قلبك ، وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته.

١٠-روي أن النبي سليمان بن داود عليهما السلام جلس يوماً عند ساحل البحر فرأى نملة في فمها حبة حنطة تذهب إلى البحر فلما بلغت إليه خرجت من الماء سلحفاة و فتحت فاها فدخلت فيه النملة و دخلت السلحفاة الماء و غاصت فيه فتعجب سليمان من ذلك و غرق في بحر من التفكر حتى خرجت السلحفاة من البحر بعد مدة و فتحت فاها و خرجت النملة من فيها و لم تكن الحنطة معها.فطلبها سليمان و سألها عن ذلك فقالت: يا نبي الله إن في قعر هذا البحر حجراً مجوفاً و

فيه دودة عمياء خلقها الله تعالى فيه و أمرني بإيصال رزقها... و أمر السلحفاة بأن تأخذني و تحملني في فيها إلى أن تبلغني إلى ثقب الحجر فإذا بلغته تفتح فاها فأخرج منه و أدخل الحجر حتى أوصل إليها رزقها ثم أرجع فأدخل في فيها فتوصلني الى البرفقال سليمان: هل سمعت منها تسبيحاً ؟ قالت: نعم تقول يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجة لا تنسى عبادك المؤمنين برحمتك يا أرحم الراحمين سبحان الله العظيم رب العرش الكريم اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

;;;

٩- العدل :

فإن الوفاء بالعهد ، والصدق في القول ، والعدل في المعاملة ، من القواعد المرعية في الشريعة الإسلامية، وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن والسنة تبيّن ذلك وتحثُّ عليه، وأجمع المسلمون على ذلك.

العدل في الكتاب والسنة

قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{٩٠}النحل

والآية تأمر بالعدل، وهو القسط والتسوية في الحقوق، وإيصال الحق إلى أهله، كما تأمر بالإحسان، وهو الفضل ومقابلة الخير بأكثر منه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.والآيات الآمرة بالعدل في كتاب الله عامة تشمل العدل مع جميع الناس، وفي جميع القضايا، بل إن الله تعالى أمر بالعدل في معاملة المخالفين، وإن كانوا لنا أعداءً.

قال الله تعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىأَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَأَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَاتَعْمَلُونَ }المائدة٨

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم؛ فتتجاوزوا ما حدَّدت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددَّتُ لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري.ولا يحملنكم عداوة قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم وسيرتكم بينهم؛ فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة (تفسير ابن جرير).

وقال الفخر الرازي: والمعنى لا يحملنكم بُغْض قوم على أن تجوروا عليهم، وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم، وإن أساءوا إليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم، فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى إلى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدًا إلا على سبيل العدل والإنصاف، وترك الميل والظلم والتعسف(تفسير الرازي).

والناظر يلمس بوضوح أن أئمة المسلمين وعلماؤهم فهموا من الآيات الواردة والآمرة بالعدل في كتاب الله شمولها للمؤمن وغيره، وعليه فلا عذر لمؤمن في ترك العدل أبدًا حتى ولو كان في الشهادة لكافر، والله تبارك وتعالى بيَّن ذلك في كتابه، وقال فيه لنبيه وحبيبه :

إِنَّا(أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)١٠٥النساء

والآية تنص على أنه يجب الحكم بالحق والعدل، حتى ولو كان المحكوم عليه من غير المسلمين، فالعدل مع جميع الناس واجب ومطلوب، وهذا من الأسس الأخلاقية الرفيعة التي قررها الإسلام في التعامل بين الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، فالاختلاف في الدين، بل والعداوة، لا تمنع المسلم من إقامة العدل والإنصاف وتحقيقه، وقد أمر الله صراحة المسلمين بالبر والعدل مع المسالمين من غير المسلمين، كما في قوله تعالى(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)٨ الممتحنة .

قال ابن كثير في معنى الآية: أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء، والضعفة منهم أن تبروهم أي تحسنوا إليهم، وتقسطوا إليهم أي تعدلوا، ثم ساق حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهو في الصحيحين، وفيه أنها قالت :قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي، فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلّي أمك(متفق عليه). تفسير ابن كثير.

وقال القاسمي رحمه الله في معنى الآية: أي لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من أهل مكة، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، أي تُفْضُوا إليهم بالبر، وهو الإحسان، والقسط وهو العدل، فهذا القدر من الموالاة غير منهي عنه، بل مأمور به في حقهم، والخطاب وإن يكن في مشركي مكة، إلا أن العبرة بعموم لفظه، وقد حاول بعض المفسرين تخصيصه؛ فرد ذلك الإمام ابن جرير بقوله والصواب قول من قال عنى بقوله تعالى(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ) جميع أصناف الملل والأديان، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، فإن الله عز وجل عَمَّ بقوله(الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميعَ من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض(تفسير القاسمي). وقد قرر النبي في سنته مبدأ العدل، ودعا إليه، وذكر عاقبة أهله، ففي حديث عبد الله بن عمرو

بن العاص رضي الله عنهما أن النبي قال :إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وُلُّوا(مسلم).

قال النووي رحمه الله: والمقسطون هم العادلون، وأما قوله الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا، فمعناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة، أو نَظَر على يتيمٍ أو صدقةٍ أو وقفٍ، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك، والله أعلم (شرح النووي على مسلم).

وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منه مبادئ العدل والقسط، وطبقوا ذلك في حياتهم حتى مع أعدائهم، ولنتأمل هذه القصة التي وقعت في عهده من بعض صحابته، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله، فأقرهم رسول الله كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة، فخرصها عليهم الخَرْصُ تقدير حق المسلمين من تمر خيبر، ثم قال لهم :يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إليَّ، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بُغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض قد أخذنا، فاخرجوا عنا (مسند أحمد، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط إسناده قوي على شرط مسلم).

وهذه شهادة من اليهود بحكم المسلمين بالعدل، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه مع بُغْضه لليهود؛ تحرى الحق والعدل معهم، وهذا من الإنصاف مع المخالف.

ومن مقتضيات العدل مع المخالفين ذكر محامد المخالف ومحاسنه، ومن ذلك ما ذكره النبي في النجاشي حين أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة البيهقي في السنن الكبرى وصححه الألباني، وقد ذكر لهم صدقه وعدله وأنه لا يظلم، والنجاشي كان نصرانيًّا آنذاك.

ومن مقتضيات العدل والإنصاف أيضًا مع المخالفين قبول الحق منهم، ومن ذلك ما جاء عن "قتيلة" امرأة من جهينة، أن يهوديًّا أتى النبي فقال :إنكم تنِدِّدون وإنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة، ويقولوا ما شاء الله ثم شئت(أخرجه النسائي في الأيمان والنذور وصححه الألباني).

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها :أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر، قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر(البخاري).

ففي الحديثين تأكيد لقبول الحق بغض النظر عمن صدر منه هذا الحق، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إ ذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق (منهاج السنة النبوية).

بل إن النهج النبوي ذهب إلى أبعد من ذلك في قبول الحق من قائله، حتى ولو كان القائل هو الشيطان، كما في البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله فقص الحديث، فقال:إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي: صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان (البخاري) فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بيّن لأبي هريرة رضي الله عنه أن ما ذكره الشيطان له في فضل آية الكرسي حقّ، على الرغم من كذب الشيطان وفجوره، ولم يمنع النبيّ أبا هريرة من قبول كلامه إذ إنه حق وصدق، والحديث بهذا يدل على قبول الحق من المخالفين.

وابن القيم رحمه الله يوضح أن هذا من الإنصاف والعدل مع المخالف أيًّا كان هذا المخالف، وفي هذا يقول رحمه الله: والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يقول:(وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)١٥الشورى. فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف، وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه، وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبه، يسير بسيره، وينزل بنزوله.

ويقول رحمه الله في موطن آخر، وهو يبين منهج أهل السنة في التعامل مع النصوص والمخالفين لهم والاختلاف المذموم كثيرًا ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق؛ فلا يقر له خصمه به، بل

يجحده إياه؛ بغيًا ومنافسة فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه، وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق؛ فإنهم يعلمون الحق من كل ما جاء به، فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم، فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم:﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾٢١٣ البقرة. فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون (الصواعق المرسلة).

وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة، وكلها تبين بوضوح وجلاء عظمة الإسلام وسماحته في علاقته وتعامله مع الناس كافة، وقد تضمنت شريعة الإسلام كمًا هائلاً وعظيمًا من التشريعات التي كان هدفها وغايتها رعاية الحق وإقامة العدل، ودفع الظلم والبغي والعدوان بين أتباع الديانات الأخرى ممن يعيشون في مجتمع المسلمين، وقد تعلم المسلمون من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن يعاملوا غيرهم بيسر وسماحة وحسن معاشرة، والإسلام في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له، ومن ثم لم يكرهه على الدخول في دين نبي الإسلام.

ولذلك لم يقم الإسلام بمصادرة حقوق المخالفين له، أو تحويلهم بقوة جبرية وإكراه عن معتقداتهم، بل نهى عن التعرض لأموالهم وأعراضهم ودمائهم بغير حق، وقد فَقُهَ أئمة المسلمين هذه المعاني على مدار التاريخ كله، فلم يظلموا أحدًا من المخالفين، وسيرتُهم تؤكد ذلك، وهذه بعض أقوالهم في العدل والدعوة إليه. يقول ابن حزم رحمه الله: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإيثاره(مداواة النفوس).

وقال ابن تيمية رحمه الله: بالصدق في كل الأخبار، والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال تصلح جميع الأعمال، وهما قرينان كما قال الله تعالى:(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا)١١٥الأنعام.

؛؛؛

١٠- الشّجاعة :

الشجاعة خُلُق كريم ووصْف نبيل، يَحمل النفس على التحلّي بالفضائل، ويَحرسها من الاتّصاف بالرذائل، وهي ينبوع الأخلاق الكريمة والخِصال الحميدة، وهي من أعزِّ أخلاق الإسلام، وأفخر

أخلاق العرب، وهي الإقدام على المكاره، وثَبات الجأش على المخاوف، والاستهانة بالموت، إنَّها سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة السليمة والعيشة الرضية على الأرض، لأنَّها تَجعل الإنسان يُدافِع عن حياته، فالشجاعة غريزة يَضعها الله فيمَن شاء من عباده.

يقول عمر بن الخطاب: إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزٌ في الرجال(سنن الدار قطني).

والعرب يقولون :إن الشجاعة وقاية، والجُبن مَقتلةٌ .قال أحد الحكماء: اعلَم أن كل كريهة تُرفَع أو مَكْرمة تُكتَسب، لا تتحقَّق إلا بالشجاعة، ورؤوس الأخلاق الحسنة، أوَّلها الصبر؛ فإنَّه يَحمِل على الاحتمال وكظْم الغيظ وكفِّ الأذى، ثم العِفَّة، وهي تَجنُّب الرذائل والقبائح، ثم الشجاعة، وهي صفةٌ تَحمِل على عزَّة النفس وإيثار معالي الأخلاق، ثم العدل، فإنَّه يَحمِل على الاعتدال والتوسُّط.

وقال بعضهم :الشجاعة صبر ساعة.

وقال المناوي في(التوقيف على مهمات التعاريف) الشجاعة: الإقدام الاختياري على مخاوف نافعة في غير مُبالاة.

وقال غيره :الشجاعة هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافعة تحصيلاً، وعلى الأمور السيئة دفْعًا، .

وقيل: هي جُرأة القلب وقوَّة النفس عند مواجهة الأمور الصعبة. وقال أرسطو: الشجاعة أُولى سماتِ البشر، فهي التي تَجعلُ بقيَّة السمات مُمكنة.

والحقيقة أن الشجاعة هيالقائدة إلى الأمام، والمُبوِّءة منصبَ الهمام، والقاضية على الذلِّ والهوان، وهي سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة وعمران الأرض، وهي من صفات الكمال والجمال، وبها اتَّصف الأنبياء والمرسلون، وامتاز بها سيِّدهم وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلّم يقول أنس رضي الله عنه :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجعَ الناس، قال: وقد فزِع أهل المدينة ليلة سَمِعوا صوتًا، قال: فتلقَّاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرسٍ لأبي طلحة عُرْي، وهو متقلِّد سيفَه، فقال: (لَمْ تُراعُوا، لَم تُراعوا)، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(وجدتُه بحرًا)؛ يعني: الفرس؛ صحيح البخاري، رقْم (٣٠٤٠)، وصحيح مسلم، رقم (٢٣٠٧)

وعن البراء رضي الله عنه قال: وكان إذا احمَرَّ لبأس، يُتَّقى به - يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وإنَّه الشجاع الذي يُحاذى به(الجهاد؛ لابن أبي عاصم، رقم ٢٥٠).

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أبطال الأمة وشجعانها: لقد رأيتُنا يوم بدر ونحن نلُوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربُنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يَومئذ بأسًا؛ مسند أحمد، رقم (٦٥٤).

وقد حثَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّته على الشجاعة، وجعَلها مَجلبة لحب الله ورضاه؛ يقول صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة يُحبُّهم الله - عز وجلَّ - وذَكر منهم: ورجل كان في سريَّة، فَلقوا العدوَّ، فهُزِموا، فأقبَل بصدره؛ حتى يُقتلَ، أو يَفتحَ الله له)؛ النسائي، رقم (٢٥٧٠)؛ مسند أحمد، رقم (٢١٣٥٥).

والشجاعة عزٌّ والجبْن ذلٌّ، وكفى بالعزِّ مطلوبًا ومقصودًا، وبالذلِّ مصروفًا عنه ومرغوبًا، والشجاع مُحبَّب إلى جميع الناس حتَّى إلى أعدائه، والجبان مُبغض حتى إلى أعمامه، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة، يقول: سمِعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (شرُّ ما في الرجل :شحٌّ هالع، وجبن طالع)، وكانت الشجاعة مفخرة العرب في الجاهلية أيضًا، يتفاخَرون بها، ويتمادحون.

يَقول السمؤَل:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ..... وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنا.....ولَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيل

وقال آخر:

وإنَّا لَنَسْتَحْلِي المَنَايا نُفُوسُنا ..... وَنَتْرُكُ أُخْرَى مُرَّةً لا نذوقها

وبها عاشت الأمة الإسلامية في القرون الأولى أحداثًا قادة، وشبابًا سادة، وكهولاً ذادة، وحازوا الشرف الشامخ والعزَّ الباذخ، فكان عزْمهم غيرَ مخلخَل، وشرَفهم غير مُزلزَل، وبها فتَحوا البلاد، وحكموا العباد، وقَضوا على الظلم والعدوان، وتمكَّنوا من الحُكم والسلطان، ولْيعلم أن القوة هي الوسيلة النافعة الناجِعة في تحقيق غريزة الشجاعة؛ لذا أمَر الله - سبحانه وتعالى - بإعداد القوة لصرْف الأعداء عن مُخطَّطاتهم العَدائية:

قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال ٦٠

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير)؛ صحيح مسلم، رقم(٢٦٦٤) ، وابن ماجه، رقم (٤١٦٨).

وبالشجاعة يتحقَّق للمرء ما لا يتحقَّق بدونها، وبها يستطيع أنْ يُضحِّي بماله ونفْسه وهذه أعلى مراتب الشجاعة؛ كما قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد - رضي الله عنهما -: "احرِص على الموتِ، تُوهب لك الحياة."

والشجاعة عبارة عن قوَّة القلب، وجُرأة النفس، وثَبات الجأش، بغضِّ النظر عن ظاهر الإنسان حجْمًا وشكلاً، وقد بيَّن هذا المعنى الشاعر العربي بقوله:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيْفَ فَتَزْدَرِيْهِ .....وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

وَيُعجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ..... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

لَقَدعَظُمَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ..... . فَلَم يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البعير

وكان الصحابة رضي الله عنهم قد نَالوا الحظ الأوفَر والنصيب الأكبر من هذا الخُلُق العظيم الذي كان عليه الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في القمة، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قيل له: كيف تصرع الأبطال؟ قال:إذا لقيتُ أحدًا كنتُ أَقدِر أنِّي أقتله، ويُقدِّر هو أنِّي قاتِله، فأجتمِع أنا ونفسه عليه، فنَهزمه،وقيل له رضي الله عنهإذا جالَت الخيل، فأين نَطلبك؟ قال: حيث تَركتُموني، وكان يقول: والذي نفس أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف، أهون عليَّ من مَوتة على فراش.

وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يُلقِي بنفْسه مُقتحِمًا حديقة المرتدِّين في حرب مُسيلِمة الكذاب، التي سُمِّيت حديقة الموت؛ لكثرة مَن مات فيها من الطرفين، واشتُهِر عنه أنه قتَل ١٠٠ من الشجعان مُبارزةً.

وهذا عمرو بن الجموح، يَمنعه أبناؤه من الخروج إلى ميدان القتال، والخوض في المعركة؛ لأنه لا يستطيع السَّير على ساقه العَرجاء، فيقول لهم: واللهإنِّي أريد أنْ أطأَ بعَرْجَتي هذه الجنة، واستأذن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في القتال، فأذِن له، وخرَج إلى ميدان القتال، فقاتَل بشجاعة حتى نال الشهادة في سبيل الله.

وهذا عبدالله بن رواحة، صَحابيٌّ جَليل، جاهَد في سبيل الله، وأبلى في معركة مُؤتة بلاء حسنًا، وكان يقول قبل أنْ ينزِل في المعركة:

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لتَنْزِلنَّهْ .....مَا لِي أَرَاكِ تَكرهِينَ الجَنَّة

يَا نَفْسُ إلا تُقْتَلِي تُمُوْتِي .....هَذَا حِمَامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ

وما تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ .....إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيت

والشَّجاعة تجعلُ الإنسان يَنطِق بالحقَّ، ويَتكلَّم بالصِّدق، وبها يَأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ كما قال الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم : (قُلِ الحق ولو كان مُرًّا).

وقال صلى الله عليه وسلَّم :(من رأى منكم منكرا، فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)؛ صحيح مسلم، ج (١)، ص (٦٩)، رقم (٧٨).

ويَقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : (سيِّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمَره ونهاه، فقتَله) مُسند أبي حنيفة؛ رواية أبي نُعيم، (١/ ١٨٧).

وقد عدَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم كلمة الحق عند السلطان الجائر من أفضل الجهاد، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم :(أفضل الجهاد كلمة عدْلٍ عند سلطان جائر أو أمير جائرٍ)؛ أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري، وصحَّحه الألباني، رقم (٤٣٤٤)، سنن الترمذي(٢١٧٤).

وهذه - لعَمْر الله - أعظم درجات الشجاعة، وهي أنْ تقِف للظالِم، فتَنْهاه عن ظُلمِه، لا يخوِّفنَّك بطشُه وسلطانه، لا تخشى إلا الله، ولا تُفكِّر إلا في مَرضاته، وترى هذه الشجاعة تتَجلَّى فيما يلي من القصة، يُروَى أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزَّع على الناس أثوابًا، وكان الثوب يَكفي الرَّجل حتى ساقَيه، ولا يُغطِّي سائر رجليه، وأخَذ عمر ثوبًا مِثل عامَّة الناس، وصعَد المنبر، فرآه الناس في ثوب طويل، ولما افتَتح خطبته، قال: أيُّها الناس، اسمعوا وأطِيعوا، فقام أحد الحاضرين، وقال: لا سمْع ولا طاعة، فسأله عمر: ولماذا؟ فأجاب الرجل: لأنك أعطيتَنا تلك الثياب القصيرة، واستأثَرت لنفْسك بهذا الثوب الطويل، فأمَر عمر بن الخطاب ابنه عبدالله أنْ يَرُدَّ على هذا الرجل، ويُبيِّن له الحقيقة، فقام عبدالله بن عمر رضي الله عنه ليُعلِن أنه قد تَنازَل عن ثوبه لأبيه؛ حتى يُكمل به جِلبابه، فقال الرجل: الآن قلْ، نسمَع ونُطِع، وهكذا كانت نساء الصحابة مُتحلِّيات بهذا الخُلُق الجليل والوصف النبيل، وكنَّ يشتركنَ مع المسلمين في المعارك، ويَقُمنَ بإعداد الطعام للمُقاتلين، وتجهيز الماء لسَقي الجنود، ومُداواة الجرحى والمرضى، حتى اشتهَر من هؤلاء النساء السيدة أمُّ عمارة نَسيبة بنت كعب، والسيدة أم عطية الأنصارية، والسيدة أم سُليم، والسيدة ليلي الغِفاريَّة، وغيرهنَّ - رضي الله عنهنَّ - والشجاعة تعمَل عَملها، وتلعب دورها إذا كان رائدها العقل لا الهوى، والحاجة لا الحماس، مُتَّزِنة ومُتوافِقة مع الحكمة.

يقول أحمد شوقي:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيْرَةٌ ..... وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلا

وأشار الجاحظ أيضًا إلى هذا المعنى من أنَّ الشجاعة لا تتحقَّق إلاَّ إذا مسَّت الحاجة إليها، فقال: "الشجاعة: هي الإقدام على المكاره والمهالِك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف"؛ (تهذيب الأخلاق، ص ٢٧).

ويقول المُتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شجاعةِ الشُّجْعَانِ .....هو أَوَّلٌ وَهِيَ المَحِلُّ الثَّانِي

فَإِذَا هما اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً .....بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كلَّ مَكانِ

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهَ .....بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ

قالت الحكماءأصلُ الخيرات كلِّها في ثَبات القلب، ومنه تُستمَد جميع الفضائل، وهو الثبوت والقوَّة على ما يُوجِبه العدل والعِلم؛ نضرة النعيم (٦/ ٢٣٤٢).

ويقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيميَّة: لَمَّا كان صلاح بني آدم لا يَتُمُّ في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بيَّن الله - سبحانه -أنّه من تَولَّى عنه بترْكِ الجهاد بنفْسه، أَبدَلَ الله من يَقوم بذلك :﴿إِلاَّ تَنفِرُوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًاأَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًاغَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾التوبة٣٩

وقد شهِد التاريخ بأن كل أمَّة أُصيب رجالها في شجاعتهم ورجولتهم ، أفَل نجمُها، وكَسَفت شمسُها، فأصبحت أَثرًا بعد عينٍ؛ يقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه :- اقتحِموا الموت، فرُبَّ جَريء كُتبت له السلامة، وربَّ جبان لَقِي حتْفه في مَكمنإِنَّ المُجاهدين قد باعوا أرواحهم واشتَروا الجنَّة.

يقول الشاعر:

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ من الْمَوتِ بُدٌّ .....فَمِنَ العَجزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانا

إن الله سبحانه وتعالى قد أقام الدِّين بالحُجَّة والبرهان، وبالسيف والسِّنان؛ قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٢٥﴾الحديد

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: قوام هذا الدين كتاب يَهدي، وسيْفٌ ينصُر وكفى بربك هاديًا ونَصيرًا.

;;

١١- الصّبر :

الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار، وذلك لحكمة يعلمها الله جل وعلا، وإن كان قد أشار إلى بعض صورها في القرآن والسنة، وكلما زاد إيمان العبد وقويت علاقته بالله تعالى كلما كان أكثر عرضة للامتحانات والابتلاءات.

وهذا ما عبر عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم :

نحن معاشر الأنبياء أكثر الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه، فمن قوي إيمانه اشتد بلاؤه، ومن ضعف إيمانه قلَّ بلاؤه، وهذه هي القاعدة العامة غالباً، وذلك حتى تستطيع أن نؤدي عبادة الصبر الذي أمرنا الله به عند نزول البلاء. كما أن الصبر له أركان لابد منها حتى يكون الإنسان صابراً فعلاً ومستحقاً لثواب الصابرين، **وهذه الأركان هي:**

١- حبس النفس من التسخط على أقدار الله المؤلمة، حيث نجد بعض الناس إذا نزل بهم بعض البلاء يجزعوا جزعاً شديداً ويسخطون على الله - والعياذ بالله - وقد يصل الحال ببعضهم إلى الكفر - والعياذ بالله - والمطلوب من المسلم الصادق أن يرضى بما قسمه الله له، وأن يعلم أن ما قدره الله له هو عين الخير وإن كان يرى خلاف ذلك.

٢- حبس اللسان عن الشكوى، فلا يظل الإنسان يشتكى الله لكل - أو لأكثر - الخلق، فكلما سأله إنسان - أو حتى بدون سؤال - تجده يشكو حاله للناس، وهذه من علامات عدم الرضا لأننا بذلك نشكو الذي يرحم إلى الذي لا يرحم.

٣- حبس الجوارح عن المعصية كلطم الخدود وشق الجيوب والملابس والدعاء بدعوى الجاهلية كما ورد في الحديث، وأما إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر عند الله انقلبت المحنة إلى منحة، وتحولت البلية والمصيبة إلى عطية وهدية، وصار المكروه محبوبًا، وحظي الإنسان بمقام ومنزلة الصابرين التي قال عنها المولى جل وعلا :(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الزمر١٠

فالصابرون هم أعظم الناس أجراً يوم القيامة، وأما البكاء - مجرد البكاء - فهذا لا يؤثر على الثواب ما دام الإنسان لا يكثر الشكوى أو يجزع أو يسخط على أقدار الله، وإنما يحرص دائماً على قوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وخلف لي خيراً منها)، وأما حكاية الحال بدون شكوى فهذا جائز.

- ذات يوم مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبر، فرأى امرأة جالسة إلى جواره وهي تبكي على ولدها الذي مات، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقي الله واصبري). فقالت المرأة: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي.

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن المرأة تعرفه، فقال لها الناس: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسرعت المرأة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم تعتذر إليه، وتقول: لَمْ أعرفك . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) [متفق عليه]. أي يجب على الإنسان أن يصبر في بداية المصيبة.

- أسلم عمار بن ياسر وأبوه ياسر وأمه سمية -رضي الله عنهم- وعلم الكفار بإسلامهم، فأخذوهم جميعًا، وظلوا يعذبونهم عذابًا شديدًا، فلما مرَّ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، قال لهم: (صبرًا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة)

قال الحاكم: وصبر آل ياسر، وتحملوا ما أصابهم من العذاب، حتى مات الأب والأم من شدة العذاب، واستشهد الابن بعد ذلك في إحدى المعارك؛ ليكونوا جميعًا من السابقين إلى الجنة، الضاربين أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى.

ما هو الصبر؟

الصبر هو أن يلتزم الإنسان بما يأمره الله به فيؤديه كاملا، وأن يجتنب ما ينهاه عنه، وأن يتقبل بنفس راضية ما يصيبه من مصائب وشدائد، والمسلم يتجمل بالصبر، ويتحمل المشاق، ولا يجزع، ولا يحزن لمصائب الدهر ونكباته. يقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} البقرة: ١٥٣

الصبر خلق الأنبياء:

ضرب أنبياء الله -صلوات الله عليهم- أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى من أجل الدعوة إلى الله، وقد تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاق في سبيل نشر الإسلام، وكان أهل قريش يرفضون دعوته للإسلام ويسبونه، ولا يستجيبون له، وكان جيرانه من المشركين يؤذونه ويلقون الأذى أمام بيته، فلا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل. يقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمله للأذى: (كأني أنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحكي (يُشْبِه) نبيًّا من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه أي أصابوه وجرحوه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) متفق عليه.

وقد وصف الله -تعالى- كثيرًا من أنبيائه بالصبر، فقال تعالى: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين} الأنبياء: ٨٥-٨٦

وقال الله تعالى: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} [الأحقاف: ٣٥]. وأولو العزم من الرسل هم :نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم صلوات الله وسلامه.- وقال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وآذوا في سبيلي حتى أتاهم نصرنا} الأنعام: ٣٤

وقال تعالى عن نبيه أيوب: {إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب } ص٤٤ فقد كان أيوب -عليه السلام- رجلا كثير المال والأهل، فابتلاه الله واختبره في ذلك كله، فأصابته الأمراض، وظل ملازمًا لفراش المرض سنوات طويلة، وفقد ماله وأولاده، ولم يْبَقَ له إلا زوجته التي وقفت بجانبه صابرة محتسبة وفيةً له. وكانأيوب مثلا عظيمًا في الصبر، فقد كان مؤمنًا بأن ذلك قضاء الله، وظل لسانه ذاكرا، وقلبه شاكرا، فأمره الله أن يضرب الأرض برجله ففعل، فأخرج الله له عين ماء باردة، وأمره أن يغتسل ويشرب منها، ففعل، فأذهب الله عنه الألم والأذى والمرض، وأبدله صحة وجمالا ومالا كثيرًا، وعوَّضه بأولاد صالحين جزاءً له على صبره، قال تعالى: {ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب} ص: ٤٣

فضل الصبر:

أعد الله للصابرين الثواب العظيم والمغفرة الواسعة، يقول تعالى: {وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} البقرة: ١٥٥-١٥٧

ويقول: {إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب} الزمر: ١٠

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما أُعْطِي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر) متفق عليه

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المسلم من نَصَبٍ (تعب) ولا وَصَبٍ (مرض) ولا هَمّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غَمّ حتى الشوكة يُشَاكُها إلا كفَّر الله بها من خطاياه) متفق عليه

أنواع الصبر:

الصبر أنواع كثيرة، منها: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المرض، والصبر على المصائب، والصبر على الفقر، والصبر على أذى الناس.. إلخ.

١- الصبر على الطاعة:

فالمسلم يصبر على الطاعات؛ لأنها تحتاج إلى جهد وعزيمة لتأديتها في أوقاتها على خير وجه، والمحافظة عليها. يقول الله -تعالى -لنبيه صلى الله عليه وسلم: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} الكهف: ٢٨

ويقول تعالى: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} طه١٣٢

٢- الصبر عن المعصية:

المسلم يقاوم المغريات التي تزين له المعصية، وهذا يحتاج إلى صبر عظيم، وإرادة قوية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل المهاجرين من هجر ما نهي الله عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله -عز وجل-) الطبراني

٣- الصبر على المرض:

إذا صبر المسلم على مرض ابتلاه الله به، كافأه الله عليه بأحسن الجزاء، قال صلى الله عليه وسلم: من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده، وكتمها ولم يشْكهَا إلى الناس، كان حقًّا على الله أن يغفر له. الطبراني

وصبر المسلم على مرضه سبب في دخوله الجنة، فالسيدة أم زُفَر -رضي الله عنها- كانت مريضة بالصَّرَع، فطلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لها بالشفاء .فقال لها النبي صلى الله

عليه وسلم: (إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيكِ). فاختارت أن تصبر على مرضها ولها الجنة في الآخرة (متفق عليه).

ويقول تعالى في الحديث القدسي: (إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه أي عينيه فصبر، عوضتُه عنهما الجنة) البخاري.

٤- الصبر على المصائب:

المسلم يصبر على ما يصيبه في ماله أو نفسه أو أهله .يقول النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) البخاري.

وقد مرَّت أعرابية على بعض الناس، فوجدتهم يصرخون، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون (يضيقون)، وعن ثوابه يرغبون (يبتعدون).
وقال الإمام علي: إن صبرتَ جرى عليك القلم وأنتَ مأجور (لك أجر وثواب)، وإن جزعتَ جرى عليك القلم وأنت مأزور (عليك وزر وذنب).

٥- الصبر على ضيق الحياة:

المسلم يصبر على عسر الحياة وضيقها، ولا يشكو حاله إلا لربه، وله الأسوة والقدوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين، فالسيدة عائشة -رضي الله عنها- تحكي أنه كان يمر الشهران الكاملان دون أن يوقَد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، وكانوا يعيشون على التمر والماء(متفق عليه).

٦- الصبر على أذى الناس:

قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) الترمذي.

الصبر المكروه:

الصبر ليس كله محمودًا، فهو في بعض الأحيان يكون مكروهًا. والصبر المكروه هو الصبر الذي يؤدي إلى الذل والهوان، أو يؤدي إلى التفريط في الدين أو تضييع بعض فرائضه، أما الصبر المحمود فهو الصبر على بلاء لا يقدر الإنسان على إزالته أو التخلص منه، أو بلاء ليس فيه ضرر بالشرع. أما إذا كان المسلم قادرًا على دفعه أو رفعه أو كان فيه ضرر بالشرع فصبره حينئذ لا يكون مطلوبًا. قال الله تعالى:

{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا} النساء ٩٧

الأمور التي تعين على الصبر:

١- معرفة أن الحياة الدنيا زائلة لا دوام فيها.

٢- معرفة الإنسان أنه ملكٌ لله تعالى أولا وأخيرًا، وأن مصيره إلى الله تعالى.

٣- التيقن بحسن الجزاء عند الله، وأن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله، قال تعالى: {ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} النحل: ٩٦

٤- اليقين بأن نصر الله قريب، وأن فرجه آتٍ، وأن بعد الضيق سعة، وأن بعد العسر يسرًا، وأن ما وعد الله به المبتلِين من الجزاء لابد أن يتحقق. قال تعالى: {فإن مع العسر يسرًا. إن مع العسر يسرًا}الشرح٥-٦

٥- الاستعانة بالله واللجوء إلى حماه، فيشعر المسلم الصابر بأن الله معه، وأنه في رعايته. قال الله تعالى: {واصبروا إن الله مع الصابرين} الأنفال٤٦

٦- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم، والتأمل في سير الصابرين ومالاقوه من ألوان البلاء والشدائد، وبخاصة أنبياء الله ورسله.

٧- الإيمان بقدر الله، وأن قضاءه نافذ لا محالة، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} الحديد٢٢-٢٣
٨- الابتعاد عن الاستعجال والغضب وشدة الحزن والضيق واليأس من رحمة الله؛ لأن كل ذلك يضعف من الصبر والمثابرة.

قصص عن الصبر

١- قال رجل لعنتره : ما السر في شجاعتك وأنت تغلب الرجال ؟ فقال عنتره : ضع إصبعك في فمي وخذ إصبعي في فمك . وعض كل واحد منهم الآخر ، فصاح الرجل من الألم ولم يصبر ، فأخرج له عنتره إصبعه . وقال : بهذا غلبت الأبطال ...أي بالصبر والاحتمال.

٢- يحكى أن رجلا من الصالحين مر على رجل أصابه شلل نصفي والدود يتناثر من جنبيه وأعمى وأصم وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه . فتعجب الرجل ثم قال له : يا أخي ماالذي عافاك الله منه لقد رأيت جميع المصائب وقد تزاحمت عليك . فقال له : إليك عني يا بطال فإنه عافاني إذ أطلق لي لسانا يوحده وقلبا يعرفه وفي كل وقت يذكره .

٣- قال الأحنف بن قيس : شكوت إلى عمي وجعا في بطني فنهرني وقال : إذا نزل بك شيء فلا تشكه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك ، يا ابن أخي إحدى عيني هاتين ما أبصر بها من أربعين سنة وما أخبرت امراتي بذلك ولا أحدا من أهلي .

٤- يحكى أن أحد الصالحين كان إذا أصيب بشيء أو ابتلي به يقول خيرا وذات ليلة جاء ذئب فأكل ديكا له ، فقيل له به فقال : خيرا ، ثم ضرب في هذه الليلة كلبه المكلف بالحراسة فمات . فقيل له ، فقال : خيرا , ثم نهق حماره فمات ، فقال : خيرا إن شاء الله . فضاق أهله بكلامه ذرعا . ونزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمنطقة ولم ينج إلا هو وأهل بيته . فالذين غاروا استدلوا على الناس الذين قتلوهم بصياح الديكة ونباح الكلاب ونهيق الحمير ، وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الأشياء خيرا وسببا لنجاته من القتل فسبحان المدبر الحكيم.

٥- قال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدا ولا أنضر منها ولا أحسن وجها منها ، فقلت: تالله إن فعل هذا بك من الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله إن لدي أحزانا وخلفي هموم ، وسأخبرك : كان لي زوج وكان لي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم عيد الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة . قال : نعم ، فذبحه . فلما نظر الدم خاف ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه يبحث عنه فضاع فمات عطشا فأفردني الدهر . فقلت لها وكيف أنت والصبر ؟فقالت لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحا فشفي.

٦- حدثت للشافعي رحمه الله عند موت ابنه ، فقال : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضوا وأبقيت أعضاء , وأخذت ابنا وأبقيت أبناء.

؛؛

١٢- الألفة :

لقد حرص الإسلام على تقوية أواصر المحبة والألفة بين المسلمين ، واعتنى بذلك عناية كبيرة ، وجعلها من المقاصد العظام لهذا الدين وماذاك عباد الله إلا لأن قوة الأمة من قوة تماسكها واتحاد صفوفها ، كما أن ضعفها وذهاب قوتها من تنازعها وتفرقها .

كما قال تعالى:

{وَلَا تَنَازَعُوْا فَتَفْشَلُوْا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} الانفال٤٦

وليس هناك أغيظ للأعداء من اجتماع المسلمين ، وتلاحمهم وترابطهم ، وإغاظة الأعداء من أعظم القرب وأجل الطاعات ففي تآلف المسلمين وائتلاف قلوبهم تمكين للإسلام وإغاظة للأعداء ، وبوابة لدخول الناس في دين الله أفواجا ، وتطبيق حقيقي لمقاصد الوحي ، الذي بتطبيقه يحل الرضوان ويندحر الشيطان.

ومما يؤسف عليه ماتراه ونسمعه من صور الشقاق والنفرة بين الأسر والجماعات لأتفه الأسباب المادية التي تحكمها الأهواء وتسيطر عليها حظوظ النفس حتى إنك لترى من يهجر أخاه أو أخته أو جاره أو صديقه لأسباب هي أقل مما ترتب عليها من آثار.

ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر: ان الشيطان آيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم.وجاء أيضاً أن المقرب من جنده وأعوانه من يفرق بين اثنين فهل ترضى أن تكون فريسة لجنده وأعوانه ؟ أو أن تكون اداة لتحقيق طموحهم واهدافهم.

لنسع إلى تقوية مجتمعاتنا والمساهمة في تماسكها وترابطها امتثالاً لوصية نبينا صلى الله عليه وسلم (وكونوا عباد الله إخوانا).

فالمسلم أخو المسلم ولحمة الدين أعظم من لحمة القرابة والمصاهرة ، بل إذا انتفت لحمة الدين بخروج أحد القريبين من الإسلام انقطع الميراث والولاء. ولقد جاء في الإسلام ما يقوي علاقة المسلم بأخيه ويضمن تماسك المجتمع المسلم وقوته..... ومن ذلك:

١-أن تبتسم في وجهه إذا القيته :

وعد ذلك صدقة تؤجر عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة). لأن الإبتسامة رسول القلوب الصامت وهي في التعبير عن الارتياح أبلغ من سجع الكلمات بالمديح وهي لاتكلف القلوب الصافية شيئاً .

أما القلوب المثقلة بالأغلال فكانما تنتزع بابتسامته روحه لثقلها واكثر الناس يكفيهم منك طيب المحيا ، ويرجعون إلى بيوتهم بأثر ابتسامتك في وجوههم ،وحينما تبتسم تبتسم لك الحياة ، وترى كل شئ أمامك كالمرآة تعكس ابتسامتك.

يقول جرير بن عبدالله البجلي وهو درس لكل داعية أشغل فكره في رصف العبارات وتتبع الأقوال عن هيئة وسمت إمامه الأول محمد صلى الله عليه وسلم : مارآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسم "والابتسامة أمان للقلوب الخائفة وسلوان للنفوس المضطربة . يقول الشاعر موصيا ابنه بجامع خصال البر: بني إن البر شئ هين وجه طليق وكلام لين .

٢- إفشاء السلام :

الذي هو بوابة المحبة كما قال صلى الله عليه وسلم (أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم .. افشوا السلام بينكم).فسلامك على إخوانكم وتعاهدهم بالسؤال والسلام يزرع الألفة بينكم لذلك يستدل بعض الناس على نفرة الناس عنهم بعد سلامهم

٣- الهدية :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) فبالهدية تصفوا النفوس وتطهر هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا وتزرع في الضمير هوى ووداً وتلبسهم إذا حضروا جمالاً . والهدية ليس بقيمتها وإنما كما قيل بقيمة مهديها وحينما تكون عن محبة ، لا يهم نوعهاولاحجمها وقد صرف بعض الناس جزءاً من ماله للهدايا المحرمة التي تكون بين المرؤوس ورئيسه أو للرشاوى وحرم نفسه بابًا عظيما يؤجر عليه إلا وهو باب الهدية. لو ركزنا في هدايانا على من بيننا وبينهم خلاف أو نفرة لحصل الوئام وانكشف الغمام فكم من حزازة في نفس صاحب أذهبتها الهدية وازالتها واجتثتها من عروقها لكن حينما تكون الهدية لله ؟

٤- السعي في قضاء حوائج إخوانك وجيرانك ومن تعرف :

ومنحهم من وقتك الثمين ما يضمد جراحاتهم ويخفف معاناتهم ، وجاء في ذلك مجموعة من النصوص الشرعية من ذلك (والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه).

وقوله (ولئن أمشي مع لأخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي شهراً).

وقوله (ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام).

وحينما تتأمل في سير العظماء تجد أن من أسرار محبة الناس لهم أنهم منحو الناس جزءاً من أوقاتهم لذلك كان العلماء الربانين قديماً وحديثاً قد بذلوا أنفسهم للعامة فمنهم من فتح بيته لكل سائل أومحتاج وبعضهم لم يتناول وجبة الغداء مع أهله من عشرين سنة لأنها الوجبة التي يحضرها الطلاب والفقراء والمحتاجين.

ومعلم البشرية كان يمنح وقته لكل من سأله فتأتيه العجوز والصغير والكبير فيمنحهم ثمين وقته ويغمرهم برحمته وعطفه.وكان صلى الله عليه وسلم هينا ليناً كل من طلبه أدرك عنده مطلوبه. وبعض الناس يستخسر كل شئ يبذله للآخرين إلا ماكان لأولاده أو زوجته أو عمله.

وبعض من أكرمهم الله بمكانة علمية أو اجتماعية يستمتع حينما يسمع من الناس أنه صعب المنال وأن إدراكه من المحال . وقد يترك صلاة الجماعة فراراً من مواجهة أصحاب الحاجات وهذا النوع من البشر يرى انه لايكون مهماً إلا إذا تعذر الوصول إليه فلا يرد على أول اتصال ولا ثاني اتصال لكي يحس المتصل أنه بالكاد أدركه وبعد طول عناء تكرم بالرد عليه.

٥- زيارته :

فإن الزيارة لها أثر عظيم على قلبه وربما كانت سبب سعادته وأنسه ، وهذه الزيارة لا تؤتي ثمارها الإيمانية حينما يقوده الإخلاص بعيداً عن حظوظ النفس والمصالح ، وهي من أسباب الفوز بدعوة ملك من ملائكة الله بدعوة كل واحد منا يتمناها.

ففي الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً) يا له من خير عظيم ..جرب حينما يكون عندك متسع من الوقت اتصل بأخ لك في الله من جارٍ أو قريب أو صديق وحدد معه موعداً لتزوره في بيته لله .. ستنعم بعدها بآثار هذه الدعوات.

بعض الناس يمتنع عن المبادرة بالزيارة لئلا يظن الناس أنه إنسان فارغ أو أنه صاحب حاجة وهذا كله من مداخل الشيطان التي حرم بها الناس خيراً عظيماً وتتأكد الزيارة حينما يكون في النفوس دخل أو كدر فبالزيارة تزول هذه الأكدار بإذن الله ومن لم يسعفه وقته فليتعاهد إخوانه باتصال أو إرسال يجدد فيها عهد المحبة والوصال.

٦- السؤال عنه عند غيابه :

فلا يكون الواحد منا كما قال الشاعر ذاماً نفسه لينبهك على أنه ما سيذكره من صفات إنما هي صفات مذمومة لا يليق بالمسلم أن يتصف بها يقول:

ولا واصل ، من غاب عني نسيته..... وإن وصل الإخوان كافأت بالصد
وإن كاتبوني لم أجبهم بلفظة .....فهذي خلال قد خصصت بها وحدي

يفتخر الشاعر بأنه لايصل أحداً وأن من غاب عنه نسيه ولم يسأل عنه لأنه يرى أن المهم لايبحث عن غيره وإنما غيره يبحث عنه فلتكن حياتنا فيها شئ من الوفاء بسؤال بعضنا عن بعض ، وكم هي الفرحة حينما تفاجئ أخاك المسلم باتصال تسأله عن سبب غيابه وانقطاعه وكم هو السرور الذي سيغمره حينما يتذوق بسؤالك واتصالك طعم الحياة.

٧- ذكرك لمحاسنهم وسترك لعيوبهم:

فليس عند الناس أبغض ممن يتتبع عيوبهم ويفرح بتعداد أخطائهم لذلك رتب الإسلام على هذا الفعل أشنع العقوبات ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته) وفي المقابل ليس عند الناس أحب ممن يستر عيوبهم ويذكر محاسنهم يقول الشاعر:

لاتكشفن مساوي الناس ماستروا .....فيكشف الله ستراً من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا .....ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

فإذا بلغك عن أخيك زلة أو هفوة فإن نفسك ستزين لك بثها ونشرها وذكرها فجاهدها وتذكر مافي صاحبك من خصال خير فاذكرها .

وهذه من الشهوات الخفية الشيطانية التشهي بذكر زلات الناس ولذتها في النفوس أضعفت الكثير منا عن مدافعتها ومن أكثر من ذم الناس ذموه ومن ذكر محاسنهم أحبوه فلنحيي بهذه الخصال ما أماتته الحياة المادية ، ونكون بهذه الخلال مصدر رقي وتقدم ونموذجاً مشرقاً لمجتمع تسوده المحبة وتحيط به الألفه قد لايسعفك الوقت أن تخلف بعد مماتك إرثًا ينتفع به الناس لكنك قادر بإذن الله أن تترك أثراً في نفوس الناس بعد موتك بما زرعته في نفوسهم من بشاشة ومودة ومحبة وسؤال وإعانة .

تذكر أن أعظم مايرثه أبناؤك من بعدك قيمك وأخلاقك .وأن حديث الناس عن جميل صفاتك وخلالك أنفع لك ولهم من حديثهم عن جاهك ومالك.

قصص عن الألفة:

١- قصة أخوين كانا متحابين كثيرايعيشان في توافق تام في مزرعتهما... يزرعان معا ويحصدان معا كل شي مشترك بينهما حتى جاء يوم شب خلاف بينهما بدأ بسوء تفاهم ولكن رويدا رويدا اتسعت الهوة ...واحتد النقاش .ثم اتبعه صمت أليم استمر عدة اسابيع حتى إتسعت الهوة بينهما وانقطعت الصلة وذات يوم طرق شخصا ما على باب الأخ الاكبر كان عاملا ماهرا يبحث عن عمل - نعم أجابه الأخ الأكبر ، وأردف لدي عمل لك ...هل ترى في الجانب الآخر من النهر، يقطن أخي الأصغر لقد أساء إلي وأهانني وانقطعت كل صلة بيننا .سأريه انني قادر على الإنتقام... هل ترى قطع الحجارة التي بجوار المنزل ؟ اريدك ان تبني بها سورا عاليا لانني لا ارغب في رؤيته ثانية. أجابه العامل : اعتقد اني فهمت الوضع! أعطى الاخ الاكبر للعامل كل الادوات اللازمة للعمل ... ثم سافر تاركا اياه أسبوعا كاملا. وعند عودته من المدينة كان العامل قد انهى البناء . ولكن يالها من مفاجئة!! فبدل من إنشاء سور بنا جسرا يجمع بين طرفي النهر.في تلك اللحظة خرج الأخ الأصغر من منزله وجرى صوب أخيه قائلا: يالك من أخ رائع !! تبني جسرا بيننا برغم كل مابدر مني!! إنني حقا فخور بك وبينما الأخوان كانا يحتفلان بالصلح اخذ العامل يجمع أدواته

استعدادا للرحيل .قال له الأخوان بصوت واحد: لاتذهب!!إنتظر!! يوجد هنا عمل لك . لكنه أجابهما كنت أود البقاء معكما لكن يجب بناء جسور أخرى!.كونوا بناة للجسور بين الناس لا تبنوا أبدا جدارا للتفريق كونوا ممن يوحدون و يؤلفون بين الناس.

٢-كان هناك صديقان يمشيان في الصحراء ، خلال الرحلة تجادل الصديقان فضرب أحدهما الآخر على وجهه .الرجل الذي انضرب على وجهه تألم و لكنه دون أن ينطق بكلمة واحدة كتب على الرمال : اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي . استمر الصديقان في مشيهما إلى إلى أن وجدوا واحة فقرروا أن يستحموا.الرجل الذي انضرب على وجهه علقت قدمه في الرمال المتحركةو بدأ في الغرق، و لكن صديقة أمسكه وأنقذه من الغرق .و بعد ان نجا الصديق من الموت قام و كتب على قطعة من الصخر : اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي . الصديق الذي ضرب صديقه و أنقده من الموت سأله : لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال و الآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة ؟ فأجاب صديقه : عندما يؤذينا أحد علينا ان نكتب ما فعله على الرمال حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحيها ، و لكن عندما يصنعأحد معنا معروفاً فعلينا ان نكتب ما فعل معنا على الصخر حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحيها تعلموا أن تكتبوا آلامكم على الرمال و أن تنحتوا المعروف على الصخر وتعلما أن تسود بينكم روح الألفة والتسامح.

;;;

١٣- القناعة :

القناعة هي الرضا بما قسم الله، ولو كان قليلا، وهي عدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وهي علامة على صدق الإيمان. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقَنَّعه الله بما آتاه (مسلم).

قناعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم يرضى بما عنده، ولا يسأل أحدًا شيئًا، ولا يتطلع إلى ما عند غيره، فكان صلى الله عليه وسلم يعمل بالتجارة في مال السيدة خديجة رضي الله عنها فيربح كثيرًا من

غير أن يطمع في هذا المال، وكانت تُعْرَضُ عليه الأموال التي يغنمها المسلمون في المعارك، فلا يأخذ منها شيئًا، بل كان يوزعها على أصحابه.

وكان صلى الله عليه وسلم ينام على الحصير، فرآه الصحابة وقد أثر الحصير في جنبه، فأرادوا أن يعدوا له فراشًا لينًا يجلس عليه؛ فقال لهم: ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها (الترمذي وابن ماجه).

فضل القناعة:

الإنسان القانع يحبه الله ويحبه الناس، والقناعة تحقق للإنسان خيرًا عظيمًا في الدنيا والآخرة.

لا قناعة في فعل الخير:

المسلم يقنع بما قسم الله له فيما يتعلق بالدنيا، أما في عمل الخير والأعمال الصالحة فإنه يحرص دائمًا على المزيد من الخيرات، مصداقًا لقوله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}البقرة١٩٧ وقوله تعالى:{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين}آل عمران١٣٣

من فضائل القناعة:

(١) سبب البركة:

- فهي كنز لا ينفد، وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنها أفضل الغنى، فقال: ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس(متفق عليه).

- وقال الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا (الترمذي وابن ماجه). فالمسلم عندما يشعر بالقناعة والرضا بما قسمه الله له يكون غنيا عن الناس، عزيزًا بينهم، لا يذل لأحد منهم. أما طمع المرء، ورغبته في الزيادة يجعله ذليلاً إلى الناس، فاقدًا لعزته، قال الله صلى الله عليه وسلم: وارْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس(الترمذي وأحمد).

- والإنسان الطماع لا يشبع أبدًا، ويلح في سؤال الناس، ولا يشعر ببركة في الرزق، قال الله صلى الله عليه وسلم: لا تُلْحِفُوا (تلحوا) في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتُخْرِجُ له مسألتُه مِنِّي شيئًا، وأنا له كاره، فيبارَكُ له فيما أعطيتُه(مسلم والنسائي وأحمد). وقال الله صلى الله عليه وسلم: اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعِفَّهُ الله، ومن يستغن يغْنِهِ الله(متفق عليه).

(٢) طريق الجنة:

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسلم القانع الذي لا يسأل الناس ثوابُه الجنة، فقال: من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة؟ فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا(أبو داود والترمذي وأحمد).

(٣) عزة للنفس:

- القناعة تجعل صاحبها حرًّا؛ فلا يتسلط عليه الآخرون، أما الطمع فيجعل صاحبه عبدًا للآخرين. وقد قال الإمام علي رضي الله عنه : الطمع رق مؤبد أي عبودية دائمة.

- وقال أحد الحكماء: من أراد أن يعيش حرًّا أيام حياته؛ فلا يسكن قلبَه الطمعُ. وقيل: عز من قنع، وذل من طمع. وقيل: العبيد ثلاثة: عبد رِقّ، وعبد شهوة، وعبد طمع.

(٤) سبيل للراحة النفسية:

- المسلم القانع يعيش في راحة وأمن واطمئنان دائم، أما الطماع فإنه يعيش مهمومًا، ولا يستقر على حال. وفي الحديث القدسي: يابن آدم تفرغْ لعبادتي أملأ صدرك غِنًى، وأَسُدَّ فقرك. وإن لم تفعل، ملأتُ صدرك شُغْلا، ولم أسُدَّ فقرك (ابن ماجه).

- وقال أحد الحكماء: سرور الدنيا أن تقنع بما رُزِقْتَ، وغمها أن تغتم لما لم ترزق، وصدق القائل:

هي القناعة لا ترضى بها بدلا.....فيها النعيم وفيها راحة البدنِ

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها.....هل راح منها بغير القطن والكفنِ

قصص عن القناعة:

١- يحكى أن ثلاثة رجال ساروا في طريق فعثروا على كنز، واتفقوا على تقسيمه بينهم بالتساوي، وقبل أن يقوموا بذلك أحسوا بالجوع الشديد، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليحضر لهم طعامًا، وتواصوا بالكتمان، حتى لا يطمع فيه غيرهم، وفي أثناء ذهاب الرجل لإحضار الطعام حدثته نفسه بالتخلص من صاحبيه، وينفرد هو بالكنز وحده، فاشترى سمًّا ووضعه في الطعام، وفي الوقت نفسه، اتفق صاحباه على قتله عند عودته؛ ليقتسما الكنز فيما بينهما فقط، ولما عاد الرجل بالطعام المسموم قتله صاحباه، ثم جلسا يأكلان الطعام؛ فماتا من أثر السم ..وهكذا تكون نهاية الطامعين وعاقبة الطمع.

٢- أُهْدِيَتْ إلى السيدة عائشة -رضي الله عنها- سلالا من عنب، فأخذت تتصدق بها على الفقراء والمساكين، وكانت جاريتها قد أخذت سلة من هذه السلال وأخفتها عنها، وفي المساء أحضرتها، فقالت لها السيدة عائشة -رضي الله عنها-: ما هذا؟ فأجابت الجارية: ادخرتُه لنأكله. فقالت السيدة عائشة -رضي الله عنها-: أما يكفي عنقود أو عنقودان؟

٣- ذهب الصحابي الجليل حكيم بن حزام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه من الأموال، فأعطاه. ثم سأله مرة ثانية، فأعطاه. ثم سأله مرة ثالثة، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مُعلِّمًا: (يا حكيم، إن هذا المال خَضِرٌ حلو - أي أن الإنسان يميل إلى المال كما يميل إلى الفاكهة الحلوة اللذيذة- فمن أخذه بسخاوة نفس – أي بغير سؤال ولا طمع- بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبَارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا - التي تعطي- خير من اليد السفلي - التي تأخذ- (متفق عليه). فعاهد حكيم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يأخذ شيئًا من أحد أبدًا حتى يفارق الدنيا. فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطلبه ليعطيه نصيبه من المال، فيرفض أن يقبل منه شيئًا، وعندما تولى عمر رضي الله عنه الخلافة دعاه ليعطيه فرفض حكيم، فقال عمر: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء (الغنيمة)، فيأبى أن يقبله. وهكذا ظلَّ حكيم قانعًا، لايتطلع إلى المال بعد نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي تعلَّم منها ألا يسأل أحدًا شيئًا؛ حتى إنه كان يتنازل عن حقه، ويعيش من عمله وجهده.

٤- كان سلمان الفارسي -رضي الله عنه- واليا على إحدى المدن، وكان راتبه خمسة آلاف درهم يتصدق بها جميعًا، وكان يشتري خوصًا بدرهم، فيصنع به آنية فيبيعها بثلاثة دراهم؛ فيتصدق بدرهم، ويشتري طعامًا لأهله بدرهم، ودرهم يبقيه ليشتري به خوصًا جديدًا.

;;

١٤- العفّة :

هي خلق ايماني رفيع ، وثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى ، العفة دعوة إلى البعد عن سفاسف الأمور وخدش المروءة والحياء، العفة لذة وانتصار على النفس والشهوات وتقوية لها على التمسك بالأفعال الجميلة والآداب النفسانية، العفة إقامة العفاف والنزاهة والطهارة في النفوس، وغرس الفضائل والمحاسن في المجتمعات.

إنها عفة الإسلام، التي تضبط سلوكيات الآدميين عن الإنحراف إلى مهاوي الرذيلة والإنحطاط، وتحفظ إراداتهم وشهواتهم عن الإنخراط في الزلل وعدم الإنضباط.

لقد حرص الإسلام على أن ينأى بالناس عن الشهوات الحيوانية، والأخلاق الشيطانية، والنفس بطبيعتها كثيرة التقلب والتلون، تؤثر فيها المؤثرات، وتعصف بها الأهواء والأدواء، فالنفس أمارة بالسوء، تسير بصاحبها إلى الشر، فإن لم تُستوقف عند حدها، وتلجم بلجام التقوى والخوف من الله، وتأطر على الحق أطراً، وإلا فإنها داعية لكل شر وهوى ومعصية، والنفس بطبيعتها إذا أُطعمت طعمت، وإذا فوضتَ إليها أساءت، وإذا حملتها على أمر الله صلحت، وإذا تركت إليها الأمر فسدت، والعفة تأتي لتهذيب النفس وتزكيتها من أهوائها وشهواتها، لتتجلى فيها مظاهر الكرامة الإنسانية، وتبدو فيها الطهارة والنزاهة الإيمانية.

نعم.. إن العفة هي طلب العفاف والكف عن المحرم الذي حرمه الله جلا وعلا والاكتفاء بما أحلّ سبحانه وتعالى وإن كان قليلاً..

مفهوم العفة

هي تنزيه النفس وضبطُها عن الانسياق وراءَ الشهوات ، والكفُّ عن المحرماتِ وسؤال الناس على وجه الاستجداء.

الدليل على مشروعية العفة:

- حثّ عليها الإسلام بقول الله تعالى بالقرآن الكريم﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾النساء ٦

- وقول النبي صلى الله عليه وسلم (بروا آباكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم) رواه الطبراني.

- وقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (ما يكونُ عندي من خيرٍ فلن أدَّخره عنكم ، ومن يستعففْ يُعِفّه اللهُ) صحيح البخاري .

أشكال العفة:

١- عفة الجوارح:

المسلم يعف يده ورجله وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام فلا تغلبه شهواته، وقد أمر الله كل مسلم أن يعف نفسه ويحفظ فرجه حتى يتيسر له الزواج، فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ... ﴾النور٣٣

٢- العفة في كسب المال:

فالمسلم يترفع عن أموال الصدقات ،مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق قال: لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها (رواه البخاري).

٣- اجتناب الكسب الحرام.

٤- القناعة والترفع عمّا في أيدي الناس.

٥- العفة عن الوقوع في الفاحشة :

تكون بالابتعاد عن النظر إلى العورات ومظاهر الفتنة. وعدم حضور مجالس الاختلاط المحرم وكف اللسان عن الخوض في أعراض الناس.

آثار العفة:

١- نيل رضا الله تعالى والفوز بثوابه.

٢- ضبط المسلم لنفسه.

٣- تحقيق المروءة وعزة النفس وكرامة الإنسان.

٤- صيانة العرض والشرف.

العفة والعفاف:

١- أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طُعمة(رواه أحمد).

٢- اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى (رواه مسلم).

٣- بروا آباكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم (رواه الطبراني بإسناد حسن).

٤- ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف (رواه الترمذي).

٥- عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لموالية (رواه الترمذي).

٦- من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة، ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة (رواه بن ماجة).

٧-قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه (رواه مسلم).

العفة في البيت النبوي:

١-إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من صدقة فألقيها(رواه البخاري).

٢- أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة(رواه البخاري).

٣- مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق قال :لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها(رواه البخاري).

عوامل تحقيق العفة:

١-تحقيق الإيمان الذي يُنشىء مملكة الضمير في نفس المؤمن فيستحضر الخوف والحياء وتذكّر لآخرة واستشعار عظمة الله ويكون باعثاً على قمع الشهوة في النفس ودرءها عن تجاوز الحد.

قال تعالى {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }يوسف٢٣

٢- التربية الروحية من صبر ومجاهدة في ذات الله جل وعلا، بدوام الصلة بالله تعالى من ذكر ودعاء وتضرع وتبتل والتجاء إليه، وقراءة للقرآن الكريم بتدبر وتأمل مع الفهم لمعانيه والتعقّل لأسراره وحكمه.

٣- تربية النفس بالصوم فإنه مما يعين على زكاة القلب، وطهارة النفس، وبه تنحصر وتضييق مجاري الشيطان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

٤- توعية الجيل المسلم بتعزيز المنافع والمصالح التي تنشئ العفة والتزام أمر الله عز وجل في الحياة اليومية، مع بيان الآثار السلبية النفسية والاجتماعية والعقلية والروحية للنشء لكل من سلك طريقاً غير طريق العفة.

قال تعالى {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }طه١٢٤

٥- التقرب إلى الله سبحانه بالنوافل بعد الحرص العظيم على الالتزام بالواجبات والوقوف الجازم عند الحدود والفرائض.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري.

٦-أن يطالع القلب أسماءَ الله وصفاته وأفعاله التي يشهدها ويعرفها ويتقلّب في رياضها، فمن عرف الله وحده بأفعاله وصفاته باعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام ومن بعدهم من سلف الأمة الأخيار من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه هداه وأعانه وسدد على الخير خطاه.

٧- انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى والتذلل له سبحانه والخشوع لعظمته بالقول والبدن والالتجاء إلى الله عز وجل عما يصون النفس عن كل حرَّم الله مع تقوية عزمه في مواجهة هذه المغريات والمثيرات في زمن يُسِرِّت فيه سبل الغواية، و كثرت فيه طرق الفاحشة وتنوعت.

قال النبي صلى الله عليه وسلم (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله) رواه البخاري.

٨- التوسع على النفس وأخذ المباح، فالنفس بطبيعتها مجبولة على ما أودع الله فيها من فِطَر وغرائز فتصريفها فيما أحل الله عز وجل باب عظيم لسد أبواب من الشر، وغلق مفاتيح الفتنة ونزوات الشهوة.

٩- تحيّن وقف النزول الإلهي لمناجاته جل وعلى ودعائه بالثبات على هذا الدين ولزوم الصراط المستقيم، مع تلاوة كلامه والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم ختْم ذلك بالاستغفار والتوبة النصوح.

قال تعالى{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }السجدة١٦

١٠- البعد كل البعد عن كل طريق يحول بين القلب وبين الله تعالى وذلك لا يتحقق ولا يكون إلا بالبعد عن أنواع السيئات وألوان المحرمات وصور الموبقات، فالقلوب إذا فسدت فلن تجد فائدة فيما يصلحها من شؤون دنياها ولن تجد نفعاً أو كسباً في أخراها.

قال تعالى: يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ{٨٨} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ{٨٩}الشعراء

١١- التربية الفكرية من غرس المفاهيم والموازين الشرعية ذات العلاقة بالاستعفاف كالعلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالجانب الأخلاقي في المجتمع المسلم والتعرف على بواعث وأسباب الإنحراف الخلقي وآثار ذلك الإنحراف على الفرد والمجتمع والتعرف على وسائل الإصلاح الذاتي والإجتماعي ومنهج التربية الإسلامية ووسائل الإستعفاف وإدراك دور المفسدين وأعداء الإسلام في إفساد المجتمع المسلم ومعرفة مكائدهم وخططهم في هذا المجال.

من ثمرات العفة:

١- تحقيق المروءة التي ينال بها الحمد والمجد والشرف في الدنيا والآخرة التي تقود إلى الارتقاء في سماء الفضيلة، والبعد عن حضيض الرذيلة، والوقوف بالشهوات عند الحد الذي خلقت من أجله، وفق المنظور الشرعي، والمفهوم الأخلاقي.

٢-نقاء المجتمع وطهارته من المفاسد والمآثم والرزايا والمصائب والعقوبات الربانية وسلامته من أضرار الخبث الفواحش.

٣- الفلاح بثناء الله تعالى: قال تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ{١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ{٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ{٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ{٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ{٥} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ{٦} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ{٧}المؤمنون

٤- الفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة .قال تعالى :أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ{١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{١١}المؤمنون

٥- حفظ الفروج عن الفواحش مما تزكو به النفوس، وتسلم به المجتمعات، ويحفظ به الأمن، وتصان به الأعراض.قال صلى الله عليه وسلم (من يضمن لي ما بين رجليه وما بين لحييه أضمن له الجنة) رواه أحمد.

٦- السلامة والنجاة من نار السموم.قال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا ترى أعينهم النار عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله) رواه الطبراني .

٧- وفرة العقل ونزاهة النفس وكمالها وعزها وقلة الهم والحزن والغم.

٨-قوة القلب ونعيمه وطيب النفس وانشراح الصدر فصاحبها مستريح النفس مطمأن البال.قال تعالى {الَّذِينَآمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِاللّهِ أَلا بِذِكْرِاللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }الرعد٢٨

٩- صون الأعراض وصيانتها عن الحرام والرذيلة ومواضع الآثام.قال تعالى {قُلِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }النور٣٠

١٠- تنمية روح الغيرة في النفس والتي هي سياج منيع لحماية المجتمع من التردي في مهاوي الرذيلة والفاحشة والتبرج والسفور والاختلاط المحرم.

أسباب ضياع العفة:

١- تسخير الإعلام بأنواعه من مقروء ومسموع ومشاهد لبث ما يثير مكامن الشهوة ويخمر العقل ويفسد الروح مما يفسد على الناس عفتهم ويضعفها.

٢- الإعجاب بنظم الغرب وتقاليده، والانبهار بحضارته ومدنيته، مما يدفع بكثير من الناس إلى السفر إلى مواقع تتجلى فيها إشاعة الفاحشة ونشر بواعثها ومثيراتها من نشر للأغاني الساقطة والأفلام الآثمة والمشاهد الفاضحة والمجلات الهابطة والروايات الساقطة.

٣- تعرية المرأة وتحريرها واستعبادها وإخراجها من بيتها للتمثيل والإبداع في مسابقات الجمال وعروض الأزياء والفنون الجميلة وغيرها مما يجلب الفساد والإفساد للمجتمعات.

٤- تيسير المحرم وتكثير سبل الغواية وطرق الفاحشة وتنوعها في الأسواق والطرقات والمحلات والمراكز الضخمة والشركات الهائلة إلى غير ذلك.

٥- التساهل من المسلمين في إدخال الرجال والخدم في البيوت واختلاطهم في المراكب والمساكن وأماكن الترفيه مع النساء والفتيات وضعاف النفوس.

٦- الأسواق العامة وما فيها من اختلاط وتبرج ودعوة إلى الإثارة والإغراءات المحرمة من كشف للوجه وتجميل له وإبداء لمفاتن الجسد.

٧- الدعوة لحرية الفن والترويج له وكسر القيود أمامه وصرف طاقات وشباب وعقول الأمة لهذا العفن.

٨- وسائل ومنتديات الترفيه غير البريء كحفلات الموسيقى والرقص والغناء والمسارح الهابطة والنوادي المشبوهة ودور السينما الرديئة.

٩- غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتساهل فيه وعدم الاهتمام به والرفع من شأنه وأنه صمام المجتمع.

١٠- معوقات الزواج من مغالاة في المهور واشتراط التكاليف الباهظة للحياة الزوجية والمبالغة في اشتراط المؤهلات العلمية والمكانة الاجتماعية العالية للشباب مع اشتراط بعض الأسر الزواج لبناتهن حسب تسلسل أعمارهن.

أهم المواقف على العفة:

١- نبي الله يوسف عليه الصلاة السلام ... قال تعالى :

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }يوسف٢٣

٢- عثمان بن أبي طلحة رضي الله ومرافقته لأم سلمة رضي اللهعنها في هجرتها، لمّا فرق قومي بيني وبين ابني وهاجر زوجي إلى المدينة مكثت أيامًا أبكي أخرج إلى خارج داري ثم أعود إليه، فقام رجل من بني المغيرة رآني على حالي فرق لي، وقام إلى قومي وقال: ألا تخرجوا هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وابنها قالت: فتركوني أهاجر إلى المدينة وأعطتني بنو أسد ـ قوم زوجها ـ ابني، فأخذت ابني فوضعته على حجري وركبت بعيري وسرت وليس معي أحد إلا الله، حتى إذا أتيت إلى التنعيم ـ موضع قريب من مكة تجاه المدينة ـ لقيني عثمان بن أبي طلحة أخا بني عبد الدارفقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ فقلت: أريد المدينة فقال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا قال: مالك من مترك؟ (أي كيف أتركك تسافرين وحدك).فأخذ بخطام بعيرها فسار معها .قالت أم سلمة: فما رأيت قط رجل أكرم في العرب من عثمان بن طلحة، كان إذا جئت إلى مستراح أوقف بعيري وتأخر عني فإذا نزلت عن بعيري أخذ ببعيري وتأخر بالبعير فربطه في الشجرة واضطجع تحت الشجرة ,فإذا حان موعد الرحيل جاءني بالبعير فترك البعير وتأخر عنّي، فإذا ركبت البعير جاء وأخذ! البعير وسار بي على ذلك أيامًا متتالية حتى قرب من المدينة فرأى قرية عمرو بن أبي عوف فقال: يا ابنة أبي أمية، زوجك في هذه القرية فقالت: فدخلت القرية فوجدت أبا سلمة .قالت أم سلمة تحفظ الجميل لهذا الرجل: فما رأيت رجلاً أكرم من عثمان بن طلحة قط في العرب.

وأخيرا..

ليس الظريف بكامل في ظرفه............حتى يكون عن الحرام عفيفا

فإذا تعفف عن معاصي ربـه............فهناك يُدعـى في الأنام عفيفا

؛؛

١٥- الإحسان :

معنى الإِحْسَان لغةً :

الإِحْسَان ضِدُّ الإساءة. مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن.

معنى الإحْسَان اصطلاحًا:

الإحْسَان نوعان :

١- **إحسان في عبادة الخالق:** بأن يعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها.

٢-وإحسانٌ في حقوق الخَلْق: هو بذل جميع المنافع مِن أي نوعٍ كان، لأي مخلوق يكون، ولكنَّه يتفاوت بتفاوت المحْسَن إليهم، وحقِّهم ومقامهم، وبحسب الإحْسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحْسِن وإخلاصه، والسَّبب الدَّاعي له إلى ذلك.

وقال الراغب: (الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا.

الفرق بين الإحْسَان والإنْعَام :

أَنَّ الإحْسَان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أَحْسَنْتُ إلى نفسي. والإنْعَام لا يكون إلَّا لغيره.

الفرق بين الإحْسَان والإفضَال :

أنَّ الإحسان: النفع الحسن.

والإفْضَال :النَّفع الزَّائد على أقلِّ المقدار، وقد خُصَّ الإحْسَان بالفضل، ولم يجب مثل ذلك في الزِّيادة؛ لأنَّه جرى مجرى الصِّفة الغالبة.

الفرق بين الإحْسَان والفضل :

أنَّ الإحْسَان قد يكون واجبًا وغير واجب.

والفضل لا يكون واجبًا على أحد، وإنَّما هو ما يتفضَّل به مِن غير سبب يوجبه.

الإحسان في القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (النَّحل:٩٠).

قال السعدي:

الإحْسَان فضيلة مستحبٌّ، وذلك كنفع النَّاس بالمال والبدن والعِلْم، وغير ذلك مِن أنواع النَّفع حتى إنَّه يدخل فيه الإحْسَان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره.

وقال تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (البقرة: ٨٣).

أي :أحسنوا بالوالدين إحسانًا، وهذا يعُمُّ كلَّ إحسان قولي وفعلي ممَّا هو إحسان إليهم، وفيه النَّهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحْسَان والإساءة؛ لأنَّ الواجب الإحْسَان، والأمر بالشَّيء نهيٌ عن ضِدِّه. وللإحْسَان ضِدَّان: الإساءة، وهي أعظم جرمًا، وترك الإحْسَان بدون

إساءة، وهذا محرَّم، لكن لا يجب أن يلحق بالأوَّل، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفاصيل الإحْسَان لا تنحصر بالعَدِّ، بل تكون بالحَدِّ.

ثمَّ أمر بالإحْسَان إلى النَّاس عمومًا فقال وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً، ومِن القول الحَسَن: أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العِلْم، وبذل السَّلام، والبشاشة وغير ذلك مِن كلِّ كلام طيِّب.

ولـمَّا كان الإنسان لا يسع النَّاس بماله، أُمِر بأمرٍ يقدر به على الإحْسَان إلى كلِّ مخلوق، وهو الإحْسَان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النَّهي عن الكلام القبيح للنَّاس حتى للكفَّار.

وقوله تعالى :

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (القصص: ٧٧).

قال الشَّوكاني في تفسير قوله وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) :أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بما أنعم به عليك مِن نعم الدُّنْيا.

وقال تعالى :

إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (الأعراف: ٥٦).

قال ابن القيِّم: وقوله تعالىإِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) فيه تنبيه ظاهر على أنَّ فعل هذا المأمور به هو الإحْسَان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم مِن الله هو رحمته، ورحمته قريبٌ مِن المحسنين الذين فعلوا ما أُمِروا به مِن دعائه خوفًا وطمعًا، فَقُرب مطلوبكم منكم، وهو الرَّحمة بحسب أدائكم لمطلوبه منكم، وهو الإحْسَان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم؛ فإنَّ الله تعالى هو الغنيُّ الحميد، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم .وقولهإِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله، ودلالة بمفهومه:

١- فدلالته بمنطوقه على قرب الرَّحمة مِن أهل الإحْسَان.

٢- ودلالته بتعليله وإيمائه على أنَّ هذا القُرب مستحقٌّ بالإحْسَان، فهو السَّبب في قرب الرَّحمة منهم.

٣- ودلالته بمفهومه على بُعْد الرَّحمة مِن غير المحسنين.

- فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة. وإنَّما اختُصَّ أهل الإحْسَان بقرب الرَّحمة منهم؛ لأنَّها إحسان مِن الله أرحم الرَّاحمين، وإحسانه تعالى إنَّما يكون لأهل الإحْسَان؛ لأنَّ الجزاء مِن جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته. وأمَّا مَن لم يكن مِن أهل الإحْسَان فإنَّه لـمَّا بَعُد عن الإحْسَان بَعُدَت عنه الرَّحمة بُعْدًا بِبُعْد، وقُربًا بقرب، فمَن تقرَّب بالإحْسَان تقرَّب الله إليه برحمته، ومَن تباعد عن الإحْسَان تباعد الله عنه برحمته، والله -سبحانه- يحبُّ المحسنين، ويبغض مَن ليس مِن المحسنين، ومَن أحبَّه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومَن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه، والإحْسَان- هاهنا-: هو فِعْل المأمور به سواءً كان إحسانًا إلى النَّاس أو إلى نفسه، فأعظم الإحْسَان: الإيمان والتَّوحيد، والإنابة إلى الله، والإقبال عليه، والتَّوكل عليه، وأن يعبد الله كأنَّه يراه إجلالًا ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً، فهذا هو مقام الإحْسَان، كما قال النَّبيُّ، وقد سأله جبريل عن الإحْسَان، فقال:(أن تعبد الله كأنَّك تراه).

الإحسان في السُّنَّة النَّبويَّة

١- عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال :(إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فليُرِح ذبيحته. قال المباركفوري: (قوله) :إن الله كتب الإحسان على كل شي .(أي: إلى كلِّ شيء)على (بمعنى: في، أي: أمركم بالإحْسَان في كلِّ شيء، والمراد منه العموم الشَّامل للإنسان حيًّا وميتًا. قال الطِّيبي: أي أوجب مبالغة؛ لأنَّ الإحْسَان هنا مستحبٌّ، وضَمَّن الإحْسَان معنى التَّفضُّل وعدَّاه بعلى.

والمراد بالتَّفضُّل: إراحة الذَّبيحة بتحديد الشَّفرة، وتعجيل إمرارها وغيره. وقال الشُّمُنِّيُّ: على- هنا- بمعنى اللام متعلِّقة بالإحْسَان، ولا بدَّ مِن على أخرى محذوفة بمعنى: الاستعلاء المجازي، متعلِّقة بكَتَبَ، والتَّقدير: كَتَبَ على النَّاس الإحْسَان لكلِّ شيء.

٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بماعملنا في الجاهليَّة؟ قال :(مَن أحسن في الإسلام لميُؤاخذ بما عمل في الجاهليَّة، ومَن أساء في الإسلام ُأخذ بالأوَّل والآخر).

٣- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال :أقبل رجلٌ إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر مِن الله. قال: فهل مِن والديك أحدٌ حيٌّ؟ قال: نعم، بل كلاهما. قال: أفتبتغي الأجر مِن الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما.

٤- وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص؛ قال: حدَّثني أبي، أنَّه شهد حجَّة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحمد الله وأثنى عليه، وذكَّر ووعظ. فذكر في الحديث قصةً فقال :ألا واستوصوا بالنِّساء خيرًا، فإنَّما هنَّ عَوان عندكم ليس تملكون منهنَّ شيئًا غير ذلك، إلَّأن يأتين بفاحشة مُبَيِّنَة، فإن فعلن فاهجروهنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضربًا غير مُبَرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلًا. ألا إنَّ لكمعلى نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا. فأمَّا حقُّكم على نسائكم فلا يُوطِئن فرشكم مَن تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقُّهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ.

٥- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت.

أقوال السَّلف والعلماء في الإحسان:

١- قال ابن عيينة: سئل علي رضي الله عنه عن قول الله تعالى :إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ (النَّحل: ٩٠) . فقال: العدل: الإنصاف، والإحْسَان: التفضُّل.

٢- وقرأ الحسن البصري: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) ثمَّ وقف فقال: إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشَّر كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحْسَان شيئًا مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ إلَّا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي مِن معصية الله شيئًا إلَّا جَمَعه.

٣- وقال ابن القيِّم: مفتاح حصول الرَّحمة الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده.

٤- وقال أيضًا: (فإنَّ الإحْسَان يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وتركه يوجب الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَان بالمال.

٥- وقال رجلٌ لأحد السلاطين: أحقُّ النَّاس بالإحْسَان مَن أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف مَن بُسِطت القدرة بين يديه؛ فاسْتَدِم ما أوتيت مِن النِّعم بتأدية ما عليك مِن الحقِّ.

٦- وقال في موضع آخر: ومِن منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: منزلة الإحْسَان؛ وهي لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل، فجميعها منطوية فيها، وكلُّ ما قيل مِن أوَّل الكتاب إلى هاهنا فهو مِن الإحْسَان.

فوائد الإحْسَان :

١- للإحْسَان ثمرة عظيمة تتجلَّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته مِن الخراب والتَّهلكة ووقايته مِن الآفات الاجتماعيَّة.

٢- المحسنيكون في معيَّة الله عزَّ وجلَّ، ومَن كان الله معه فإنَّه لا يخاف بأسًا ولا رهقًا.

٣-المحسن يكتسب بإحسانه محبَّة الله عزَّ وجلَّ.

٤- للمحسنين أجر عظيم في الآخرة حيث يكونون في مأمن مِن الخوف والحزن.

٥- المحسن قريب مِن رحمة الله عزَّ وجلَّ.

٦- الإحْسَان هو وسيلة المجتمع للرُّقي والتَّقدُّم، وإذا كان صنوه، أي :العدل وسيلة لحفظ النَّوع البَشَريِّ فإنَّ الإحْسَان هو وسيلة تقدمه ورقيِّه؛ لأنَّه يؤدِّي إلى توثيق الرَّوابط وتوفير التَّعاون.

٧- الإحْسَان وسيلة لإزالة ما في النُّفوس مِن الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنِّ ونحو ذلك.

٨- الإحْسَان في عبادة الخالق يمنع عن المعاصي. قال ابن القيِّم: (فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صحبة رفقته الخاصَّة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التَّام، فإن أراد الله به خيرًا أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين.

٩- الإحْسَان إلى النَّاس سببٌ مِن أسباب انشراح الصَّدر:الذي يحسن إلى النَّاس ينشرح صدره، ويشعر بالرَّاحة النَّفسيَّة، وقد ذكر ابن القيِّم في (زاد المعاد) أن الإحْسَان مِن أسباب انشراح الصَّدر، فقال:إنَّ الكريم المحسن أشرح النَّاس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق النَّاس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًّا وغمًّا.

١٠- الإحْسَان إلى النَّاس يطفئ نار الحاسد: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحْسَان إليه، فكلَّما ازداد أذى وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحةً، وعليه شفقةً، وما أظنُّك تصدِّق بأنَّ هذا يكون، فضلًا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عزَّ وجلَّ :

وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (فصِّلت: ٣٤-٣٦).

وقال تعالى :

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (القصص: ٥٤).

هذا مع أنَّه لا بدَّ له مع عدوِّه وحاسده مِن إحدى حالتين، إمَّا أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذلُّ له، ويبقى مِن أحبِّ النَّاس إليه، وإمَّا أن يفتِّت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنَّه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ومَن جرَّب هذا عرفه حقَّ المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كلِّه لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنِّه وكرمه.

أقسام الإحْسَان:

الإحْسَان ينقسم إلى قسمين:

١- إحسان في عبادة الله.

٢- وإحْسَان إلى عباد الله.

وكل قسم منهما ينقسم إلى واجب ومستحب.

فأما الإحسان في عبادة الله فيتضمن:

- الإحْسَان في الإتيان بالواجبات الظَّاهرة والباطنة: وذلك بالإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القَدْر مِن الإحْسَان فيها واجبٌ، وأمَّا الإحْسَان فيهابإكمال مستحبَّاتها فليس بواجب .

- والإحْسَان في ترك المحرَّمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى :وَذَرُوا۟ ظَاهِرَ الإثْمِ وَبَاطِنَهُ (الأنعام:١٢٠). فهذا القدر مِن الإحْسَان فيها واجبٌ.

وأمَّا الإحْسَان في الصَّبر على المقدورات، فأن يأتي بالصَّبر عليها على وجهه مِن غير تسخُّط ولا جزع.

وأما الإحسان إلى عباد الله :

فالواجب منه هو الإنصاف، والقيام بما يجب عليك للخلق بحسب ما توجَّه عليك مِن الحقوق...بأن تقوم بحقوقهم الواجبة، كالقيام ببرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات، بإعطاء جميع ما عليك مِن الحقوق، كما أنَّك تأخذ مالك وافيًا. قال تعالى:

وَاعْبُدُوا۟ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنۢبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ (النِّساء:٣٦).

فأمر الله تعالى بالإحْسَان إلى جميع هؤلاء.

وقال ابن رجب: والإحْسَان الواجب في معاملة الخَلْق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله مِن حقوق ذلك كلِّه، والإحْسَان الواجب في ولايةالخَلْق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلِّها.

وأما المستحب منهفهو القَدْرُ الزَّائد على الواجب في ذلك كلِّه. ومثال ذلك : بذل نفع بدنيٍّ، أو ماليٍّ، أو علميٍّ، أو توجيه لخير دينيٍّ، أو مصلحة دنيويَّة، فكلُّ معروف صَدَقة، وكلُّ ما أدخل السُّرور على الخَلْق صَدَقة وإحسان. وكلُّ ما أزال عنهم ما يكرهون، ودفع عنهم ما لا يرتضون مِن قليل أو كثير، فهو صَدَقة وإحسان.

صور الإحْسَان:

قبل أن نُفَصِّلَ في صور الإحْسَان نذكر هذه الصور على جهة الإجمال، والتي منها :

الإحسان في العبادات.

والإحسان في المعاملات.

والإحسان إلى الحيوانات.

والإحسان في الأعمال البدنية.

فالإحْسَان في باب العبادات أن تؤدِّى العبادة أيًّا كان نوعها؛ مِن صلاة أو صيام أو حجٍّ أو غيرها أداءً صحيحًا، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها، وهذا لا يتُّم للعبد إلَّا إذا كان شعوره قويًّا بمراقبة الله عزَّ وجلَّ حتى كأنَّه يراه تعالى ويشاهده، أو على الأقلِّ يشعر نفسه بأنَّ الله تعالى مطَّلع عليه، وناظرٌ إليه، فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته ويتقنها، فيأتي بها على الوجه المطلوب، وهذا ما أرشد إليه الرَّسول صلى الله عليه وسلم في قوله :الإحْسَان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

وفي باب المعاملات فهو للوالدين ببرِّهما بالمعروف، وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، وكفِّ الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما .وهو للأقارب ببرِّهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يَجْمُل فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم .وهو لليتامى

بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والمسح على رؤوسهم .وهو للمساكين بسدِّ جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدرائهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النَّفع إليهم بما يستطيع، وهو لابن السَّبيل بقضاء حاجته، وسدِّ خلَّته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وبإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضلَّ .وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يجفَّ عرقه، وبعدم إلزامه ما لا يلزمه، أو تكليفه بما لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيَّته.وهو لعموم النَّاس بالتَّلطُّف في القول لهم، ومجاملتهم في المعاملة، وبإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، والاعتراف بحقوقهم، وبإيصال النَّفع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم.وهو للحيوان بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق، وحمله على ما لا يقدر، وبالرِّفق به إن عمل، وإراحته إن تعب . وهوفي الأعمال البدنيَّة بإجادة العمل، وإتقان الصَّنعة، وبتخليص سائر الأعمال مِن الغش، وهكذا.

الإحْسَان في عبادة الله:

والإحْسَان في عبادة الله له ركن واحد بيَّنه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله :بأن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.فأخبر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ مرتبة الإحْسَان على درجتين، وأنَّ المحسنين في الإحْسَان على درجتين متفاوتتين، الدَّرجة الأولى: وهي أن تعبد الله كأنَّك تراه. الدَّرجة الثَّانية: أن تعبد الله كأنَّه يراك، والمعنى إذا لم تستطع أن تعبد الله كأنَّك تراه وتشاهده رأي العين، فانزل إلى المرتبة الثَّانية، وهي أن تعبد الله كأنَّه يراك. فالأولى عبادة رغبة وطمع، والثَّانية عبادة خوف ورهب.

الإحْسَان إلى الوالدين:

جاءت نصوص كثيرة تحثُّ على حقوق الوالدين وبرِّهما والإحْسَان إليهما قال تعالىوَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (الإسراء: ٢٣-٢٤).

قال القرطبي: قال العلماء: فأحقُّ النَّاس بعد الخالق المنَّان بالشُّكر والإحْسَان والتزام البرِّ والطَّاعة له والإذعان مَن قرن الله الإحْسَان إليه بعبادته وطاعته، وشكره بشكره، وهما الوالدان، فقال تعالى :

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ (لقمان: ١٤).وقوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (الأنعام: ١٥١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ العمل أفضل؟ قال: الصَّلاة لوقتها. قال قلت: ثمَّ أي؟ قال: برُّ الوالدين. قال قلت: ثمَّ أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله.

قال الرَّازي: أجمع أكثر العلماء على أنَّه يجب تعظيم الوالدين والإحْسَان إليهما إحسانًا غير مقيَّد بكونهما مؤمنين؛ لقوله تعالى وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (البقرة:٨٣).

٣- الإحْسَان إلى الجار:

عن أبي شُريح الخُزاعي أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال :مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت.ويكرم جاره بالإحسان إليه وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر منه، والبشر في وجهه، وغير ذلك من وجوه الإكرام.

٤- الإحْسَان إلى اليتامى والمساكين:

ومِن الإحْسَان إلى اليتامى والمساكين: المحافظة على حقوقهم والقيام بتربيتهم، والعطف عليهم، ومدُّ يد العون لهم، قال تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (البقرة: ٨٣).

فإنَّ الإحْسَان إليهم والبرَّ بهم وكفالة عيشهم وصيانة مستقبلهم مِن أزكى القربات، بل إنَّ العواطف المنحرفة تعتدل في هذا المسلك وتلزم الجادَّة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنَّ رجلًا شكا إلى رسول الله قسوة قلبه، فقال :امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين.

وفي رواية: أنَّ رجلًا جاءه يشكو قسوة قلبه، فقال له :أتحبُّ أن يلين قلبك وتدرك حاجتك، ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه مِن طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك.

وذلك أنَّ القلب يتبلَّد في المجتمعات التي تضجُّ بالمرح الدَّائم، والتي تصبح وتمسي وهي لا ترى مِن الحياة غير آفاقها الزَّاهرة ونعمها الباهرة، والمترفون إنَّما يتنكَّرون لآلام الجماهير؛ لأنَّ الملذَّات -التي تُيَسَّر لهم- تُغِّف أفئدتهم وتطمس بصائرهم، فلا تجعلهم يشعرون بحاجة المحتاج وألم المتألِّم وحزن المحزون، والنَّاس إنَّما يُرْزَقون الأفئدة النَّبيلة والمشاعر المرهفة عندما ينقلبون في أحوال الحياة المختلفة، ويُبْلَون مسَّ السَّرَّاء والضَّرَّاء.. عندئذ يحسُّون بالوحشة مع اليتيم وبالفقدان مع الثَّكلى وبالتعب مع البائس الفقير.

٥- الإحسان في المعاملات التجارية:

قد أمر الله تعالى بالعدل والإحْسَان جميعًا، والعدل سبب النَّجاة فقط، وهو يجري من التِّجارة مجرى سلامة رأس المال، والإحْسَان سبب الفوز ونيل السَّعادة، وهو يجري من التِّجارة مجرى الرِّبح، ولا يُعدُّ مِن العقلاء مَن قنع في معاملات الدُّنْيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة . ولا ينبغي للمتديِّن أن يقتصر على العدل واجتناب الظُّلم، ويدع أبواب الإحْسَان :

وقد قال الله تعالى وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ (القصص: ٧٧).

وقال عزَّ وجلَّ :إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ (النَّحل: ٩٠).

وقال سبحانه إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (الأعراف: ٥٦).

وينال المعامل رتبة الإحْسَان بواحدٍ مِن ستَّة أمور:

الأوَّل :

في المغابنة، فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة، فأمَّا أصل المغابنة فمأذونٌ فيه، لأنَّ البيع للرِّبح، ولا يمكن ذلك إلَّا بغبن، ولكن يراعى فيه التَّقريب، ومَن قنع بربحٍ قليلٍ كثرت معاملاته، واستفاد مِن تكررها ربحًا كثيرًا، وبه تظهر البركة .

الثَّاني:

في احتمال الغبن، والمشتري إن اشترى طعامًا مِن ضعيف أو شيئًا مِن فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل، ويكون به محسنًا وداخلًا في قوله عليه السَّلام :رحم الله سهل البيع وسهل الشِّراء. وأما احتمال الغبن مِن الغني فليس محمودًا، بل هو تضييع مال مِن غير أجر ولا حمد، وكان كثيرٌ مِن السَّلف يستقصون في الشِّراء، ويهبون مِن ذلك الجزيل مِن المال، فقيل لبعضهم في ذلك فقال: إنَّ الواهب يعطي فضله، وإنَّ المغبون يغبن عقله .

الثَّالث:

في استيفاء الثَّمن وسائر الدُّيون والإحْسَان فيه مرَّة بالمسامحة وحطِّ البعض، ومرَّة بالإمهال والتَّأخير، ومرَّة بالمساهلة في طلب جودة النَّقد، وكلُّ ذلك مندوبٌ إليه ومحثوثٌ عليه، وفي الخبر : مَن أقرض دينارًا إلى أجلٍ، فله بكلِّ يوم صدقة إلى أجله، فإذا حلَّ الأجل فأنظره بعده، فله بكلِّ يوم مثل ذلك الدَّين صدقة.ونظر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلًا بدين، فأومأ إلى صاحب الدَّين بيده، أي: ضع الشَّطر، ففعل، فقال للمديون : قم فأعطه.

الرَّابع :

في توفية الدَّين، ومِن الإحْسَان فيه حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحقِّ، ولا يكلِّفه أن يمشي إليه يتقاضاه، فقد قال صلى الله عليه وسلم :خيركم أحسنكم قضاءً .ومهما قدر على قضاء الدَّين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وإن عجز فلينوِ قضاءه مهما قدر، ومهما كلَّمه مستحقُّ الحقِّ بكلام خشن، فليتحمَّله وليقابله باللُّطف اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم لـمَّا ردَّد عليه كلامه صاحب الدَّين، فهمَّ به أصحابه، فقال :دعوه؛ فإنَّ لصاحب الحقِّ مقالًا.ومِن الإحْسَان أن يميل الحكم إلى مَن عليه الدَّين لعسره.

الخامس:

أن يُقيل مَن يستقيله؛ فإنَّه لا يستقيل إلَّا متندِّمٌ مُسْتَضِرٌّ بالبيع، ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه، وفي الخبر :مَن أقال نادمًا صفقته، أقال الله عثرته يوم القيامة.

السَّادس :

أن يقصد في معاملته جماعة مِن الفقراء بالنَّسيئة، وهو عازم على أن لا يطالبهم إن لم يظهر لهم مَيْسَرة، وكان السَّلف يقول لفقير :خذ ما تريد،فإن يُسِّر لك فاقض، وإلَّا فأنت في حلٍّ منه وسعة.

٦- الإحْسَان إلى المسيء:

ومِن أجلِّ أنواع الإحْسَان: الإحْسَان إلى مَن أساء إليك بقولٍ أو فعلٍ.

قال تعالى :وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصِّلت: ٣٤-٣٥).

ومن كانت طريقته الإحْسَان، أحسن الله جزاءه قال تعالى : هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (الرحمن:٦٠).

وذكر الهرويُّ أنَّ مِن منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين (الفتوَّة)، وقال :هي على درجات، الدَّرجة الأولى ترك الخصومة، والتَّغافل عن الزلَّة، ونسيان الأذيَّة. والدَّرجة الثَّانية أن تقرِّب مَن يقصيك، وتكرم مَن يؤذيك، وتعتذر إلى مَن يجني عليك، سماحةً لا كظمًا، ومودَّةً لا مصابرةً. قال ابن القيِّم في ذلك: هذه الدَّرجة أعلى ممَّا قبلها وأصعب؛ فإنَّ الأولى تتضمَّن ترك المقابلة والتَّغافل، وهذه تتضمَّن الإحْسَان إلى مَن أساء إليك، ومعاملته بضِدِّ ما عاملك به، فيكون الإحْسَان والإساءة بينك وبينه خُطَّتين فُخَّتك: الإحْسَان. وخُطَّته: الإساءة.

وفي مثلها قال القائل :

إذا مرضْنا أتَيْناكم نَعودُكمُ .....وتُذنبون فنُأتيكم ونَعتذرُ

ومَن أراد فهم هذه الدَّرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مع النَّاس يجدها بعينها.

٧- الإحْسَان في الكلام:

قال تعالى: وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (الإسراء: ٥٣).

قال ابن كثير:يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطَّيبة؛ فإنَّهم إذا لم يفعلوا ذلك، نزغ الشَّيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشَّرُّ والمخاصمة والمقاتلة، فإنَّ الشَّيطان عدوٌّ لآدم وذرِّيته مِن حين امتنع مِن السُّجود لآدم، فعداوته ظاهرة بيِّنة؛ ولهذا نهى أن يشير الرَّجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإنَّ الشَّيطان ينزغ في يده، أي: فربَّما أصابه بها.

٨- الإحْسَان في الجدال:

يقول الله تبارك وتعالى: وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (النَّحل: ١٢٥).

قال الشَّوكاني: أي: بالطَّريق التي هي أحسن طرق المجادلة. وإنَّما أمر -سبحانه- بالمجادلة الحسنة لكون الدَّاعي محقًّا وغرضه صحيحًا، وكان خصمه مبطلًا وغرضه فاسدًا.

٩- الإحْسَان إلى الحيوان:

ومِن الإحْسَان إلى الحيوان، إطعامه والاهتمام به، وحدُّ الشَّفرة عند ذبحه، وأن لا يحدَّ الشَّفرة أمامه، وعدم الحمل إليه أكثر مِن طاقته.قال صلى الله عليه وسلم :إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة. وكره أبو هريرة أن تُحَدَّ الشَّفرة والشَّاة تنظر إليها، وروى أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا أضجع شاة، فوضع رجله على عنقها، وهو يحدُّ شَفْرته، فقال له صلى الله عليه وسلم :ويلك، أردت أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شَفْرتك قبل أن تضجعها. وكان عمر ابن الخطَّاب ينهى أن تُذْبَح الشَّاة عند الشَّاة.

قال ابن رجب: والإحْسَان في قتل ما يجوز قتله مِن النَّاس والدَّواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه، وأسهلها. وهذا النَّوع هو الذي ذكره النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، ولعلَّه ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال، فقال :إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة. والقِتْلة والذِّبْحة -بالكسر- أي: الهيئة، والمعنى: أحسنوا هيئة الذَّبح، وهيئة القَتْل. وهذا يدلُّ على وجوب الإسراع في إزهاق النُّفوس التي يُباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحْسَان في الذَّبيحة. وقال صلى الله عليه وسلم :في كلِّ كبد رطبة أجر.

قال النَّوويُّ: معناه في الإحْسَان إلى كلِّ حيوان حي -بسقيه ونحوه- أجر، وسمَّي الحي ذا كبد رطبة؛ لأنَّ الميِّت يجفُّ جسمه وكبده. ففي الحديث الحثُّ على الإحْسَان إلى الحيوان المحترم، وهو ما لا يُؤمر بقتله. فأمَّا المأمور بقتله فيمتثل أمر الشَّرع في قتله، والمأمور بقتله كالكافر الحربي والمرتد والكلب العقور والفواسق الخمس المذكورات في الحديث وما في معناهن .

وأمَّا المحترم فيحصل الثَّواب بسقيه والإحْسَان إليه، أيضًا بإطعامه وغيره سواءً كان مملوكًا أو مباحًا، وسواءً كان مملوكًا له أو لغير.

وقال صلى الله عليه وسلم :عُذِّبت امرأة في هرَّة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النَّار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل خَشَاش الأرض.

الإحْسَان في واحة الشِّعر

قال شاعر:

حياك من لم تكن ترجو يحيته .....لولا الدراهم ما حياك إنسان

وقال آخر:

إن كنتَ تطلبُ رتبة الأشرافِ..... فعليك بالإحسانِ والإنصافِ

وقال المتنبي :

وللتَّرْك للإحسانِ خيرٌ لمحسنِ..... إذا جَعَل الإحْسَانَ غيرَ ربيبِ

وقال أحمد الكيواني:

مَن يغرسِ الإحْسَانَ يجنِ محبَّةً..... دونَ المسيءِ المبعدِ المصرومِ

أَقِلِ العثارَ تُقَلْ ولا تحسدْ ولا............ تحقِدْ فليسَ المرءُ بالمعصومِ

وقال ابن زنجي:

لا تَحْقِرنَّ مِن الإحسانِ محقرةً......... أحْسِنْ فعاقبةُ الإحسانِ حُسناه

وقال آخر:

واللهِ ما حُلي الإمامُ بحليةٍ............. أبهى مِن الإحْسَانِ والإنصافِ

وقال أبو العتاهية :

لا تمشِ في النَّاس إلَّا رحمةً لهُم.....................ولا تعاملْهم إلَّا بإنصافِ

واقطعْ قوَى كلِّ حقدٍ أنت مُضْمِرُه......... إن زلَّ ذو زلَّةٍ أو إن هفا هافِ

وارغبْ بنفسك عمَّا لا صلاحَ له...........وأوسِعِ النَّاسَ مِن برٍّ وإلطافِ

وإن يكنْ أحدٌ أولاك صالحةً.................. فكافِهِ فوقَ ما أولى بأضعافِ

ولا تكشِّفْ مُسيئًا عن إساءتِه...........وصِل حبالَ أخيك القاطعِ الجافي

;;

١٦- السّماحة :

السماحة - وهي السهولة واللين والعفو والإغضاء، والبذل والعطاء - لها أثر عظيم تنشأ به محبة القلوب، ومودة النفوس، وتثبت به لحمة الأخوة، ويكون به صف المسلمين مترابطاً قويًا، واليوم وقد غلبت على الناس كثير من أمور الحياة المادية فتجهمت وجوههم، وتقطبت جباههم، وغلظت معاملاتهم، وساءت كلماتهم وأقوالهم صارت بين النفوس نفرة، وفي القلوب جفوة، وفي الصفوف ليس فجوة بل فجوات كثيرة، فما أحرانا أن نعود إلى أصل ديننا الذي ذكره النبي صلى الله عليه

وسلم: عندما سئل عن أحب الدين فقال: (الحنيفية السمحة) وعن خلقه صلى الله عليه وسلم وهو يحب اليسر إذا ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإلى أصل ديننا فيما أراده الله عز وجل لنا من اليسر والعفو.

ودعونا نمضي في حلقات أو تتابع مستمر في هذه السماحة في دوائرها المختلفة، السماحة بين الأهل والأحباب، السماحة بين المختلفين من الناس، السماحة بين الأزواج والزوجات، السماحة بين الأبناء والآباء والأمهات، كم نحن في حاجة إلى كل ذلك، والأمر هين سهل ليس فيه مشقة ولا صعوبة، ولا حرج ولا عنت، إذ ما إن تمتلئ هذه القلوب بالصفاء والمودة حتى يكون أمر السماحة طبعاً لا تكلف، ويكون سهلاً لا عسيراً، هذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السماحة في الكتاب والسنة:

١- فيما روى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : (الكلمة الطيبة صدقة). وكلنا يحفظ هذا الحديث ويكتبه ويقرأه، فهل شيء صعبً أن تخرج الكلمة الطيبة، وهل يثقل ذلك عليك أو يحملك عناء كبيراً؟

٢- وهذا حديث مسلم في الصحيح من رواية أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة) وفي بعض الروايات أنه سئل: ما الفأل فقال: (الكلمة الصالحة الكلمة الحسنة).أي شيء سوف يكون لك إن قلت هذه الكلمة، إنها مفتاح لمغاليق القلوب، وإنها تمهيد لشرح الصدور، وإنها رسول للمحبة والمودة، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك على سبيل العموم الواسع الشامل قال تعالى:

{ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ}الإسراء٥٣

وهذا الخطاب في الآية جميل وعجيب { قُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ} إما أن بأن يجعلهم يقولوا التي هي أسوأ، وإما وهذا ظاهر في المعنى أنهم إذا لم يقولوا التي هي أحسن وجد الشيطان فرصته لينزغ بينهم، فكم من كلمة تقال تحوك في الصدر، وتبقى في القلب، وتوجد البغضاء وقدرتها وتسقي ماء الشقاق بين النفوس وتفصم عرى الصلات والعلاقات، كم كلمة يقولها المرء فيجرح ويخدش علاقة ربما دامت أعواماً.

٣- ولقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً).

٤- والمثل عملي في التوجيه النبوي، يوم قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من فطرة في الغيرة المألوفة المعروفة بين الزوجات، قالت: "حسبك من صفية قصارها" يكفيك من صفية أنها قصيرة، فأي شيء في هذه الكلمة.

تأمل ما الذي قاله سيد الخلق صلى الله عليه وسلم: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) إنها كلمة يمكن أن تغير ماء البحر لما فيها من الإيذاء والإيحاش وإدخال شيء من النفرة إلى نفس أخيك أو إلى نفس أختك المسلمة، تأمل كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه.

٥- حتى قال الفاروق عمر رضي الله عنه أنه: " باطن الأرض أحب إليه من ظهرها لولا وجود أصحاب أو أحباب في الله ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر" كأنه استوحش من الحياة

إلا أنه وجد بهجتها وحلاوتها ونظارتها وحسنها في أولئك الأخوة الذي يحسنون القول، يرطبون به النفوس ويشنفون به الآذان، ويحسنون به معاني الود والحب بين أهل الإيمان.

٦- والله سبحانه وتعالى يخبرنا بذلك شيء من العموم الواسع الذي لا يخص حتى المسلمين فيقول: { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } البقرة٨٣ - للناس كلهم حتى الكافر غير الحربي الذي لا يعتدي ولا يسيء بقوله، يحتاج منا إلى كلمة طيبة إلى دعوة صادقة، إلى هداية مقربة، وذلك ما قاله الحق جل وعلا في قوله { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } العنكبوت ٤٦

٧- إن الإحسان يستل سخائم القلوب، إن الإحسان يهذب ويقرب العقول من الحق فيجعلها أسرع موافقة له، وأكثر انجذابًا إليه، وهذا الذي نريده، وهذا الذي علمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم كان يقرب ويؤلف ويرسل الحسنى بشراً وقولاً وعملاً ودعوةً، حتى مع بعض الخصوم والأعداء، وهنا ننتقل إلى وجه آخر أيسر وربما كان أبلغ في الأثر، إنه انفراج يسير بين الشفتين، وبدوٌ قليل لبياض الأسنان، ابتسامة مضيئة مشرقة، ترسل أشعة من الود والحب كما قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر الجامع، صدَّره بالتبسم، وعقبه بكل وجوه السماحة في المعاملة مع الأشياء ومع الناس.

فقال عليه الصلاة والسلام: تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة.

٨- صور من سماحة المعاملة، صور من الإحسان إلى كل شيء حتى إلى البيئة بإماطة الأذى من الطريق، صور من التعاون والتكامل فيها إفراغ من دلوك إلى دلو أخيك، صور تعبر عن نفوس باذلة معطاءة، عن نفوس ليس فيها شح ولا غل ولا حقد ولا حسد، عن نفوس ترى حقوق المسلمين فتبادر إليها، وتخف نحوها وتشعر بأريحية وسعادة فيها كما قال عز وجل: { وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الحشر : ٩ - التغابن : ١٦

٩- كم نحن في حاجة إلى مثل هذه التوجيهات، وكلها ليس فيه شيء من عناء ولا مشقة، ابتسامة صافية تقدم بها بين لقائك بأخيك، حتى في وقت شدة أو عسر، وقد كان هذا دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوعد منه قائم كما في حديث أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اسمح يسمح لك) عامل الناس بالسامحة فستجدها منهم، وستجدها في طريقك وفي سائر أحوالك.

١٠- وتأملوا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في صورة عجيبة فريدة تبين لنا سمو سماحته عليه الصلاة والسلام، هذا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه يقول: ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، وشكوت إليه أني لا أثبت على الفرس، فضرب على صدري وقال :اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًاما الذي جعل جريراً يروي هذا الحديث، لقد تغلغلت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أقوال نفسه وأعماق قلبه، لقد ملكت عليه أقطار نفسه، لقد جعلته منجذبا إلى هذا المثل الأعلى والقدوة الأسمى (ما حجبني صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت) في أي وقت يرحب به، في أي لحظة يستقبله، رغم أنه القائد الأعلى والحاكم لأمة الإسلام ورغم مشاغله الكثيرة، كانت سماحة نفسه تفيض فتستوعب كل الناس حتى غير المسلمين، (وما رآني إلى تبسم في وجي) هل نتبسم على الأقل في وجوه زملاء العمل، ورفقاء الدراسة الذين نراهم كل يوم؟ أم هل نتبسم في وجوه أزواجنا وأبنائنا ونحن نخالطهم في يومنا وليلتنا؟ أم أنه قد تجهمت الوجوه فلا تكاد ترى ابتسامة ولا كلمة طيبة، وبالمناسبة فإن بعض الناس يقول: كيف تريدنا أن نبتسم أو نتبادل الكلام الطيب والأمور صعبة والحياة قاسية، والمعاناة والمشكلات كثيرة، فأقول إن سماحة نفسك وابتسامة ثغرك، والكلمة الطيبة من فمك هي علاج لك يعينك على مواجهة الصعاب فأي شيء ينفعك إذا زدت فوق الصعوبة الحياتية هما في قلبك و غما في نفسك وكدراً في خاطرك، وظلمة في وجهك وفضاضة في فعلك وفحشا في قولك، إنك لا تزيد الأمر إلى سوءاً ولا تزيد نفسك إلا مزيداً من العناء والمشقة، ولكنك إن تبسمت وتكلمت بكلام طيب سر ذلك عن نفسك، وكانعلاجاً لهمك وغمك بإذن الله عز وجل.

١١- وتأملوا مرة أخرى قدوتنا المثلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هذا جابر بن سمرة يقول: جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة (مائة مجلس) ، هذا في علم الحديث

يسمونه استبيان استقرائي، ليس مرة واحدة كانت فيه نوع من السماحة، وربما في حال من الأنس، أو ربما في حال من دخول شيء من الفائدة له أو غير ذلك، كلا، قال: (جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم) هذا حديث عند الترمذي قال فيه: حسن صحيح، وفي بعض روايته: (فيضحكون ويتبسم) لأنه صلى الله عليه وسلم صاحب وقار، أين الشاهد هنا؟ كانوا يتناشدون الشعر، يأخذون بشيء من الملح والطرف، شيء مما يدخل السعادة على النفس، بعض الدعابة والمرح، بل كانوا يذكرون أمر الجاهلية وبعض الأخبار والأحوال السابقة، فهل نهاهم ونهرهم؟ ليس ثمة إثم ولا حرام، هل تجهم في وجوههم وكهرهم؟ كان ساكتاً وربما تبسم، أليس ذلك أحيانًا يكون عكسه منا لمعاملاتنا مع إخواننا، بل كثيراً ما يكون منا في معاملاتنا مع أزواجنا وأبنائنا.

١٢- وانظروا إلى انعكاس ذلك في فقه الصحابةعموماً، هذه أم الدرداء تحكي لنا عن أبي الدرداء، وأبو الدرداء بالمناسبة مشهور بأنه كان من عباد الصحابة وزهادهم، تقول أم الدرداء رضي الله عنهاكان أبو الدرداء إذا حدث حديثاً تبسم، لا يتحدث إلا وهو مبتسم- فقالت له :قد يقول الناس عنك إنك –والرواية في اللفظ- أي أحمق، دائما تتكلم وتتبسم، فماذا قال رضي الله عنه وأرضاه قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً إلا تبسم. رواه أحمد في مسنده، لم لا نقرب الناس بهذه الأساليب السمحة الودودة نعم لكل مقام مقال، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أي في أمر يحذر الناس منه كان كأنه منذر جيش، لكن غالب ما يحتاج الناس إليه سيما في عصيرنا هذا وقد نفر الناس عن حياض الإيمان وبعدوا عن ظلال المساجد وابتعدوا عن الطاعات أن تتألف قلوبهم بهذه الكلمات وبتلك البسمات.

١٣- وخذوا الأمثلة في جانب آخر وهو جانب السماحة بالبذل والعطاء، هذا خبر عن معاذ بن جبل مروي في سنن البيهقي فيه صفة معاذ: كان شابًا حليماً سمحاً من أفضل شباب قومه ولم يكن يمسك شيئاً، كان يعطي؟ فلم يزل يدان –يعني يستدين ويعطي- من شدة حبه للعطاء وسماحته، حتى أغرق ماله كله -أصبح مديناً ليس هناك مجال – قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بالحال، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم غرمائه، قال الراوي: فلو ترك أحداً من أجل أحد لتركوا معاذاً لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم(لكن كانت لهم حقوق ولهم حوائج إليها،

قال: فباع النبي صلى الله عليه وسلم –أي باع ما عند معاذ- وسدد الناس، قال: فلم يبقى له شيء)؛ أي من ماله، وكان ذلك كما روى بعضهم بعد حجة الوداع، فلما انتهت حجة الوداع بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن معلماً وداعياً، ولكي يخرج من أزمته ولعله يجد رزقاً يفسح الله به عنه، وهذا كان من وصفه البديع الجميل،كم نحن في حاجة أيضاً، ليس إلى أن نحمل أنفسنا ديونًا، لكن إلى أن نسمح ونتسامح، فيما يمكن لنا أن نجود به ولو لم يكن من مال، بل ربما يكون من عطاء غير المال، ويكون أيضا فيه نفع وفائدة وأثر.

١٤- وهذا الطبراني في معجمه الكبير يروي لنا سيرة أخرى لعياض بن غنم رضي الله عنه، وكان مع أبي عبيدة في بلاد الشام بعد الفتوح، فلما حضرت أبو عبيدة الوفاة، ولَّى عياض بن غنم -لنعرف مكانته- وأقره عمر بن الخطاب على ذلك، فمن كان عياض هذا؟ جاء في وصفه: وكان عياض رجل صالحاً سمحاً، مات يوم مات وماله مال ولا عليه دين لأحد، مات سنة عشرين وعمره ستين سنة، أولئك هم خريجوا مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، أولئك نماذج الإسلام السمحة العظيمة في معاملاتها.

١٥- وإذا كانت هذه هي السماحة المرجوة المطلوبة فكيف يكون حالنا مع من خالف أو عصا أو تجاوز واقترف إثماً، ألسنا مطالبين بأن نشتد عليهم وأن نغلظ لهم، وأن وأن وأن كما قد يسلسل في هذه السلسلة الطويلة، وأقول كذلك مرة أخرى، كل بحسبه، غير أن السماحة في مثل هذا أيضا واردة وغالبة وثابتة عن أعظم الناس غيرة وإيمانًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشواهد الأحاديث ومواقف السيرة تدل على ذلك، ومنها الحديث الصحيح المشهور من رواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال –لما جاءت البيعة- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، فبايعناه على ذلك) رواه البخاري في الصحيح.

١٦- حتى الذنوب مرجعها إن لم تكن فيها حقوق للناس إلى الله، فإن كان الله يعد بالعفو ويرغب فيه للناس فنحن ينبغي أن ننتفع بذلك بأن نعين كما سنذكر من وقع في المعصية على أن يخرج منها،

ولا أن نكون عونًا على الشيطان عليه، ومن هنا استمع لقوله جل وعلا: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الزمر٥٣ . لاحظ هنا { يا عبادي } نداء من الله عز وجل، لمن؟ للذين أسرفوا على أنفسهم، ويسميهم {عباد} ويضيفهم نسبة إليه {يا عبادي} {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ} لقد بلغوا حداً كبيرا في الغفلة والوقوع في المخالفة { لا تقنطوا من رحمة الله } لا يغلبنكم الشيطان فيئيسكم من رحمة الله، ولا يكون غيركم سببا لكم من المنع من رحمة الله.

١٧- وتعلمون ما تعلمون من قول النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قال: لأخيه العاصي وكان هو عابداً (والله لا يغفر الله لك، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي، فقبضت أرواحهما فغفر للعاصي وعاقب المقسم). ليس ذلك دعوة بأن يعصي الناس ربهم، ولا لتسهيل المخالفة، ولكن لتسهيل الخروج منها، لإعانة المسلم على أن يحاط بإخوانه المسلمين، بابتسامة وكلمة طيبة وموعظة وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وذلك تطبيقه العملي في أحاديث وسنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا نجده في أمور كثيرة.

١٨- روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله عز وجل { وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } هود ١١٤

فقال الرجل: ألي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لمن عمل بها من أمتي) وهذا الحديث له روايات أخرى فيها بعض تفصيل، وهو أن الرجل كان يبيع تمراً وجاءته امرأة تشتري منه فأعجبته، فهافت نفسه فقبلها، وهو الذي يقول أهل العلم إنه جاءت الرواية الأخرى عنه أو في قصته: (يا رسول الله أصبت حدا) فأوهم الناس كيف يعفو النبي عن الحد، فقال أهل العلم إنه كان يظن أن كل مخالفة فيها حد، فلما علم الأمر على هذا النحو وجهه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهنا نلاحظ أن النبي لم يعنفه ولم يشتد عليه، لم؟ لأن الرجل جاء نادماً، وواضح أنه تذكر من بعد غفلة قال تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ }الأعراف ٢٠١

هذا رجل نادم، هذا رجل عائد، فلو وجد تجهماً وغلظة لربما دفعه ذلك إلى أن يرجع إلى معصيته، وأن يواصل مخالفته، لكن الصدر الحنون والداعية الأعظم والمربي الأكبر صلى الله عليه وسلم أحسن توجيهه، وجاءت الآيات تبين هذا المعنى وليس في هذا مرة أخرى تشجيع على شيء من المعصية أبداً، بل هو علاج لها، ولذا ورد في بعض الروايات بهذا الحديث عند أبي داود في سننه عن قصة أخرى وهي التي رواها مسلم في صحيحه عن الرجل الذي كان يشرب الخمر فأتي به فجلد، ثم بعد فترة جيء به مرة ثانية فجلد، ثم ثالثة فجلد، فقال بعض الناس: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.

ومن هنا قال أهل العلم: المسألة العظمى المعروفة أنه لا يكفر المسلم بارتكاب الذنب، والمسألة الثانية أنه قد يجتمع وقوع المعصية مع ثبوت أصل حب الله ورسوله، لأن المعصية ضعف بشري واستسلال شيطاني وهوى قد يحيط بالإنسان فلا يثبت له أو لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه، ثم هذا الحديث في رواية أبي داود أنه يقال له: (أما خفت الله، أما استحييت من رسول الله، فكان التوجيه من رسول الله قولوا: اللهم اغفر له اللهم ارحمه). هكذا يكون الأمر الذي نصل به إلى الهدف والمرتجى بأن نعين كل مخطئ أن يتوب من خطيئته ومعصيته، وأن يرجع إلى الله عز وجل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يردنا إلى دينه ردا جميلا، وأن يجعلنا من أهل السماحة واليسر والسهولة واللين وأن يوفقنا لطاعته ومرضاته، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٩- واعلموا أن السماحة أمرها عظيم في أجرها وثوابها، وفي أثرها ونفعها، وذلك ما يبينه لنا كما قلت كثير من المواقف النبوية، لعلي أشير فيها إلى موقف مشهور نحتاج إلى التذكير به، في قصة الشاب الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا، وهو أمر بغيظ فاحش، فنهره الصحابة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مه مه ادن مني) فدنا منه الشاب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أترضاه لأمك، قال: لا، فداءك أبي وأمي يا رسول الله، قال :والناس لا يرضونه لأمهاتهم، ثم قال: لأختك ثم قال: لابنتك ثم قال: لخالتك ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره ودعا له فقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. فكان من أثر ذلك أن قال هذا الغلام كما في رواية أخرى: (ما صار شيء أبغض إلى نفسي من الزنا) والحديث رواه الإمام أحمد

من رواية أبي أمامة .وهكذا ينبغي لنا أن نحسن ذلك وأن يكون موضوع الغلظة والشدة بحسبه وبحاله، وبما يؤدي إليه من أثر ونفع، كم نحن في حاجة إلى أن نشيع هذه السماحة، ابتسامة مشرقة، وكلمة طيبة، وعطاء عظيماً وعفوا وإغضاء، وتألفاً للقلوب، وترفقاً للنفوس، عل الله عز وجل أن يعيد إلينا صفاء قلوبنا ومودة نفوسنا، وصلة ما بيننا وأن يذهب عنا تجهم الحياة وهمها وغمها، بما نحسن فيما بيننا من سماحة ويسر ولين وقرب، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه.

٢٠- لقد بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بدين عظيم، في قمة أغراضه وأهدافه :السلام والمسالمة؛ ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم؛ ولهذا شرع السلام للمؤمنين في تحية اللقاء، وفي تحية الانصراف من الصلاة، ليكون شعارًا لهم في غدوهم ورَواحهم، وفي مجتمعهم في مساجدهم ونواديهم، وفي ردهم على من يجهل عليهم؛ قال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (الفرقان: ٦٣).

وحيث كان السلام شعار الإسلام، فالمراد منه معناه حقيقة، وهو السلامة والأمان، ومن دواعيها أن تتجاوز عن مساءة أخيك، وتحسن تأويل ما اشتبه عليك من أمره، وتعينه في سرائه وضرائه، وتحنو عليه وتدفع الظلم عنه، ويكون أمرك معه، وألا تؤذيه بقول أو فعل؛ قال - صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

٢١- ومن حق المسلم على أخيه ألا يهجره فوق ثلاث ليال، حتى لا تُظلم القلوب بالجفوة، وتتغير بالهجر؛ لتظل المودة والألفة بينهما؛ قال صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيانِ فيُعرِض هذا ويعرض هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام. ومن حقِّه عليه أن يقيل عثرته؛ قال صلى الله عليه وسلم :من أقال عثرة أخيه أقاله اللهُ يوم القيامة.

وقد جاء في معنى قوله تعالى : رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (الفتح: ٢٩) يدعو صالحهم لطالحهم، وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: اللهم باركْ له فيما قسمت له من الخير، وثبِّته عليه، وانفعنا به، وإذا نظر الصالحُ إلى الطالح قال: اللهم اهدِه، وتُبْ عليه، واغفِرْ له عثرته، وما عفا رجلٌ من مظلمة إلا زاده الله عزًّا.

٢٢- ومن حقِّه عليه ألا يسمع لواشٍ عنه سماعَ تسليم؛ فإن أولئك الوشاة -غالبًا - مفترون كاذبون، يريدون أن يفرقوا بين الأحبة، وفي الحديث: (لا يدخل الجنة قتَّات)؛ أي: نمَّام ، ولهذا أمر الله المؤمنين بالتثبت من أخبار الوشاة قبل اتخاذ القرار ضد مَن تحدَّث الوشاة عنهم، وذلك بقوله - تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (الحجرات: ٦).إلى غير ذلك من حقوق السلام والمسالمة بين المسلمين .

٢٣- وكذلك يدعونا ربنا - عز وجل - للسلام مع الغير بقوله:وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (الأنفال: ٦١).

هذا ولا يوجد دين فوق سطح الأرض التي نعيش عليها اتسع نطاقُه وكثُر أتباعه - بسرعة تفوق الخيالَ - سوى دين الإسلام، ولا غرابة في أن تُقبِل البلاد المفتوحة على الإسلام؛ فإنه دينُ السلام الذي تبحث عنه الإنسانيةُ، فلا تجده قد بدده المتجبرون والمسيطرون أصحاب الأطماع العريضة.

إن السلام هو الشعار الأول للإسلام؛ ولذا أوجب الله على المؤمنين مسالمة الناس جميعًا؛ لقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً (البقرة: ٢٠٨) وتمثل ذلك السلام في أصول الإسلام؛ فأولها في العقيدة إذ :لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة: ٢٥٦). وكذلك السلام في المعاملة التجارية، وفي الأنفس والأعراض، وفي القضاء، وفي الجوار.

؛؛

١٧- الأمانة :

الأمانة اصطلاحاً هي كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه وحفظه . وقيل التَّعفُّف عَّما يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه.

وقال الكفوي في تعريف الأمَانَة: كلُّ ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع وأوكد الودائع كتم الأسرار.

يقول الله تعالى:

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }النساء٥٨

الأمانة : الوفاء . و الأمانة الوديعة . ، وفلان أمين أي وفي لا يتعدى على حق الغير .

في الآية الكريمة دليل أهميتها:

فحرف التوكيد (إن) على رأس الآية الكريمة يبادر فيؤكد ضرورة الاستمساك بها.ولفظ الجلالة (الله) يوحي بالخشية والرهبة على عقبى التفريط بها.ثم إن الخطاب المباشر منه تعالى للناس كافة (يأمركم) دون توسيط الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تنتهي مهمته بالإبلاغ.ثم هو تعالى يأمر الناس جميعا: من عنده الأمانة.والمجتمع الذي يراقب ويتابع ويساعد على التنفيذ، وربنا تعالى يأمر بالأداء بفعل المضارع المفيد استمرار الوفاء بحق الأمانة لتظل شارة الأمة التي تريد لنفسها البقاء ثم هو الأداء إلى أهل الأمانة فجّاراً كانوا أم أبراراً، فالأمانة في الإسلام كالعدل، مطلقة لا نسبية، وترتفع قيمة الأمانة إلى حد لا يغني بذل الحياة عنها.

لذا نجد أن الأمانة والعدل هما أساس التمدن الإنساني، ذلك أن بقاء الأمة منوط بما يلي:

وقد وردت الأمانة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: في الدين والديانة ... قال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَآمَنُواْ لا تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْأَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }الأنفال٢٧

فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين. الأمانة في حفظ الجوارح: وعلى المسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله -سبحانه-؛ فالعين أمانة يجب عليه أن يغضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنِّبَها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة...وهكذا.

الثاني: في المال والنعمة ...قال تعالى {إِنَّا نزَلْنَا إِلَيْكَالْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَاأَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُنلِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً }النساء١٠٥

ومن الأمانة حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي، مثلما فعل الرسول مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ليحفظها لهم؛ فقد عُرِفَ الرسول بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وحينما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة، ترك علي بن أبي طالب ليعطي المشركين الودائع والأمانات التي تركوها عنده.

الثالث: في الشرع والسنة ...

قال تعالى {وَإِنيُرِيدُواْ خِيَانَتَكَفَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }الأنفال٧١

أي إن تعرضوا لخيانتكم في المستقبل، فقد خانوا الله من قبل بالكفر، فأمكن منهم في بدر.أو: إن تركوا الأمانة في السنة فقد تركوها في الفريضة.

الرابع: الخيانة بمعنى الزنى ...

قال تعالى {ذَلِكَلِيَعْلَمَأَنِّيلَمْأَخُنْهُبِالْغَيْبِوَأَنَّ اللّهَلا يَهْدِي كَيْدَالْخَائِنِينَ }يوسف٥٢

الخامس: بمعنى نقض العهد والبيعة... قال تعالى {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ }الأنفال٥٨

ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئٍ واجبه بجد واجتهاد.

ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها؛ فالكلمة قد تُدخل صاحبها الجنة وتجعله من أهل التقوى وقد ينطق الإنسان بكلمة الكفر فيصير من أهل النار.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلمأهمية الكلمة وأثرها، فقال: إن الرجل لَيتَكَلَّمُ بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه. والمسلم يتخير الكلام الطيب ويتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (الكلمة الطيبة صدقة).

أساس الأمانة:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيت أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته (رواه بخاري).

والحديث الشريف يشير إلى عموم المسؤولية، من الخادم إلى رأس الدولة، ولعل زيادة ضمير الفصل في جانب الزوج والزوجة والخادم علاج لما يمكن أن يكون في البيت من تسيب يحمل على التنصل من المسؤولية الفردية وتعليقها بالأطراف الأخرى داخل البيت أو خارجه.

فالأب والأم والخادم كلهم مسؤولون مسؤولية مباشرة، كل فيما يخصه، أما بالنسبة لرئيس الدولة فمسؤوليته مقررة ولا تحتاج إلى لفت نظر بمثل ضمير الفصل المذكور مع الآخرين، وعن هذه المسؤولية، يأخذ الضمير وضع الاستعداد حماية للأمانة.

أهمية الأمانة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة (من حديث رواه أحمد).

كما تتسع دائرة الأمانة لتشمل المؤمن والكافر والبر والفاجرقال ميمون بن مهران: ثلاثة يؤدون إلى البر والفاجر، الأمانة والعهد وصلة الرحم.

وذلك سر حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على التذكر بها والتذكير عليها في كل موعظة.

عن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله إلا وقال: لا إيمان لمن لا عهد له (رواه أحمد).

ومن هنا اشترط فيمن يتولى أمور المسلمين أن يكون قادراً على الوفاء بحق الأمانة تدبير أمره وليس كل مسلم صالحاً لها.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها(رواه مسلم).

إن الكفاية العلمية أو العملية ليست لازمة لصلاح النفس، فقد يكون الرجل رضي السيرة حسن الإيمان، ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجاً في وظيفة معينة، ألا ترى إلى

يوسف الصديق؟ إنه لم يرشح نفسه لإدارة شؤون المال بنبوته وتقواه فحسب بل بحفظه وعلمه أيضاً. قال تعالى {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }يوسف٥٥

فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة، ودخل المسجد الحرام فطاف حول الكعبة، وبعد أن انتهى من طوافه دعا عثمان بن طلحة -حامل مفتاح الكعبة -فأخذ منه المفتاح، وتم فتح الكعبة، فدخلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قام على باب الكعبة فقال: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده...). ثم جلس في المسجد فقام على بن أبي طالب وقال: يا رسول الله، اجعل لنا الحجابة مع السقاية. فقال النبي : (أين عثمان بن طلحة؟) فجاءوا به، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم برٍّ ووفاء (سيرة ابن هشام)ونزل في هذا قول الله تعالى في سورة النساء:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).

وهكذا رفض النبي إعطاء المفتاح لعلي ليقوم بخدمة الحجيج وسقايتهم، وأعطاه عثمان بن طلحة امتثالا لأمر الله بردِّ الأمانات إلى أهلها.

الأمانة في الإسلام

الأمانة هي أداء الحقوق، والمحافظة عليها، فالمسلم يعطي كل ذي حق حقه؛ يؤدي حق الله في العبادة، ويحفظ جوارحه عن الحرام، ويرد الودائع... إلخ. وهي خلق جليل من أخلاق الإسلام، وأساس من أسسه، فهي فريضة عظيمة حملها الإنسان، بينما رفضت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لعظمها وثقلها، يقول تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }الأحزاب٧٢

الأمانة لها أنواع كثيرة،منها:

الأمانة في العبادة- الأمانة في الودائع- الأمانة في العمل- الأمانة في الكلام- المسئولية أمانة- الأمانة في حفظ الأسرار- الأمانة في البيع.

كل إنسان مسئول عن شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكما أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلا أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، قال :

ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها (زوجها) وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته(متفق عليه).

الأمانة في حفظ الأسرار: فالمسلم يحفظ سر أخيه ولا يخونه ولا يفشي أسراره، وقد قال النبي : إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة (أبو داود والترمذي)

الأمانة في البيع :المسلم لا يغِشُّ أحدًا، ولا يغدر به ولا يخونه، وقد مرَّ النبي على رجل يبيع طعامًا فأدخل يده في كومة الطعام، فوجده مبلولا، فقال له: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال الرجل: أصابته السماء (المطر) يا رسول الله، فقال النبي : أفلا جعلتَه فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غَشَّ فليس مني (مسلم).

فضل الأمانة:

عندما يلتزم الناس بالأمانة يتحقق لهم الخير، ويعمهم الحب، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بحفظهم للأمانة، فقال تعالى:

{والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون}المعارج: ٣٢

وفي الآخرة يفوز الأمناء برضا ربهم، وبجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

؛؛؛

١٨-الشكر على المعروف :

لغةً : هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف.

شرعا: هو الثناء على الله بما هو أهله وأن لا ترى نفسك أهلا للنعمه ويكون الشكر بالنية والقول والفعل ، فيعتقد أنه ولي نعمته ويثني على الله بلسانه ويبرز ذلك في أعماله انقيادا و طاعة.

قال الله تعالى : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم٧

ومما يدلنا على أهمية الشكر ذكره في القرآن الكريم خمس وسبعون مرة بتصاريفه المتعددة ، ولكنه يأتي في أغلب المرّات مسبوقا بذكر النعم الكثيرة التي ينعم فيها ابن آدم ، ولكن الهوى والشيطان يحاولان أن ينسياه ماهو فيه من نعم ويصرفان بصره إلى النعم التي يتقلب فيها غيره .

فضل الشكر :

١- إن منزلة الشكر هي من أعلى المنازل وهي على ماحققه بعض العلماء فوق منزلة الرضى ، فالرضى مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه .

٢- وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالشكر وأثنى على أهل الشكر ووصف بذلك بعض خواص خلقه فقال سبحانه: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه).

٣- وقال تعالى عن نوح عليه السلام : (إنه كان عبدا شكورا).

٤- وقد وعد الله تعالى الشاكرين بأفضل الجزاء و أحسنه قال تعالى (وسنجزي الشاكرين).

٥- ولقد جعل الله تعالى الشكر وسيلة لزيادة نعم الله تعالى ، فقال سبحانه: (ولئن شكرتم لأزيدنكم).

٦- أنه سبحانه وتعالى سمى نفسه (شاكرا) و(شكورا) وسمى الشاكرين بهذين الإسمين فأعطاهم من وصفه وسماهم با سمه ، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا.

٧- ومما يدل على فضل الشكر أيضا أن الله تعالى قرنه بالصبر في أكثر من موضع ، قال تعالى:(إن في ذلك لآيات لكل صّبار شكور) فالشكر على النعم أو زوال النقم ، والصبر عند زوال النعم أو حلول البلاء ، ولأن الصبر على الطاعة عين الشكر عليها.

درجات الشكر:

الدرجة الأولى :

الشكر على النعمة وهو شكر الله تعالى على نعمه التي أنعم بها على العبد في كل أحواله ، والتي يسبح فيها الإنسان صباح مساء.

الدرجة الثانية:

الشكر على دفع النقم سواء اندفعت عنه أو عن غيره من المسلمين وذلك لذهاب مرض أو انحسار طاعون أو عدو ومنه قوله تعالى (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور).

الدرجة الثالثة:

الشكر عند المكروهات من البلوى والمصائب وهذا مما تستوي عنده الحالات وإظهارا للرضى ،و مما يميز بين هذه الأحوال ، كظم الغيظ ، وستر الشكوى ، ورعاية الأدب ، يعني أن الشكر على

المصائب أشد وأصعب من الشكر على المحاب لذلك كان فوقه في الدرجة وقد ذكر العلماء أنه يسن إذا سئل المريض عن حاله أن يحمد الله إذا أرادالشكوى إلى الطبيب فيقول أحمد الله إليك أجد كذا وكذا .

ما يتحقق به الشكر:

يتحقق شكر الله تعالى بأمور :

١- معرفة النعمة : لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكرا . وأن النعمة من الله قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) فلاأحد يستطيع أن يجلبها إذا لم يأت بها الله ، ولا أحد يستطيع أن يمنعها إذا أرادالله إرسالها إليه والمسلم الحق كلما ازدادت نعمة الله عليه ازداد طاعة لله واجتهادا في شكر هذه النعمة حتى لا تزول.

٢- معرفة أنها من الله : إن النعم العظيمة كثيرا ماتقود الإنسان إلى الإحساس بوجود منعم كريم لا حدود لكرمه فمن لم يقر بالله لم يقر أن النعيم منه ولميتصور شكره له وإذا عرف أنها من الله أحبّه عليها.

٣- الثناء على المنعم بها : وذلك بإطلاق التحميدات والثناء عليه سبحانه بما هو له أهل واظهار الرضا عنه سبحانه وتعالى والتحدث بتلك النعمة وإسناد التفضل بها إلى المنعم وحمده عليها ، قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) والتحدث عن النعم العامة كذلك كالجود والكرم والإحسان وسعة العطاء ونحو ذلك.

٤- ترك استعمالها فيما يكرهه المنعم بها والعمل بما يرضيه فيها.

٥- الخضوع له والعمل بما يرضيه وهو المعنى الحقيقي للشكر فأكثر الناس خضوعا أكثرهم شكرا .

٦- قبول النعمة وتلقيها بمزيد افتقار واحتياج إلى المنعم بها .

٧- و إن وصولها بغير بذل جهد ولا ثمن يطوق الإنسان بفضل الله الغامر.

ثمرات الشكر: بعد ما تبين أن الشكر ثناء على المتفضل بأفضاله ونعمه وإحسانه ولكن الشكر فعل بشري لايصدر عن الإنسان إلا بمحرض ودافع ألا وهو الإيمان الراسخ في القلب . إن الشكر شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وأن من أكلها:

١- الثواب الأكيد من الله سبحانه وتعالى ، قال عز وجل (كذلك نجزي من شكر).وقال تعالى: (وسنجزي الشاكرين). فالله يعد المؤمنين الشاكرين بالجزاء والثواب وَوَعْدُ الله لابد أن يتحقق إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

٢- المزيد من نعم الله التي لا حد لها ، قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وعد الله سبحانه وتعالى بالزيادة ، لأن شكر كل نعمة يستدعي المزيد ، والمزيد في الآية لم يحدد وكان الفضيل بن عياض يقول (من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة).

٣- منع العذاب عن الخلق ، يقول الله عز وجل (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) فالله سبحانه لايعذب أحدا من عباده إلا بسبب كفرهم به ، أما إذا شكروا بأن عملوا بما يرضي الله بعد أن أنعم عليهم بنعمة الشريعة الربانية فسيعشون في أمان وسلام في الدنيا والآخرة ، وإن امتنعوا عن الشكر فلا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة التي تنكبت صراط الله المستقيم ولم تنقد لشرع الله ، فتحكيم شرع الله هو عنوان الخضوع لله وأوامره وعنوان الرضى عن الله بقبول ما اختاره للناس من دين.

ومع تلك النعم التي لا تعد ولا تحصى ، فقد أشار القرآن الكريم إلى قلة الشاكرين قال تعالى (وقليل من عبادي الشكور).وقال أيضا (قليلا ما تشكرون). أي شكركم قليل، وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنكم غير شاكرين.

شكر الناس :

لقد أشار كتاب الله تعالى إلى نوع آخر من الشكر وهو شكر الناس على المعروف وذلك أن الله شكر المحسنين وهو غني عنهم فالعبد أولى بأن يشكر من أحسن إليه ولقد أمر الله بالشكر للوالدين و قرن ذلك بالشكر له لعظم فضلهما قال تعالى (أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير).

وقال عليه الصلاة والسلام (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله) والشكر أن تقول لمن أدى إليك معروفا جزاك الله خيرا وهو أبلغ شيء في الثناء.

الشكر على المعروف في السنة وفي قصص الصحابة والتابعين:

١- روى البخاري ومسلم أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء فَوَضَعْتُ له وَضُوءًا ـ مَاء يتطهر به ـ فلَّما خرج قال: مَن وضع هذا ؟ فُأُخْبر، فقال: اللهم فقِّهه في الدِّين.

٢- وثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى قتادة لملاحظته له في السفر : حَفِظَك الله بما حَفِظْتَ به نَبِيَّه.

٣- ورَوى الترمذي بإسناد قال عنه :حسن صحيح قوله صلى الله عليه وسلم : مَن صُنع إليه معروف فقال لفاعله :جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء.

٤- ورَوي النسائي وابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم استقرض من عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألفًا، فلما دفع إليه القرض دعا له وقال: بارَك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السَّلَف الحمد والأداء.

٥- ومن السَّنة إذا صُنع للإنسان معروف أن يكافئ فاعله بمثل معروفه أو أحسن، بناء على قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) النساء٨٦- لكن ربما لا يستطيع الإنسان أن يقوم بذلك، وهنا يكفى أن يشكر الفاعل ويدعو له بالخير، فقد ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: مَن اصطنع إليكم معروفًا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فإن الله شاكر يحب الشاكرين(رواه أبو داود والنسائي ورواه الطبراني باللفظ المذكور).

٦- وروى أبو داود والنسائي أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، ما رأينا قومًا أحسن بَذْلًا لكثير ولا أحسن مواساة في قليل منهم، ولقد كفونا المُؤْنة، قال صلى الله عليه وسلم: أليس تُثْنون عليهم به وتدعون لهم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك بذاك. قال الطيبي رحمه الله:

يعني إذ حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنأ فقد أحرزوا المثوبات فكيف نجازيهم ؟ فأجاب لا. أي ليس الأمر كما زعمتم إذا أثنيتم عليهم شكرا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم.

٧- وماذا لو كان صانع المعروف غير مسلم كيف نشكره وندعو له؟ والإجابة أن يُدعى له بالهداية وصحة البدن والعافية، بدليل ما رواه ابن السُّني أن الرسول صلى الله عليه وسلم استقى - يعنى طلب ماء يَشربه – فسقاه يهودي، فقال له: جمَّلك الله - فما رأى الشيب حتى مات.

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: من لا يشكر الناس لا يشكر الله .

قال القاضي في هذا الحديث: وهذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره وأن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديا شكر نعمه، أو لأن من أخل بشكر من أسدى نعمة من الناس مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكر والكفران.

٩- وعن الأشعث بن قيس عن أسامة بن زيد عن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم : أشكر الناس لله أشكرهم للناس(صححه الألباني) .

قال المناوي: أشكر الناس لله تعالى- أي-من أكثرهم شكراً له أشكرهم للناس لأنه سبحانه جعل للنعم وسائط منهم وأوجب شكر من جعله سبباً لإفاضتها كالأنبياء والصحابة والعلماء فزيادة العبد في شكرهم زيادة في شكر ربه، إذ هو المنعم بالحقيقة، فشكرهم شكره، ونعم الله منها بغير واسطة كأصل خلقته، ومنها بواسطة وهي ما على أيدي الناس فتتقيد بشكرهم ومكافأتهم ففي الحقيقة قد شكر المنعم بإيجاد أصل النعمة ثم بتسخير الوسائط.

١٠- قال بعض العارفين: لو علمالشيطان أن طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها ألا تراه قال :(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولم يقل لا تجد أكثرهم صابرين أو نحوه .

١١- وقال ذو النون المصري أبو الفيض:

الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال.

١٢- وقال أبو حاتم: الواجب على من ُلسدى إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قل، فمن لم يجد فليثن عليه فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف وما استغنى أحد عن شكر الناس.

وقال أيضا: الحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المصيبة، بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ولمن أسداها إليه.

١٣- وعن الحكم بن عمير قال صلى الله عليه وسلم: من أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له(صححه الألباني).

١٤- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أتي إليه معروف فليكافىء به ومن لم يستطع فليذكره فإن من ذكره فقد شكره ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور (رواه أحمد وحسنه الألباني).

١٥- وروي عن طلحة يعني ابن عبيد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من أولي معروفا فليذكره فمن ذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره (رواه الطبراني وحسنه الألباني).

١٦- مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادي عليها فيمن يزيد قال لمولاه: سل لم تباع هذه؟ فرجع إليه فقال :على صاحبها دين، قال: ارجع إلى الدار فرجع فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه، فقال: لم تبيع دارك ؟ قال: لهذا على أربعة آلاف دينار، فنزل وتحدث معهما وبعث غلامه فأتاه ببدرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب ومضى.

١٧- وأقبل سعيد بن العاص يوما يمشي وحده من المسجد، فقام إليه رجل من قريش فمشى عن يمينه، فلما بلغا دار سعيد التفت إليه سعيد فقال: ما حاجتك؟ قال: لا حاجة لي، رأيتك تمشي وحدك فوصلتك، فقال سعيد :لقهرمانه ماذا لنا عندك؟ قال: ثلاثون ألفا، قال: ادفعها إليه.

١٨- وعن أبي عيسى قال: كان إبراهيم بن أدهم إذا صنع إليه أحد معروفا حرص على أن يكافئه أو يتفضل عليه، قال أبو عيسى: فلقيني وأنا على حمار وأنا أريد بيت المقدس وقد اشترى بأربعة دوانيق تفاحا وسفرجلا وخوخا وفاكهة، فقال: يا أبا عيسى أحب أن تحمل هذا، قال وإذا عجوز يهودية في كوخ لها، فقال: أحب أن توصل هذا إليها فإنني مررت وأنا ممس فبيتتني عندها فأحب أن أكافئها على ذلك.

١٩- ومر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه - فسمع امرأة من قيس تقول: لا والذي ينجي عمر بن هبيرة، فقال: يا غلام أعطها ما معك وأعلمها أني قد نجوت.

٢٠- وعن إبراهيم بن محمد قال: خرجت لأبي جائزته فأمرني أن أكتب خاصته وأهل بيته ففعلت فقال لي: تذكر هل بقي أحد أغفلناه ؟ قلت لا، قال بلى رجل لقيني فسلم على سلاما جميلا صفته كذا وكذا اكتب له عشرة دنانير.

٢١- وعن الربيع بن سليمان قال: أخذ رجل بركاب الشافعي فقال: يا ربيع أعطه دينارا.

;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;;

١٩- كظم الغيظ :

من الملاحظ في المعاملات الاجتماعية بين الناس أن بعضهم قد يسيئون إلى إخوانهم إساءات مختلفة، في ألسنتهم، في أيديهم، في غير ذلك من جوارحهم، في تصرفاتهم المالية أو غير المالية، وقد تمس الإساءة النفس، أو العرض والشرف، أو تمس المال والمتاع، أو تمس الأهل والعشيرة...إلخ.ولما كان الأمر بهذه الصورة فإن هذه الإساءة لو تعامل معها المرء للوهلة الأولى مستجيبًا لحظ نفسه وهواه لترتب على ذلك شر عظيم وفساد ذات البين، وانتشار العدوات بين أبناء المجتمع.

وقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين لضرورة التحلي بالصبر وكظم الغيظ، بل والدفع بالتي هي أحسن فقال تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ{٣٤} وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ{٣٥}فصلت

فما أحوجنا إلى هذا الخلق العظيم لتقوى الروابط وتتآلف القلوب، ويُبنى ما تهدم من الروابط الاجتماعية، ولننال رضى الله وجنته:

قال تعالى:

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ{١٣٣} الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ{١٣٤}آل عمران

إن الشرع المطهر قد أجاز لنا أن نعاقب بمثل ما عوقبنا به، لكنه مع ذلك بيَّن أن العفو وكظم الغيظ أفضل وأحسن:

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ{١٢٦}النحل.

من فضائل كظم الغيظ

إن لكظم الغيظ فضائل عظيمة؛ فبالإضافة إلى ما سبق من الفضائل هناك جملة من الفضائل الأخرى التي نطقت بها هذه الأدلة،منها:

١- عن ابن عمر رَضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كُربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيهِ في حاجةٍ حتى يتهيأ َ لهُ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام.

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من جُرعَةٍ أعظم أجرًا عند الله من جرعةِ غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله(صححه الألباني).

٣- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بقومٍ يصطرعون؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: فلانٌ ما يُصارع أحدًا إلا صرعه، قال: أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجلٌ كلمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه وغلبَ شيطانه وغلب شيطان صاحِبِهِ(صححه الألباني).

٤- عن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى قال: من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من الحور ما شاء(حسنه الألباني).

وعلى هذه الأخلاق النبيلة تربى السلف رضي الله عنهم

١- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشفِ غيظهُ، ومن خاف الله لم يفعل ما يُريدُ، ولولا يومُ القيامة لكان غير ما ترون.

٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر ابن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً أو شبانًا. فقال عيينة لابن أخيه: يا لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل! فغضب عمر حتى هَمَّ أن يوقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن اللَّه تعالى قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف ١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب اللَّه.

٣- جاء غلام لأبي ذر رضي الله عنه وقد كسر رجل شاةٍ له فقال له: من كسر رِجل هذه؟ قال: أنا فعلتُهُ عمدًا لأغيظك فتضربني فتأثم. فقال: لأغيظنَّ من حرَّضك على غيظي، فأعتقه.

٤- شتم رجلٌ عديَّ بن حاتم وهو ساكتٌ، فلما فرغ من مقالته قال: إن كان بقي عندك شيءٌ فقل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا.

٥- قال محمد بن كعب رحمه الله تعالى: ثلاثٌ من كُنَّ فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يُدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يُخرجه غضبُهُ عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

٦- قال رجلٌ لوهب بن منبه رحمه الله تعالى: إن فلانًا شتمك. فقال: ما وجد الشيطان بريدا غيرك؟!.

٧- قال الغزالي رحمه الله تعالى: إن كظم الغيظ يحتاج إليه الإنسانُ إذا هاج غيظُهُ ويحتاجُ فيه إلى مجاهدةٍ شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وحينئذ يُوصف بالحلم.

٨- وذكر ابن كثير رحمه الله من صفاتِ أصحاب الجنة عند تفسير قوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) إلى قوله: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) فقال: إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم.

٩- ذكر ابن كثير في سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلاً كلمه يومًا حتى أغضبه، فهم به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرجل: أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا؟ قم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك.

وهناك عشرة أسباب ينتج عنها أو عن واحد منها ضبط النفس:

أولاً: الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين معه والرفق به.

١- قال سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ{١٥٩} آل عمران

وفي هذه الآية فائدة عظيمة وهي:

أن الناس يجتمعون على الرفق واللين، ولا يجتمعون على الشدة والعنف؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال(وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ). وهؤلاء هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، والسابقين الأولين؛ فكيف بمن بعدهم؟! وكيف بمن ليس له مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس؛ سواء كان من العلماء أو الدعاة أو ممن لهم رياسة أو وجاهة؟! فلا يمكن أن يجتمع الناس إلا على أساس الرحمة والرفق.

٢-قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه لِرَجُلٍ شَتَمَه :

يَا هَذَا لا تُغْرِقَنَّ فِي سَبِّنَا وَدَعْ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا فَإِنَّا لا نُكَافِئُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ.

٣-وَشَتَمَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ له الشَّعْبِيُّ إِنْ كُنْتُ كما قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كما قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ.

٤-وشتم رجل معاوية شتيمة في نفسه؛ فدعا له وأمر له بجائزة.فلا بد من تربية النفس على الرضا، والصبر، واللين، والمسامحة؛ هي قضية أساسية، والإنسان يتحلّم حتى يصبح حليمًا.

٥- وعن أَبي الدَّرداءِ قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :إِنَّمالعلمُ بالتعلُّم، وإِنما الحِلْمُ بالتحلُّمِ ، مَنْ يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ، ومَنْ يَتَّقِ الشرَّ يُوقَه(حسنه الألباني).

٦- فعليك أن تنظر في نفسك وتضع الأمور مواضعها قبل أن تؤاخذ الآخرين، وتتذكر أن تحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نقولها لأهلنا إذا دخلنا، بل قال الله سبحانه وتعالى﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾النور :من الآية٦١ وأن نقولها للصبيان والصغار والكبار ومن نعرف ومن لا نعرف.

٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ (أخرجه البخاري ومسلم).

٨- وعن عمار رضي الله عنه قال : ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّفَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ.

لهذه التحية معان، ففيها معنى السلام: أن تسلم مني، من لساني ومن قلبي ومن يدي، فلا أعتدي عليك بقول ولا بفعل، وفيها الدعاء بالسلامة، وفيها الدعاء بالرحمة، وفيها الدعاء بالبركة... هذه المعاني الراقية التي نقولها بألسنتنا علينا أن نحولها إلى منهج في حياتنا، وعلاقتنا مع الآخرين.

ثانيا: سعة الصدر وحسن الثقة؛ مما يحمل الإنسان على العفو

١- ولهذا قال بعض الحكماء: (أحسنُ المكارمِ؛ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ وَجُودُ الْمُقْتَقِرِ)، فإذا قدر الإنسان على أن ينتقم من خصمه؛ غفر له وسامحه، قال تعالى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الشورى:٤٣

٢- وقال صلى الله عليه وسلم لقريش :مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْقَالُوا : خَيْرًا! أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ .

٣- وقال يوسف عليه السلام لإخوته بعد ما أصبحوا في ملكه وتحت سلطانه﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾يوسف:٩٢

ثالثًا: شرف النفس وعلو الهمة

١- بحيث يترفع الإنسان عن السباب، ويسمو بنفسه فوق هذا المقام:

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ عَظُمُوا .....حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لأَقْوَامِ
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً .....لا صَفْحَ ذُلٍ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلامِ

أي: لابد أن تعوِّد نفسك على أنك تسمع الشتيمة؛ فيُسفر وجهك، وتقابلها بابتسامة عريضة، وأن تدرِّب نفسك تدريبًا عمليًّا على كيفية كظم الغيظ.

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي .....وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدَا
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُم .....وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُم مَجْدَا
وَلا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيهِم .....وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

٢- إنّ جرعة غيظ تتجرعها في سبيل الله سبحانه وتعالى لها ما لها عند الله عز وجل من الأجر والرفعة عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ (حسنه الألباني).

خامسًا: استحياء الإنسان أن يضع نفسه في مقابلة المخطئ.

١- وقد قال بعض الحكماء : احْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِنْ التَّحَلِّي بِصُورَتِهِ وَالإِغْضَاءُ عَنْ الْجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَلَتِهِ.

٢- وقال بعض الأدباء" مَا أَفْحَشَ حَلِيمٌ وَلا أَوْحَشَ كَرِيمٌ."

٣وَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَارَةَ:

وَقُلْ لِبَنِي سَعْدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ .....تُرِقُّونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْتِقُ
أَعَزَّكُمْ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيمَةٍ .....بَصِيرٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَإِنْ تَكُ قَدْ فَاحَشْتَنِي فَقَهَرْتَنِي .....هَنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَحْذَقُ

٤- وقال غيره:

سَأَلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ .....وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَيَّ الْجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثَةٍ ..... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ .....وَأَتْبَعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لازِمُ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَأَحْلُمُ دَائِبًا ..... أَصُونُ بِهِ عِرْضِي وَإِنْ لامَ لائِمُ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا .....تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمُ

٥- وفي حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف، وقد ردوه شر رد. تقول عائشة رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلمإِنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ؛ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا(أخرجه البخاري ومسلم).

سادسًا: التدرب على الصبر والسماحة فهي من الإيمان.

إن هذه العضلة التي في صدرك قابلة للتدريب والتمرين، فمّرن عضلات القلب على كثرة التسامح، والتنازل عن الحقوق، وعدم الإمساك بحظ النفس، وجرّب أن تملأ قلبك بالمحبة. فلو استطعت أن تحب المسلمين جميعًا فلن تشعر أن قلبك ضاق بهم، بل سوف تشعر بأنه يتسع كلما وفد عليه ضيف جديد، وأنه يسع الناس كلهم لو استحقوا هذه المحبة. فمّرن عضلات قلبك على التسامح في كل ليلة قبل أن تخلد إلى النوم، وتسلم عينيك لنومة هادئة لذيذة.

سامح كل الذين أخطؤوا في حقك، وكل الذين ظلموك، وكل الذين حاربوك، وكل الذين قصروا في حقك، وكل الذين نسوا جميلك، بل وأكثر من ذلك..انهمك في دعاء صادق لله سبحانه وتعالى بأن يغفر الله لهم، وأن يصلح شأنهم، وأن يوفقهم..؛ ستجد أنك أنت الرابح الأكبر.

وكما تغسل وجهك ويدك بالماء في اليوم بضع مرات أو أكثر من عشر مرات؛ لأنك تواجه بهما الناس؛ فعليك بغسل هذا القلب الذي هو محل نظر ا لله سبحانه وتعالى!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ (أخرجه مسلم).

فقلبك الذي ينظر إليه الرب سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات احرص ألا يرى فيه إلا المعاني الشريفة والنوايا الطيبة.

اغسل هذا القلب، وتعاهده يوميًّا؛ لئلا تتراكم فيه الأحقاد، والكراهية، والبغضاء، والذكريات المريرة التي تكون أغلالاً وقيودًا تمنعك من الانطلاق والمسير والعمل، ومن أن تتمتع بحياتك.

سابعًا: قطع السباب وإنهاؤه مع من يصدر منهم، وهذا لا شك أنه من الحزم.

حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ: وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ وَاحِدَةً؛ لَسَمِعْتَ عَشْرًا!فَقَالَ لَهُ ضِرَارٌ : وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ عَشْرًا؛ لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً!

وَفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَنْ الْأَذَى .....وَفِي الْخَرْقِ إغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقَا
فَتَنْدَمَ إذْ لَا تَنْفَعَنْكَ نَدَامَةٌ .....كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تَقَرَّقَا

٢- وقال آخر:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ .....حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ

٣- وبالخبرة وبالمشاهدة فإن الجهد الذي تبذله في الرد على من يسبك لن يعطي نتيجة مثل النتيجة التي يعطيها الصمت، فبالصمت حفظت لسانك ,ووقتك، وقلبك؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى

لمريم عليها السلام (فَإِمَّا تَرَيِنَّ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) مريم:٢٦ . والكلام والأخذ والعطاء، والرد والمجادلة تنعكس أحيانًا على قلبك، وتضر أكثر مما تنفع.

ثامنًا: رعاية المصلحة.

ولهذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن رضي الله عنه بقولهابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (أخرجه البخاري).فدل ذلك على أن رعاية المصلحة التي تحمل الإنسان على الحرص على الاجتماع، وتجنب المخالفة هي السيادة.

تاسعًا: حفظ المعروف السابق، والجميل السالف.

ولهذا كان الشافعي - رحمه الله -يقول إِنَّ الْحُرَّ مَنْ رَاعَى وِدَادَ لَحْظَةٍ وَانْتَمَى لِمَنْ أَفَادَ لَفْظَةً. وعن عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ(حسنه الألباني).

؛؛

٢٠- بر الوالدين :

بر الوالدين هو الإحسان إليهما، وطاعتهما، وفعل الخيرات لهما، وقد جعل الله للوالدين منزلة عظيمة لا تعدلها منزلة، فجعل برهما والإحسان إليهما والعمل على رضاهما فرض عظيم، وذكره بعد الأمر بعبادته.

أدلة بر الوالدين في القرآن

قال تعالى :

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا{٢٣}الإسراء

وقال تعالى:

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَتُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًوَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىوَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِوَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىوَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِوَابْنِ السَّبِيلِ وَمَامَلَكَتْأَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَلاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورا{٣٦}النساء

وقال تعالى:

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِحَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِأَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَإِلَيَّ الْمَصِيرُ{١٤}لقمان

وقال تعالى:

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًاحَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَأَشُدَّهُوَبَلَغَأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّأَوْزِعْنِيأَنْأَشْكُرَ نِعْمَتَكَالَّتِيأَنْعَمْتَعَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّوَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُوَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُإِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ{١٥}الأحقاف

وقال تعالى:

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَاإِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{٨}العنكبوت

أدلة بر الوالدين في السنة النبوية

١- روي عن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله قال أمك حية قلت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة . رواه الطبراني(صححه الألباني).

٢- وعن ابن عمرو قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد (رواه البخاري والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه الألباني).

٣- وفي رواية لمسلم قال أقبل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال فهل من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فتبتغي الأجر من الله قال نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .

٤- حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله (متفق عليه).

٥- روى البزار من حديث عبد الله بن عمر أو ابن عمرو ولفظه قال:

رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين(حسنه الألباني).

بر الوالدين بعد موتهما

في الحديث الضعيف عن أبي أسيد الساعدي قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما (رواه أبو داود وابن ماجه) .

فالمسلم يبر والديه في حياتهما، ويبرهما بعد موتهما؛ بأن يدعو لهما بالرحمة والمغفرة، وينَفِّذ عهدهما، ويكرمَ أصدقاءهما.

وحثَّ الله تعالى كلَّ مسلم على الإكثار من الدعاء لوالديه في معظم الأوقات، فقال تعالى:رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ{٤١}إبراهيم

وقال تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً{٢٨}نوح

قصص نبوية عن بر الوالدين

١-كان إسماعيل عليه السلام غلامًا صغيرًا، يحب والديه ويطيعهما ويبرهما. وفي يوم من الأيام جاءه أبوه إبراهيم عليه السلام وطلب منه طلبًا عجيبًا وصعبًا؛ حيث قال له: (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) فرد عليه إسماعيل في ثقة المؤمن برحمة الله، والراضي بقضائه(قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) وهكذا كان إسماعيل بارًّا بأبيه، مطيعًا له فيما أمره الله به، فلما أمسك إبراهيم عليه السلام السكين، وأراد أن يذبح ولده كما أمره الله، جاء الفرج من الله سبحانه فأنزل الله ملكًا من السماء، ومعه كبش عظيم فداءً لإسماعيل، قال تعالى: (وفديناه بذبح عظيم).

٢- يحكي لنا النبي صلى الله عليه وسلم قصة ثلاثة رجال اضطروا إلى أن يبيتوا ليلتهم في غارٍ، فانحدرت صخرة من الجبل؛ فسدت عليهم باب الغار، فأخذ كل واحد منهم يدعو الله ويتوسل إليه بأحسن الأعمال التي عملها في الدنيا؛ حتى يفرِّج الله عنهم ما هم فيه، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت أحضر لهما اللبن كل ليلة ليشربا قبل أن يشرب أحد من أولادي، وتأخرت عنهما ذات ليلة، فوجدتُهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما أو أعطي أحدًا من أولادي قبلهما، فظللت واقفًا وقدح اللبن في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر، وأولادي يبكون من شدة الجوع عند قدمي حتى استيقظ والدي وشربا اللبن، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة،وخرج الثلاثة من الغار(القصة مأخوذة من حديث متفق عليه).

٣-كان سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- بارًّا بأمه، فلما أسلم قالت له أمه: يا سعد، ما هذا الذي أراك؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَير بي، فيقال: يا قاتل أمه. قال سعد: يا أمه، لا تفعلي، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. ومكثت أم سعد يومًا وليلة لا تأكل ولا

تشرب حتى اشتد بها الجوع، فقال لها سعد: تعلمين -والله- لو كان لك مائة نَفْس فخرجت نَفْسًا نَفْسًا ما تركتُ ديني هذا لشيء، فإن شئتِ فكُلِي، وإن شئتِ فلا تأكلي.فلما رأت إصراره على التمسك بالإسلام أكلت. ونزل يؤيده قول الله تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا) لقمان ١٥

٤- وتقول السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قَدِمَتْ وهي راغبة (أي طامعة فيما عندي من بر)، أفَأَصِلُ أمي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: نعم، صلي أمَّكِ(متفق عليه).

<u>عقوق الوالدين</u>

حذَّر الله تعالى المسلم من عقوق الوالدين، وعدم طاعتهما، وإهمال حقهما، وفعل ما لا يرضيهما أو إيذائهما ولو بكلمة (أف) أو بنظرة، يقول تعالى(فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا) الإسراء ٢٣ .

ولا يدخل عليهما الحزن ولو بأي سبب؛ لأن إدخال الحزن على الوالدين عقوق لهما، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: مَنْ أحزن والديه فقد عَقَّهُمَا.

<u>جزاء العقوق</u>

عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين من كبائر الذنوب، بل من أكبر الكبائر، وجمع بينه وبين الشرك بالله ، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (رواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه الألباني).

؛؛

٢١- صلة الرّحم :

معنى الرحم

قال الراغب الأصفهاني :الرحم :رحم المرأة ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة.

والمراد بالرحم : الأقرباء في طرفي الرجل والمرأة من ناحية الأب والأم . ومعنى صلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب في القول والفعل ، ويدخل في ذلك زيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، والسؤال عنهم ، ومساعدة المحتاج منهم ، والسعي في مصالحهم.

من عظيم ما أتى به الإسلام أن الأسرة فيه لا تقف عند حدود الوالدين وأولادهما، بل تَتَّسع لتشمل ذوي الرحم وُأولِي القربى من الإخوة والأخوات، والأعمام والعمَّات، والأخوال والخالات، وأبنائهم وبناتهم؛ فهؤلاء جميعًا لهم حقُّ البِرِّ والصِّلَة التي يحثُّ عليها الإسلام، ويَعُدُّهَا من أصول الفضائل، ويَعِدُ عليها بأعظم المثوبة، كما يَتَوَعَّدُ قاطعي الرحم بأعظم العقوبة، فمَنْ وَصَلَ رحمه وَصَلَهُ الله، ومَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ الله.

وقد وضع الإسلام من الأحكام والأنظمة ما يُوجِبُ دوام الصلة قوية بين هذه الأسرة المُوَسَّعة، بما فيها الأقارب، بحيث يَكْفُلُ بعضهم بعضًا، ويأخذ بعضهم بِيَدِ بعضٍ، كما يُوجب ذلك نظام النفقات، ونظام الميراث، ونظام (العاقلة)؛ ويُرَادُ به توزيع الدِّيَةِ في قتل الخطأ وشبه العمد على عَصَبَةِ القاتل وأقاربه.

صلة الرحم في الإسلام

١- وَصِلَةُ الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشرِّ عنهم؛ فتشمل زيارتهم والسؤال عنهم، وتَفَقُّدِ أحوالهم، والإهداء إليهم، والتصدُّق على فقيرهم، وعيادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم، واستضافتهم، وإعزازهم وإعلاء شأنهم، وتكون أيضًا بمشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وغير ذلك ممَّا من شأنه أن يزيد ويُقَوِّيَ من أواصر العَلاقات بين أفراد هذا المجتمع الصغير.

فهي إذن باب خير عميم؛ فيها تتأكَّد وَحْدَة المجتمع الإسلامي وتماسكه، وتمتلئ نفوس أفراده بالشعور بالراحة والاطمئنان؛ إذ يبقى المرء دومًا بمنأى عن الوَحْدَة والعُزْلة، ويتأكَّد أن أقاربه يُحِيطُونَه بالمودَّة والرعاية، ويمدُّونه بالعون عند الحاجة.

٢- وقد أمر الله تعالىبالإحسان إلى ذوي القربى، وهم الأرحام الذين يَجِبُ وَصْلُهم، فقال تعالى:

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً{٣٦}النساء

٣- وجعل الله تعالىصِلَةَ الرحم توجب صِلَتَه سبحانه للواصل، وتتابع إحسانه وخيره وعطائه عليه، وذلك كما دَلَّ الحديث القدسي الذي رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال:

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله : أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته.

٤- وبَشَّرَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم الذي يَصِلُ رحمه بسعة الرزق والبركة في العمر، فروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه . وقد فَسَّرَ العلماء ذلك بأن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

وفي المقابل فقد جاءت النصوص الصريحة في التحذير من قطيعة الرحم وَعَدِّها ذنبًا عظيمًا؛ إذ إنها تفصم الروابط بين الناس، وتُشِيعُ العداوة والبغضاء، وتعمل على تَفكُّكِ التماسُكِ الأُسَرِيِّ بين الأقارب؛ فقال الله تعالى محذرًا مِنْ حلول اللعنة، وعَمى البصرِ والبصيرة فقال تعالى:

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنتَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ{٢٢}أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ{٢٣} محمد

٦- وعن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة قاطع رحم(صححه الألباني).

٧- وقَطْعُ الرَّحِمِ هو تَرْكُ الصِّلَةِ والإحسان والْبِرِّ بالأقارب، والنصوصُ كثيرة ومتضافرة على عِظَمِ هذا الذنب، وذلك كُلُّه من شأنه أن يَخْلُقَ مجتمعًا متعاونًا متآلفًا متماسكا، يَتَحَقَّقُ فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (متفق عليه).

فضل صلة الأرحام

١- صلة الرحم من الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (رواه البخاري).

أمور ثلاثة تحقق التعاون والمحبة بين الناس وهي : إكرام الضيف وصلة الرحم والكلمة الطيبة. وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأمور بالإيمان فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يقطع رحمه وصلة الرحم علامة على الإيمان.

٢- صلة الرحم سبب للبركة في الرزق والعمر

كل الناس يحبون أن يوسع لهم في الرزق ، ويؤخر لهم في آجالهم لأن حب التملك وحب البقاء غريزتان من الغرائز الثابتة في نفس الإنسان ، فمن أراد ذلك فعليه بصلة أرحامه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه(رواه البخاري).

عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:من سره أن يمد له في عمره ، ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله وليصل رحمه (رواه البزار والحاكم).

٣- صلة الرحم سبب لصلة الله تعالى وإكرامه

عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :الرحم متعلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله(رواه مسلم).

وقد استجاب الله الكريم سبحانه ، لها فمن وصل أرحامه وصله الله بالخير والإحسان ومن قطع رحمه تعرض إلى قطع الله إياه ، وإنه لأمر تنخلع له القلوب أن يقطع جبار السموات والأرض عبدًا ضعيفاً فقيراً.

٤- صلة الرحم من أسباب دخول الجنة

فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

يأيها الناس أفشوا السلام أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه).

الصلة الحقيقية أن تصل من قطعك

المرء إذا زاره قريبه فرد له زيارته ليس بالواصل ، لأنه يكافئ الزيارة بمثلها ، وكذلك إذا ساعده في أمر وسعى له في شأن ، أو قضى له حاجه فردّ له ذلك بمثله لم يكن واصلاً بل هو مكافئ ، فالواصل حقاً هو الذي يصل من يقطعه ، ويزور من يجفوه ويحسن إلى من أساء إليه من هؤلاء الأقارب.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال :

يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيؤون إليّ ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ فقال صلى الله عليه وسلم : إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفهّم المَلّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك(رواه مسلم).

والمَلّ: الرماد الحار ، قال النووي : يعني كأنما تطعمهم الرماد الحار ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخال الأذى عليه. ففي الحديث عزاء لكثير من الناس الذين ابتلوا بأقارب سيئين يقابلون الإحسان بالإساءة ويقابلون المعروف بالمنكر فهؤلاء هم الخاسرون.

قطع الأرحام

إن الإساءة إلى الأرحام ، أو التهرب من أداء حقوقهم صفة من صفات الخاسرين الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل بل إن ذلك جريمة وكبيرة من كبائر الذنوب. وإن الإنسان منا ليسؤوه أشد الإساءة ما يراه بعينه أو يسمعه بأذنيه من قطيعة لأقرب الأرحام الذين فُطر الإنسان على حبهم وبرهم وإكرامهم ، حتى أصبح من الأمور المعتادة أن نسمع أن أحد الوالدين أضطر إلى اللجوء للمحكمة لينال حقه من النفقة أو يطلب حمايته من ابنه ، هذا الذي كان سبب وجوده. ولا يفعل مثل هذا الجرم إلا الإنسان الذي قسا قلبه وقلت مروءته وانعدم إحساسه بالمسؤولية.

قاطع الرحم ملعون في كتاب الله

قال الله تعالى:

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ{٢٢}أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ{٢٣} محمد

قال على بن الحسين لولده : يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله .

قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين

قال الله تعالى: ... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ{٢٦}الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ{٢٧}البقرة

فقد جعل الله من صفات الفاسقين الخاسرين الضالين قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن ذلك صلة الأرحام.

قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا

عن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم(رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه).

وقد رأينا مصداق هذا في دنيا الواقع ، فقاطع الرحم غالباً ما يكون تعباً قلقاً على الحياة ، لا يبارك له في رزقه ، منبوذاً بين الناس لا يستقر له وضع ولا يهدأ له بال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة : قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال : فذلك لك(رواه البخاري).

؛؛؛

٢٢- إغاثة الملهوف :

إن تقديم العون والنصرة لمن يحتاج إليها سلوك إسلامي أصيل، وخلق رفيع تقتضيه الأخوة الصادقة، وتدفع إليه المروءة ومكارم الأخلاق. وقد كانت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى في كل شيء، ولا سيما إغاثة الملهوف، وتقديم العون لكل من يحتاج إليه، حتى لقد عرف بذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، فعند نزول الوحي عليه أول مرة رجع إلى خديجة فأخبرها الخبر ثم قال: لقد خشيت على نفسي. عندئذ أجابته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: كلا والله! ما يخزيك ا لله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. هكذا استدلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على حفظ الله له، وعدم تضييعه إياه بصنائع المعروف التي كان يصنعها، وبإغاثة الملهوف؛ فالجزاء من جنس العمل.

وفي الإسلام رأينا كيف أن الإغاثة أصبحت واجبًا ينهض به القادرون، وعملاً من أعمال الخير يتنافس فيه المتنافسون، وأصبح من الحقائق المسلمة عند المسلمين أن: من كان في حاجة الناس كان الله في حاجته، كما أخبرهم نبيهم صلى الله عليه وسلم.

- بل رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بإغاثة الملهوفين، فحين نهاهم عن الجلوس في الطرقات، إلا إذا أعطوا الطريق حقها، بيَّن لهم أن من حق الطريق: إغاثة الملهوف: وتعينوا الملهوف، وتهدوا الضال.

- وعند أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم جلوس في الطريق. قال: إن كنتم لابد فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا المظلوم.

- وإغاثة الملهوف صدقة من العبد له أجرها وبرها، وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن لم يجد قال يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال أرأيت إن لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف... (رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني).

- إن الذي يطلب العون قد يكون مظلومًا أو عاجزًا أو مكروبًا، وفي كل الأحوال فإن إعانته وقضاء حاجته فيها تفريج لكربته، وفي مقابل ذلك تكفل الله لمن فرج كربة الملهوف أن يفرج عنه كربة من كربات يوم القيامة: فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (متفق عليه).

-إن للاعتكاف فضلاً عظيمًا وأجرًا كبيرًا، كيف لا وقد فرَّغ المسلم نفسه لربه، وقطع علائقه بالدنيا، لكنَّ الذي يقضي حوائج الناس أعظم من المعتكف أجرًا ، ولأجل هذا المعنى لما أمر الحسن رضي الله عنه ثابتًا البناني بالمشي في حاجة قال ثابت: إني معتكف. فقال له: يا أعمش! أما تعلم أن مشيك في قضاء حاجة أخيك المسلم خير لك...".

- إن إغاثة الملهوف وإجابة المحتاج والسعي في قضاء حوائج الناس لهو دليل على قوة الإيمان وصدق الإخاء. قال علِّي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك.....ومن يضر نفسه لينفعك

ومَنْ إذا ريب زمانٍ صدَّعك.....شتَّت فيك شمله ليجمعك

- إن أصحاب النجدة والمروءة لا تسمح لهم نفوسهم بالتأخر أو التردد عند رؤية ذوي الحاجات؛ فيتطوعون بإنجاز وقضاء حوائجهم طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى.

- وانظر إلى الشهم الكريم نبي الله موسى عليه السلام، حين فرَّ هاربًا من بطش فرعون، وقد أصابه الإعياء والتعب، فلما ورد ماء مدين ووجد الناس يسقون، وجد امرأتين قد تنحيتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقيا، فلما عرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدم بنفسه وسقى لهما قال تعالى:

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ{٢٣}فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ{٢٤}القصص

- وهكذا أصحاب النجدة والمروءة يندفعون دفعا نحو المكرمات ومنها إغاثة الملهوفين وذوي الحاجات. وأخيرًا فإن إغاثة الملهوف وإعانة المحتاج هي من قبيل شكر الله تعالى على نعمه، وبالشكر تدوم النعم، فمن كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يجب الله عرضها للزوال.

قصة عن إغاثة الملهوف

نَما إلى علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة أنَّ جماعة في أقصى المدينة قد نَزَل بهم من الضُّرِّ أكثرُ مما نزل بغيرهم، فحمل الفاروق - رضي الله عنه - جِرابينِ من دقيق، وأمَر خادمَه أسْلمَ أن يَلحقه بقِربة مملوءة زَيتًا، وأسْرع عمرُ في الخُطَا، حتى وصل إلى أولئك المحتاجين، ورَقَّ لحالهم، وتأثَّر مِن خماصتهم، فوضَع بنفسه الطعامَ في القِدْر، ونفَخ في النار، حتى كان الدُّخَان يخرُج من بيْن لحيته البيضاء، فطبَخ للقوم طعامَهم، ووزَّعه عليهم حتى شَبِعوا، وطابتْ عينُه بعدَ ذلك، ثم أمَر بهم، فحُمِلوا إلى داخلِ المدينة حتى يكونوا قريبًا منه.

هذا الموقف المؤثِّر حرَّك مشاعرَ الشاعر حافظ إبراهيم، فهاجتْ نفسه بهذه الأبيات:

وَمَنْ رَآهُ أَمَامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا ....وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهْوَ يُذْكِيهَا

وَقَدْ تَخَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ..... مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا

رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى حَالٍ..... تُرُوعُ لَعَمْرُ اللَّهِ رَائِيهَا

يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ ....وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَالَتْ مَآقِيهَا

::

٢٣- الإحسان إلى الجار

الجار قبل الدار.. مقولة شائعة بين الناس، وعلى قدر الجار يكون ثمن الدار، والجار الصالح من السعادة.

فضل الإحسان إلى الجار في الإسلام

١- لقد عظَّم الإسلام حق الجار، وظل جبريل عليه السلام يوصي نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بالجار حتى ظنَّ النبي أن الشرع سيأتي بتوريث الجار: مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سَيُورِّثه.

٢- وقد أوصى القرآن بالإحسان إلى الجار فقال تعالى:

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورا{٣٦}النساء

٣- وانظر كيف حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى الجار وإكرامه فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) رواه أحمد بإسناد حسن وصححه الألباني.

٤- بل وصل الأمر إلى درجة جعل فيها الشرع محبة الخير للجيران من الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه) رواه مسلم وصححه الألباني.

٥- والذي يحسن إلى جاره هو خير الناس عند الله فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني.

من هو الجار؟

الجار هو مَن جاورك، سواءٌ كان مسلمًا أو كافرًا، وأما حد الجوار فقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان ذلك الحد، ولعل الأقرب – والعلم عند الله – أن ما تعارف عليه الناس أنه يدخل في حدود الجوار فهو الجار،والجيران يتفاوتون من حيث مراتبهم:

فهناك الجار المسلم ذو الرحم ، وهناك الجار المسلم ، والجار الكافر ذو الرحم ،والجار الكافر الذي ليس برحم ،وهؤلاء جميعا يشتركون في كثير من الحقوق ويختص بعضهم بمزيد منها بحسب حاله ورتبته.

من صور الجوار

يظن بعض الناس أن الجار هو فقط من جاوره في السكن، ولا ريب أن هذه الصورة هي واحدة من أعظم صور الجوار، لكن لا شك أن هناك صورًا أخرى تدخل في مفهوم الجوار، فهناك الجار في العمل، والسوق، والمزرعة، ومقعد الدراسة،... وغير ذلك من صور الجوار.

من حقوق الجار

لا شك أن الجار له حقوق كثيرة نشير إلى بعضها، فمن أهم هذه الحقوق:

١- رد السلام وإجابة الدعوة

وهذه وإن كانت من الحقوق العامة للمسلمين بعضهم على بعض، إلا أنها تتأكد في حق الجيران لما لها من آثار طيبة في إشاعة روح الألفة والمودة.

٢-كف الأذى عنه

- نعم فهذا الحق من أعظم حقوق الجيران، والأذى وإن كان حرامًا بصفة عامة فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهًا إلى الجار، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أذية الجار أشد التحذير وتنوعت أساليبه في ذلك، واقرأ معي هذه الأحاديث التي خرجت من فم المصطفى صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله إن فلانة يذكرمن كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال هي في الجنة(رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد).

- وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره قال اطرح متاعك على طريق فطرحه فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه فجاء إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال يا رسول الله لقيت من الناس قال وما لقيت منهم قال يلعنونني قال قد لعنك الله قبل الناس فقال إني لا أعود فجاء الذي شكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارفع متاعك فقد كفيت(رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن وصححه الألباني).

٣- تحمل أذى الجار

- وإنها والله لواحدة من شيم الكرام ذوي المروءات والهمم العالية، إذ يستطيع كثير من الناس أن يكف أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية.

قال تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ{٩٦}المؤمنون

ويقول تعالى:وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ{٤٣}الشورى

- وقد ورد عن الحسن رحمه الله قوله(ليس حُسْنُ الجوار كفّ الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى).

٤- تفقده وقضاء حوائجه

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم)رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن.

وإن الصالحين كانوا يتفقدون جيرانهم ويسعون في قضاء حوائجهم، فقد كانت الهدية تأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيبعث بها إلى جاره، ويبعث بها الجار إلى جار آخر، وهكذا تدور على أكثر من عشرة دور حتى ترجع إلى الأول.

- ولما ذبح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شاة قال لغلامه: إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي. وسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منكِ بابًا.

٥- ستره وصيانة عرضه

- وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطَّلع الجار على بعض أمور جاره فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضرًا أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرَّض نفسه لجزاء من جنس عمله ، قال تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ{٤٦}فصلت

- وقد كان العرب يفخرون بصيانتهم أعراض الجيران حتى في الجاهلية، يقول عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي..............حتى يواري جارتي مأواها

- وأما في الإسلام فيقول أحدهم:

ما ضر جاري إذ أجاوره.........................ألا يكـون لبيته سـتـر

أعمى إذا ما جارتي خرجت.........................حتى يواري جارتي الخدر

- إن سعادة المجتمع وترابطه وشيوع المحبة بين أبنائه لا تتم إلا بالقيام بهذه الحقوق وغيرها مما جاءت به الشريعة، وإن واقع كثير من الناس ليشهد بقصور شديد في هذا الجانب حتى إن الجار قد لا يعرف اسم جاره الملاصق له في السكن، وحتى إن بعضهم ليغصب حق جاره، وإن بعضهم ليخون جاره ويعبث بعرضه وحريمه، وهذا والله من أكبر الكبائر.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال أن تزاني حليلة جارك(رواه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والنسائي).

نسأل الله أن يعيننا والمسلمين على القيام بحقوق الجوار.. وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

؛؛

٢٤- حفظ مال اليتيم ورعايته :

اليتيم : هو من فقد أبويه أو أحدهما و هو صغير دون سن البلوغ . والإسلام دين شامل أعطى كل إنسان حقه اللائق به بما يناسب حاله في حال الضعف والقوة والشباب والهرم ، و نظراً لما يتركه اليتم من أثر نفسي واجتماعي في حق اليتيم يجعله يشعر بالضعف والمسكنة حفظ الإسلام لليتيم حقه و رفع من شأنه و أمر برعايته و حفظه . و رتب على ذلك الأجر والثواب العظيم ، فكان سبباً من أسباب دخول الجنة.

اليتيم وأحواله في الكتاب والسنة

١- فعن أبي عن سهل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وقرن بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام(صححه الألباني).

٢-فكفالة اليتيم من أفضل القرب و أعظمها أجراً . و من هنا حث الإسلام على رعايته و معاملته بالحسنى ، ليعيش حياة كريمة ، و يكون له دوره الفاعل في المجتمع ، و نهى عن احتقاره أو إهانته كما قال تعالى:(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) و هذا توجيه إلهي لحق اليتيم كيلا يشعر بالنقص والدونية عن غيره من أفراد المجتمع ، فينعكس أثر ذلك على أخلاقه و سلوكه .

٣- ومن تتبع كتاب الله عزَّ و جلَّ و ما ورد فيه من الآيات الدالة على رعاية اليتيم و حفظ حقه في الحياة وجد أن كلمة يتيم وردت في كتاب الله في آيات كثيرة و كلها تحث على حفظ اليتيم و رعاية شؤونه و حفظ ماله.ويمكن إجمال حق اليتيم في الإسلام في درء المفاسد عنه و جلب المصالح له ، و قد قرن الله تعالى في كتابه الإحسان لليتيم بالإحسان للوالدين و ذي القربى في آية واحدة في سورة البقرة فقال تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ{٨٣}البقرة

٤- وجاء النهي عن قهر اليتيم كما في سورة الضحى. قال ابن كثير في تفسيره : فلا تقهر اليتيم أي : لا تذله و تنهره و تهنه ، و لكن أحسن إليه بلطف و كن له كالأب الرحيم.

٥- ومن حقوق الأيتام في الإسلام : حفظ أموالهم ، والحذر من أكلها بالباطل فذلك من أكبر الكبائر كما جاء في قول الله تعالى :

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }النساء١٠

وقوله تعالى :

{وَلاَتَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }الإسراء٣٤

٦- وقد عد الرسول صلى الله عليه وسلم أكل مال اليتيم من السبع الموبقات . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اله صلى الله عليه وسلم:

(اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هي يارسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) متفق عليه.

٧- نظراً لعظم حق اليتيم في الإسلام فإن الولاية عليه لا تكون إلا في حق من يجد في نفسه القدرة على القيام بحقه ، فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه بقوله : يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً ، و إني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن على اثنين و لا تولين مال يتيم.

٨- و من رعاية الإسلام لأموال اليتامى الحث على استثمارها و تنميتها.

٩- وكل حق كفله الإسلام للإنسان فهو حق لليتيم كحق الحياة ، و حق النسب ، و حق الرضاعة ، و حق النفقة ، و حق الولاية على النفس والمال . و ذلك بتأديبه و تربيته و توجيهه ، و إرشاده ، و حفظ ماله حتى يبلغ ويتبين رشده ، و يصبح قادراً على الاعتماد على نفسه و رعاية شؤونه .

١٠- وولي اليتيم مسؤول أمام الله عزَّ و جلَّ عن هذه الرعاية لقول النبي صلى الله عليه وسلم (كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته) والله سائل يوم القيامة كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

١١- وحفظ اليتيم و كفالته أمانة ، و قد أمر الله بحفظ الأمانة والقيام بحقها تجاه أصحابها كما قال تعالى (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) واليتيم أحق بالرعاية والحفظ من غيره ، فإذا كان الإسلام قد حفظ للإنسان حقوقه كاملة فذلك في حق اليتيم آكد لضعفه و حاجته .

١٢- و رعاية اليتيم تستحق الرحمة والعطف والشفقة . و ذلك من أخلاق المسلمين فعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)صححه الألباني.

وقدوتنا في ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكان عليه الصلاة والسلام يحب المساكين ، و يمسح على رؤوسهم و يلاطفهم في الحديث ، و يقضي حاجتهم و يواسيهم ، و كذلك كان صحابته من بعده ، بل ذلك من التواضع الذي حث الإسلام عليه و رغب فيه ، كيف لا وكافل اليتيم رفيق المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجنة .

؛؛

٢٥- رحمة الصغير :

من الظواهر الاجتماعية المؤرقة والمؤلمة ضياع الأدب بين الصغير والكبير ، فالصغير لا يعرف للكبير حقا ولا توقيرا ، والكبير لا يعرف للصغير شفقة ولا رحمة ، مما يترتب على ذلك ظلم من الصغير للكبير ، ومن الكبير في حق الصغير .

وبالعودة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم تنضبط الأمور وتستقيم الحياة ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فيعم الخير وينتشر الود والحب بين أفراد المجتمع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا (الترمذي).

الرحمة بالصغير في السنة

لم تعرف المناهج البشرية رحمة بالصغير مثل رحمة النبي صلى الله عليه وسلم به . ولا يخفى على إنسان حال الصغير وحاجته إلى الرحمة والشفقة ، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك قولا وعملا .

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن ، وكان ظئره (زوج مرضعته) قينا أي حدادافيأخذه فيقبله ثم يرجع .

٢- وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال :رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص وهي ابنة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقه ، فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع من السجود أعادها (مسلم).

ويظهر في الحديث كما يقول ابن حجر :رحمة الولد ، وولد الولد ولد ، ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض ، وكأنها كانت لتعلقها به لا تصير في الأرض فتجزع من مفارقته فيحتاج أن يحملها إذا قام .. واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد ، فقدم الثاني ، ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك لبيان الجواز.

٣- وروى البخاري في الأدب المفرد عن يعلى بن مُرَّة أنه قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر ها هنا وههنا ويضاحكه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم أعتنقه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا الحسين سبط من الأسباط(حسنه الألباني).

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك (رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس ا لتميمي جالسا ، فقال الأقرع :إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من لا يَرحم لا يُرْحم(البخاري).

ولم تكن رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير قاصرة على أهل بيته ، بل على الجميع ، فإنه صلى الله عليه وسلم أرسله ربه رحمة للعالمين ، قال الله تعالى(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)الأنبياء ١٠٧

٦- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا شريك عن العباس بن ذريح عن البهي عن عائشة قالت عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:أميطي عنه الأذى فتقذرته فجعل يمص عنه الدم ويمجه عن وجهه ثم قال لو كان أسامة جارية لحليته وكسوته حتى أنفقه(صححه الألباني).

٧- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل علينا ولي أخ صغير يكني أبا عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا فقال ما شأنه قالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير(صححه الألباني).

قال النووي: وفى هذا الحديث فوائد كثيرة جدا منها : جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الطفل وأنه ليس كذبا . وجواز المزاح فيما ليس إثما .. وجواز تصغير بعض المسميات . وجواز لعب الصبي بالعصفور وتمكين الولي إياه من ذلك . وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة . وملاطفة الصبيان وتأنيسهم . وبيان ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع ولما كان الصغار من البنات واليتامى فيهم من الضعف عن القيام بمصالحهم أكثر من غيرهم ، كانت رحمته صلى الله عليه وسلم بهم أظهر وأوضح ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئا ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من ابْتُلِيَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار(البخاري).

٨- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى(رواه مسلم وصححه الألباني)

::

٢٦- احترام الكبير :

من الظواهر الاجتماعية المؤلمة إهمال الكبير وعدم توقيره ، والكبير نسبا أو دينا لا يضيع حقه في مجتمع يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم القائل:

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(البخاري).

فلكبير السن وذي الشيبة المسلم اهتمام وتوقير في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك في العديد من المواقف والمظاهر في حديثه وسيرته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شاب شيبة في سبيل الله تعالى كانت له نورا يوم القيامة ومن رمى بسهم في سبيل الله تعالى بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت له فداءه من النار عضوا بعضو(سنن النسائي وصححه الألباني).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام السلطان المقسط (رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني).

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا (رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال ليس منا) حسنه الألباني.

البدء بالكبير

يُقدَم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة ، وفي التحدث إلى الناس ، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل.

فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي أي البالغون العقلاء، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (مسلم).

وقال صلى الله عليه وسلم : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة ، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنا (مسلم).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قَدِمَ وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم ، فقال صلى الله عليه وسلم: مه ، فأين الكبير !؟(الحاكم).

وعن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا ، فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال صلى الله عليه وسلم : كَبِّر ، كَبِّر ، وهو أحدث أي أصغر القوم فسكت فتكلما (البخاري)قال ابن حجر قوله : كَبِّر ، كَبِّر أي : قدم الكبير السن.

وراعى النبي صلى الله عليه وسلم حال الكبير في الصلاة ، وحقه في بدئه بالسلام عند اللقاء فقال: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء(البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم: يسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والقليل على الكثير (البخاري)وصححه الألباني.

الحياء من الكبير

الحياء خلق يبحث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق الكبير ، ويدفع إلى إعطاء ذي الحق حقه ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه (الترمذي).

وعن ابن بريدة رضي الله عنه قال : قال سمرة بن جندب رضي الله عنه : لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعني من القول إلا أن فيهم رجالا هم أسن مني.

؛؛

٢٧-الرّفق بالخدم :

فقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في الرفق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله(رواه البخاري ومسلم).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق(رواه أحمدوصححه الألباني).

قال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧

قال تعالى:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ{١٢٨} فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاإِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ{١٢٩}التوبة

وهذه صور من رحمته مع الخدم :

١- يا أنيس أذهبت حيث أمرتك

حدثنا مخلد بن خالد الشعيري ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة يعني بن عمار قال حدثني إسحاق يعني بن عبد الله بن أبي طلحة قال :قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنيس أذهبت حيث أمرتك قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله قال أنس والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعت لم فعلت كذا وكذا ولا لشيء تركت هلا فعلت كذا وكذا .سنن أبي داود (حسنه الألباني).

٢- فما أمرني بأمر ثم أتيت غيره أو ضيعته فلامني

حدثنا أبو موسى ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن عمران النضري عن أنس بن مالك قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أمرني بأمر ثم أتيت غيره أو ضيعته فلامني فإن لا مني بعض أهله إلا فقال دعوه فإنه لو قدر كان أو قضي أن يكون كان . ظلال الجنة (صححه الألباني).

٣- يا رسول الله كم نعفو عن الخادم

حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني وأحمد بن عمرو بن السرح وهذا حديث الهمداني وهو أتم قالا ثنا بن وهب قال أخبرني أبو هانئ الخولاني عن العباس بن جليد الحجري قال سمعت عبد الله بن

عمر يقول : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان في الثالثة قال اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة .سنن أبي داود(صححه الألباني).

٤- توبيخه لمن ضرب الخادم

حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني سلمة بن كهيل قال حدثني معاوية بن سويد بن مقرن قال : لطمت مولى لنا ففر فدعاني أبى فقال اقتص كنا ولد مقرن سبعة لنا خادم فلطمها أحدنا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مرهم فليعتقوها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم ليس لهم خادم غيرها قال فليستخدموها فإذا استغنوا خلوا سبيلها.الأدب المفرد(صححه الألباني).

٥- ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة له ولا خادما قط

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة له ولا خادما قط ولا ضرب بيده شيئا قط إلا في سبيل الله أو تنتهك حرمات الله فينتقم لله. غاية المرام(صححه الألباني).

٦- ما أطعمت خادمك فهو لك صدقة

وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة رواه أحمد بإسناد جيد.صحيح الترغيب والترهيب.(صححه الألباني).

٧- لا تدعوا على خدمكم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله

ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم رواه مسلم وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه وغيرهم . صحيح الترغيب والترهيب.(صححه الألباني).

٨- إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم

حدثنا مسدد ثنا عيسى بن يونس ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد قال: دخلنا على أبي ذر بالربذة فإذا عليه برد وعلى غلامه مثله فقلنا يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك إلى بردك فكانت حلة وكسوته ثوبا غيره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه قال أبو داود ورواه بن نمير عن الأعمش نحوه (صححه الألباني).

٩- إذا جاء خادم أحدكم بطعامه فليقعده معه

حدثنا علي بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء خادم أحدكم بطعامه فليقعده معه أو ليناوله منه فإنه هو الذي ولي حره ودخانه.سنن ابن ماجة(صححه الألباني).

١٠- ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين

أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا بن أبي زائدة قال حدثني صالح بن صالح عن عامر عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها وعبد يؤدي حق الله وحق مواليه ومؤمن أهل الكتاب . سنن النسائي(صححه الألباني).

١١- من أساء معاملة من هم تحت يديه

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال من أساء معاملة من هم تحت يديه فلن يدخل الجنة رواه الترمذي وابن ماجة.

١٢- من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه

حدثنا مسدد وأبو كامل قالا ثنا أبو عوانة عن فراس عن أبي صالح ذكوان عن زاذان قال: أتيت بن عمر وقد أعتق مملوكا له فأخذ من الأرض عودا أو شيئا فقال مالي فيه من الأجر ما يسوي هذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه. سنن أبي داود(صححه الألباني).

١٣- أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا . وفي رواية فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار . رواه مسلم وأبو داود والترمذي (صححه الألباني).

١٤- وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم أقتص لهم منك الفضل

حدثنا مجاهد بن موسى بغدادي والفضل بن سهل الأعرج بغدادي وغير واحد قالوا حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح حدثنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبوني ويخونوني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم أقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ كتاب الله { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال } الآية فقال الرجل والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم أشهدكم أنهم أحرار كلهم قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان وقد روى بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث .جامع الترمذي(صححه الألباني).

- صلى الله عليك وسلم يا حبيبي يا رسول الله ..يا رحمة مهداة من رب العالمين.. ما قرأناه من أحاديث شريفة لحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعامله مع الخدم يجعلنا ويجعل كل من قرأ هذه الأحاديث يحبه حباً شديداً ويرفعه فوق كل حب لبشر، فهذه هي طريقة تعامل أفضل وأعظم مرتبة من البشر مع أقل وأدنى مرتبة ألا وهم الخدم ... فأنت فعلاً رحمة مهداة من رب العالمين لهؤلاء الخدم.

؛؛؛

٢٨- الرفق بالحيوانات :

أول ما تعلنه مبادئ حضارتنا في مجال الرفق بالحيوان، أن تقرر أن عالم الحيوان كعالم الإنسان له خصائصه وطبائعه وشعوره.

قال تعالى:

{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }الأنعام٣٨

ويقرر الفقهاء المسلمون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل.هذه هي مبادئ الرفق بالحيوان في حضارتنا وتشريعنا.

الرفق بالحيوان في سنة النبي صلى الله عليه وسلم

١- إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح

حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.سنن ابن ماجة(صححه الألباني).

٢- أفلا تتقي الله في هذه البهيمة

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا مهدي ثنا بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل قال فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى

إلي أنك تجيعه و تدئبه .سنن أبي داود(صححه الألباني).

٣- أين صاحب هذا البعير ؟

قال يعلى بن مرة بينا نحن نسير معه يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب

هذا البعير فجاء فقال بعنيه قال لا بل أهبه لك وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه الحديث(صححه الألباني).

٤- من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها

حدثنا أبو صالح محبوب بن موسى أخبرنا أبو إسحاق الفزاري عن أبي إسحاق الشيباني عن بن سعد قال غير أبي صالح عن الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار.سنن أبي داود (صححه الألباني).

٥- في كل ذات كبد رطبة أجر

حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي عن مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

بينما رجل يمشي بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني فنزل البئر فملأ خفيه فأمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا فقال في كل ذات كبد رطبة أجر . سنن أبي داود (صححه الألباني).

٦- فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له صدقة . متفق عليه

٧- فنزعت موقها فاستقت له به فغفر لها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها(أي حذائها) فاستقت له به فغفر لها . صحيح الجامع (صححه الألباني).

٨- عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض وفي رواية عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض رواه البخاري وغيره(صححه الألباني).

٩- إن رحمتها رحمك الله

عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله إني لأرحم الشاة أن أذبحها فقال إن رحمتها رحمك الله رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد (صححه الألباني).

١٠- هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها رواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط البخاري(صححه البخاري)

١١- لعن الله الذي وسمه

عن جابر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على حمار قد وسم في وجهه

فقال لعن الله الذي وسمه -رواه مسلم- وفي رواية له نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه(صححه الألباني).

١٢- لعن الله من مثَّل بالحيوان

أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى قال حدثنا شعبة قال حدثني المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لعن الله من مثَّل بالحيوان .والتمثيل من المثلة وهي تشويه الخلقة بقطع بعض الأعضاء. سنن النسائي(صححه الألباني).

١٣- لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا أو دجاجة يترامونها وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا رواه البخاري ومسلم (صححه الألباني).

١٤- اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة

حدثنا محمد بن يحيى ثنا النفيلي ثنا مسكين الحذاء ثنا محمد بن المهاجر عن ربيعة بن يزيد عن أبي كبشة السلولي ثنا سهل بن حنظلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة اركبوها صالحة وكلوها صالحة(صحيح ابن خزيمة).

١٥- ولا تقطع رأسها فترمي به

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا يسأل الله عنها يوم القيامة قيل يا رسول الله وما حقها قال حقها أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فترمي به .رواه النسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد (صححه الألباني).

صلى الله عليك وسلم يا حبيبي يا رسول الله ..يا رحمة مهداة من رب العالمين..أين جمعيات الرفق بالحيوان؟؟؟ لتقرأ هذه الأحاديث المباركة للنبي صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من أربعة عشر

قرنًا من الزمان وتتعلم من معلم البشرية حبيبي صلى الله عليه وسلم ورفقه مع هذه الحيوانات العجماء !!!

؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛

٢٩- إماطة الأذى عن الطريق :

فضل اماطة الأذى عن الطريق

١- من أسباب دخول الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين(رواه مسلم).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة(ورواه أبو داود).

٢- سبب لمغفرة الذنوب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر الله له (رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني).

٣- من الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان(رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

٤- أنه صدقة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة(رواه البخاري ومسلم).

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة قال حسان فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن تبلغ خمس عشرة(رواه البخاري وغيره).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار(رواه مسلم) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوىء أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن(رواه مسلم وابن ماجه).

أخي المسلم لاتقلل من شأن إماطة الأذى عن الطريق أيا كان نوعه وحجمه صغيرا أوكبيرا ... فكم من عمل قليل أدخل صاحبه الجنة وأوجب شكر الله لعبد والمغفره ، فعود نفسك على عمل الخير أيا كان وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

؛؛؛

٣٠- الكلمة الطيبة :

الكلمة الطيبة جميلة رقيقة لا تؤذي المشاعر ولا تخدش النفوس جميلة في اللفظ والمعنى يشتاق إليها السامع ويطرب لها القلب نتائجها، مفيدة، وغايتها بناءة، ومنفعتها واضحة.

الدعوة إلى الكلمة الطيبة في القرآن الكريم

قال تعالى:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ{٢٤} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ{٢٥} وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ{٢٦}إبراهيم

وقال تعالى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ }البقرة٨٣

وقال تعالى:

{وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً }الإسراء٥٣

وقال تعالى:

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ }فاطر١٠

الكلمة الطيبة شعار لقائلها ودليل على طيبه تحول العدو إلى صديق بإذن الله، وتقلب الضغائن

التي في القلوب إلى محبة ومودة،تثمر عملاً صالحاً في كل وقت بإذن الله تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء، وتقبل بإذن الله أنها من هداية الله وفضله للعبد ثوابها ثواب الصدقة تطيب قلوب الآخرين، وتمسح دموع المحزونين، وتصلح بين المتباعدين.

الدعوة إلى الكلمة الطيبة في السنة النبوية

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة(رواه البخاري ومسلم).

٢- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا النار قال وأشاح ثم قال اتقوا النار ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة(رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت(رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني).

٤- وعنه أيضا رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائمًا والناس نيام(رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما).

٥- والمؤمن فهو يعرف أنه سوف يحاسب على كل ما يتلفظ به ، ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة رائعة في حسن الخلق وقوة المنطق وبيان الحجة والإقناع والجواب الطيب فحينما جاءه شاب يستأذنه في الزنا يقول: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فدعاه النبي وقال: يا هذا، أترضى بالزنا لأمك؟! قال: لا، قال: والناس لا يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لزوجتك؟! قال: لا، قال: والناس لا يرضونه لزوجاتهم، أترضاه لابنتك؟! قال: لا، قال: والناس لا يرضونه لبناتهم، أترضاه لعمتك؟ !قال: لا، قال: والناس لا يرضونه لعماتهم، أترضاه لخالتك؟! قال: لا، قال: والناس لا يرضونه لخالاتهم، ثم إنه ضرب صدره وقال: اللهم أعفه وحصنه وطهر قلبه ،قال رضي الله عنه: فما هممت بفاحشة بعد ذلك أخرجه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بنحوه.

٦- وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي.

٧- سألَ رجل العباس رضي الله عنه قائلا: أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه و سلّم؟ ؟فأجاب العباس على الفور:رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكبر مني وأنا وُلدت قبله .

٨-وروي عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: (يا أهل الضوء). وكره أن يقول: يا أهل النار.

٩- وسأل رجلاً عن شيء: هل كان؟ قال: لا، أطال الله بقاءك، فقال: (قد علمتم فلم تتعلموا، هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك).

١٠- وكان لبعض القضاة جليس أعمى، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمد، ولا يقول: خذ بيده، قال: والله ما أخلَّ بها مرة .

١١- وروى الجاحظ أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نظر إلى النخّار بن أوس العُذري، الخطيب الناسب، في عباءة في ناحية من مجلسه، فأنكره وأنكر مكانه زِرايةً منه عليه، فقال: من هذا؟ فقال النخّار: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها.!

١٢- وروي أن رجلا أحضر طفله إلى مجلس احد الخلفاء فأراد الخليفة أن يختبره، فأراه خاتماً من الماس في يده وقال: أرأيت أحسن من هذا الخاتم.؟

أجاب الطفل:نعم الأصبع التي فيها.ثم سأله الخليفة سؤلاً أخر:أيهما أجمل.. دار أمير المؤمنين أم داركم؟.فأجاب الطفل: إذا كان أمير المؤمنين في دارنا كانت أجمل!!.

١٣- قيل أن ملكا من ملوك الفرس قرب إليه طباخه طعاما قوقعت منه نقطة على المائدة فأعرض الملك إعراضا تحقق به الطباخ قتله فعمد إلى الإناء فكفأه على المائدة فقال الملك ما حملك على ما فعلت و قد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ...

قال : استحييت أن الناس تسمع عن الملك أنه استوجب قتلي و استباح دمي مع قديم خدمتي و لزومي حرمته في نقطة واحدة أخطأت بها يدي فأردت أن يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي و يعذر في قتل من فعل مثل فعلي .. فعفا عنه و أمر بإجازته و وصله.

١٤- وجيء بامرأة إلى الحجاج وقد أسر جنده ابنها وزوجها وأخاها . فقال لها الحجاج:اختاري أحدهم فأطلق سراحه فقالت:

يا أمير المؤمنين أما الزوج فهو موجود وأما الابن فهو مولود ولكن الأخ مفقود لذا اخترت الأخ؟ فأعجب الحجاج بذكائها وأطلق سراحهم جميعا.

قال الشاعر :

أحب مكارم الأخلاق جهدي................. وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما .... وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه .... ومن حقر الرجال فلن يهابا

؛؛؛

٣١- العفو :

فإن العفو عن المخطئين من الأخلاق الإسلامية الحميدة التي ينبغي أن يتصف بها المسلمون.

معنى العفو:

العَفْو هو التَّجاوزُ عن الذَّنْب، وتَرْكُ العِقَاب عليه، وأصلُه المَحْوُ والطَّمْسُ، يقال عفا يَعْفُو عَفْوًا فهو عافٍ وعَفُوٌّ (النهاية لابن الأثير).

الفرق بين العفو والغفران:

يَتَمَثَّلُ الفرقُ بين العفو والغفران في أمور عديدة أهمها:

أن **الغفران** يقتضي إسقاط العقاب ونَيْلُ الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يكون إلا في حق الله تعالى.

أما **العفو** فإنه يقتضي إسقاطَ اللَّومِ والذم، ولا يقتضي نيل الثواب ويُستعملُ في العبد أيضًا.

العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها.

أما **الغفران** فإنه لا يكون معه عقوبة ألبَتَّة، ولا يُوصفُ بالعفو إلا القادرُ عليه. في العفو إسقاط للعقاب، وفي المغفرة سَتْرٌ للذنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة (نضرة النعيم)

العَفُوّ من أسماء الله الحسنى:

قال الله تعالى :

إِن تُبْدُوْا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوْا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيرا{١٤٩}النساء

وقال تعالى:

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ{٦٠}الحج

الفرق بين الصفح والعفو:

الصفح والعفو متقاربان في المعنى فيُقالُ صَفَحْتُ عنه أَعْرَضْتُ عن ذنبه وعن تَثْرِيبِهِ، إلا أن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصَفَحْتُ عنه أَوْلَيْتُهُ صَفْحَةً جَمِيلَةً (نضرة النعيم).

العفو عن الناس وصية رب العالمين:

حثنا الله تعالى في كتابه العزيز على العفو عن المخطئين، وذلك في مواضع عديدة، وسوف نذكر بعضها فيما يلي:

قال الله تعالى:

إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا{١٤٩}النساء

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: إن تظهروا أيها الناس خيرًا، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم؛ فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) تفسير ابن كثير.

وقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ{١٥٩}آل عمران

وقال سبحانه:

وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ{٤٠}الشورى

قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: فمن عفا عمن أساء إليه، إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر، ابتغاء وجه الله؛ فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه(تفسير الطبري).

وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ{١٩٩}الأعراف

قال ابن جرير: خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم، وقد أُمر بذلك نبيّ الله في المشركين(تفسير الطبري).

وعن أبي موسى الأشعري قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم (متفق عليه).

النبي صلى الله عليه وسلم يحثنا على العفو عن الناس:

نبينا حثنا على العفو عن المخطئين في كثير من أحاديثه الشريفة، وسوف نذكر منها ما يلي:

١- عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: الأنصار كرشي وعيبتي والناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم(صححه الألباني).

٢-عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب (رواه أبو داود والنسائي) .

٣- حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني وأحمد بن عمرو بن السرح وهذا حديث الهمداني وهو أتم قالا ثنا بن وهب قال أخبرني أبو هانئ الخولاني عن العباس بن جليد الحجري قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان في الثالثة قال اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة (صححه الألباني).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال شيئا وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . رواه مسلم .

من أقوال السلف الصالح في العفو عن الناس:

١- سُئل أبو الدرداء رضي الله عنه عن أعز الناس؟ قال: الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله (إحياء علوم الدين للغزالي).

٢- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه، شكرًا للقدرة عليه(المستطرف للأبشيهي).

٣- قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: عليكم بِالحِلْم والاحتمال حتى يُمْكِنُكُمُ الفُرصةُ، فإذا أمكنكم؛ فعليكم بالصفح والإفضال (إحياء علوم الدين للغزالي).

٤- قال الحسن البصري رحمه الله:أفضلُ أخلاق المؤمن العفو(الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي)
٥- قال سعيد بن المسيب رحمه الله: ما من شيء إلا والله يُحبُّ أن يُعفَى عنه ما لم يكن حدًّا (موطأ مالك، كتاب الأشربة).

٦- قال الأحنف بن قيس رحمه الله: إياكم ورأي الأوغاد، قالوا وما رأى الأوغاد؟ قال الذين يرون الصفح والعفو عارًا(المستطرف للأبشيهي).

النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة في العفو عن الناس:

الله تعالى أمر نبينا محمدًا بالعفو عن الناس فامتثل أمره، وكان نبينا هو القدوة في العفو عن الناس بقوله وفعله، من ذلك:

١- فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ؛ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ»إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ سيفي صَلْتًا« قَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قُلْتُ» :اللَّهُ« فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ (البخاري).

٢-عن عُرْوَةَ بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ: "هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟" قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ؛ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ" :إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ" فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ" : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ"؛ فَقَالَ النَّبِيُّ :بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (البخاري، ومسلم).

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ"(البخاري، ومسلم).

٤-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جذب جَبْذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"(البخاري مسلم).

٥- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلا امْرَأَةً وَلا خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل" (مسلم).

٦- عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن ثُمامة بن أُثال زوى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

بَعَثَ النَّبِيُّ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ» : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ «فَقَالَ: "عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ"؛ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ» : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ «قَالَ: "مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ"، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ» : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: "عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ"، فَقَالَ : »أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ« فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ؛ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟" فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: "صَبَوْتَ؟" قَالَ: "لا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلا وَاللَّهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ "(البخاري).

٧- عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية رَوى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: "أَلَا نَقْتُلُهَا؟" قَالَ» :لَا، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (البخاري).

٧- عفو الرسول عن أهل مكة لما فتح الرسول مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة، ثُمّ قَالَ» :يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟" قَالُوا: "خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ" قَالَ» :اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ(سيرة ابن هشام).

٨-وكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. بلغ من خلقه أنه كان يلتمس المعاذير للمخطئين .. ويحسن الظن بالمذنبين ..وكان إذا قابل عاصياً ينظر فيه إلى جوانب الإيمان قبل جوانب الشهوة والعصيان .. يعاملهم كأنهم أولاده وإخوانه .. يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه.

صور من عفو الصحابة:

ضرب أصحاب نبينا أمثلةً رائعةً في العفو عن الناس، وسوف نذكر بعضًا من ذلك:

١-كان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مِسْطح بن أثاثة لفقره وقرابته منه، وكان مِسْطح من الذين خاضوا في حادث الإفك، وتكلم في عِرض عائشة، فلما عَلِمَ أبو بكر بذلك، أقسم ألا ينفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله تعالى﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾النور:٢٢فقَالَ أَبُو بَكْرٍبَلَى وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لمسطح بِمَا كَانَ يَصْنَعُ" (البخاري).

٢- روى ا لبخاري عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا؛ فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: "يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ فَقَالَ: "سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: "هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا

بِالْعَدْلِ"، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى أَنْ يُوقِعَ بِهِ؛ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ)الأعراف:١٩٩ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ؛ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ (البخاري).

٣- جلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع يشتري طعامًا، فابتاع ثم طلب الدراهم، وكانت في عمامته فوجدها قد سُرقت؛ فقال: "لقد جلست وإنها لمعي"، فجعلوا يدعون على مَن أخذها، ويقولون: "اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا"، فقال عبد الله: "اللهم إن كان حَمَله على أَخْذِها حاجةٌ فبارك له فيها، وإن كان حَمَلتْهُ جَرَاءةٌ على الذنْب فاجعلها آخر ذنوبه" (إحياء علوم الدين للغزالي).

٤- قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه لغلامه: "لم أرسلت الشاة على علفِ الفرس أي تأكل من طعام الفرس؟" قال: "أردت أن أغيظك" قال أبو ذر" :لأجمعن مع الغيظ أجرًا، أنت حُرٌ لوجه الله تعالى" (المستطرف للأبشيهي).

٥- وكان عمربن الخطاب رضى الله عنه يقول :كل الناس منى فى حل .

٦-كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها، وإلى جانبها أرض لمعاوية بن أبي سفيان، وفيها أيضًا عبيد يعملون فيها، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير، فكتب عبد الله كتابًا إلى معاوية يقول له فيه: "أما بعد، يا معاوية، إن عبيدك قد دخلوا في أرضي، فانهم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن، والسلام" فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه، دفعه إلى وَلَدِه يزيد، فلما قرأه قال له معاوية: "يا بني ما ترى؟" قال: "أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه"، فقال: "بل غير ذلك خير منه يا بني"، ثم أخذ ورقة، وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير، يقول فيه: "أما بعد، فقد وقفت على كتاب وَلَدِ حَوَاري رسول الله، وساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها هَيِّنة عندي في جنب رضاه، نزلت عن أرضي لك، فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال، والسلام."فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه، كتب إليه: "قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل، والسلام" فلما

وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، وقرأه رمى به إلى ابنه يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه، وأسفر، فقال له أبوه: "يا بني من عفا ساد، ومن حَلِمَ عَظُم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء، فَدَاوِه بمثل هذا الدواء" (المستطرف للأبشيهي).

صور من عفو التابعين:

ضرب التابعون أروع الأمثلة في العفو عن الناس، وسوف نذكر بعضًا من ذلك:

١- طلب الخليفة عبد الملك بن مروان رجلاً أمر بالقبض عليه، فأعجزه، ثم ظفر به، فقال رجاء بن حَيْوَة: "يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه"، فعفا عنه (بهجة المجالس لابن عبد البر).

٢- أُحضرَ إلي الخليفة المأمون رَجُلٌ أذنب ذنبًا، فقال له: "أنت الذي فعلت كذا وكذا؟" قال: "نعم يا أمير المؤمنين، أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك"، فعفا عنه وخلى سبيله. (المستطرف للأبشيهي).

٣- جاءت جارية ميمون بن مهران ذات يوم بصَفُحة وعاء فيها مرقة حارة وعنده أضياف، فعثرت، فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: "يا مولاي استعمل قول الله تعالى : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) قال لها: "قد فعلت"، فقالت: "اعمل بما بعده (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)فقال: قد عفوت عنكِ:، فقالت الجارية(وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال ميمون: "قد أحسنت إليكِ، فأنت حرة لوجه الله تعالى" (تفسير القرطبي).

٤- ذات يوم، أراد مَعْنُ بن زائدة أن يقتل مجموعة من الأسرى كانوا عنده؛ فقال له أحدهم: نحن أسراك، وبنا جوع وعطش، فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل .فقال معن: أطعموهم واسقوهم. فلما أكلوا وشربوا، قال أحدهم: لقد أكلنا وشربنا، فأصبحنا مثل ضيوفك، فماذا تفعل بضيوفك؟!فقال لهم: قد عفوتُ عنكم.

٥- وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول:إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هى ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها.

؛؛

٣٢- نصيحة المسلم لأخيه المسلم :

والنصح لله هو أن تأمر بما يأمر الله وتنفذ أوامره في خاصة نفسك ، والنصح لرسوله أن تبلغ ما أمر به أمته مما أوتيت من علم وتكون أمينا في الدفاع عن سنته. والنصح لأئمة المسلمين بإرشادهم لما فيه خير الناس ومساعدتهم في تنفيذ ذلك والدعاء لهم .

١- عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله وكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم وأئمة المسلمين وعامتهم(رواه مسلم وصححه الألباني).

٢- قال الله تعالى:

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }الذاريات٥٥

٣- قال عمر بن الخطاب: لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين .

٤- وقال الحارث المحاسبي: إعلم أن من نصحك فقد أحبك ومن داهنك فقد غشك ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك . ومن تصدى لنصح أحد فليكن أولا قد إتصف هو بالخلق الذي ينصح الناس به وليكن نصحه برفق وتلطف دون تشهير.

٥- قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: إذا نصحت فانصح سرا لا جهرا ، فإذا نصحت أخاك سرا فقد نصحته وزِنته (من الزين) ، وإن نصحته أمام ملأ فقد نصحته وشنته (من الشين).

٦- وقد يكون النصح بالتعريض والتلميح أبلغ أحيانا من التصريح ، خاصة لمن يفوقك في السلطان أو يكبرك بالسن . فقد مر الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صغيران بشيخ لا يحسن الوضوء ، فأرادا أن يعلماه الوضوء فتقدم منه أحدهما وقال :إختصمنا أنا وأخي هذا في أينا أحسن وضوءا ونريد أن تكون بيننا حكما ، فلما توضآ أمامه عرف خطأه فشكر لهما صنيعهما .

٧- وإذا عرفت من شخص عنادا بأن يفعل عكس ما تنصحه به فعليك أن ترفق به وتنصحه بعكس ما تراه لكي يصيب الحق في مخالفته لك . وذلك هو أحد الأسس التي عرفت حديثا في تعليم الكبار. فالغاية من النصح تقويم الإعوجاج وليس العجب بالنفس والتباهي بأنك أفضل ممن تنصحه أو أعلم منه.

٨- قال عبد الله بن المبارك لو علمت أن لي دعوة مستجابة واحدة لجعلتها لأئمة المسلمين لأن بصلاحهم يصلح ناس كثير وبفسادهم يهلك ناس كثير.أما النصح لعامة المسلمين فيجب البدء بالأقرب فالأقرب . وقد وصف الله تعالى الإنسان بالخسران إلا الذين يتواصون بالحق وبالصبر: وَالْعَصْرِ{١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{٣} العصر

٩- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حق المسلم على المسلم ست) وذكر منها (وإذا استنصحك فانصح له) رواه مسلم .

١٠- وفي الصحيحين عن جرير قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

١١- ومن فقه النصيحة للمسلم أن ينصحه برفق وتلطف ولا يعنف عليه وأن يكون ذلك سرا لا يجهر به عند الناس لأن ذلك ينفره عن اتباع الحق ويفضحه ويؤدي إلى العداوة والقطيعة.

شروط النصيحة فى الإسلام

حتى تأتى النصيحة بنتائجها الطيبة المرجوة لابد من تحقق هذه الشروط بعد توفيق الله وعنايته وحتى لا يترتب على النصيحة مفاسد قد تكون أعظم وأخطر من المعروف المضيع أو من المنكر الذى فعل:

١- أن يوقن الناصح أن الله هو الذى بيده القلوب يقلبها كيف يشاء

وهو الهادى إلى الحق والرشاد .وأن الناصح ما هو إلا سبب وأنه لا يملك أمر نفسه فكيف يملك أمر غيره.

قال تعالى:

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ{٢٧٢}البقرة

قال تعالى:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{٥٦}القصص

وقال تعالى:

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ{٢١}لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ{٢٢}الغاشية

وغير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تبين أن أمر الهداية بيد الله، وأن لله فى خلقه حكمة لا يعلمها إلا هو. فعندما يوقن المسلم بذلك فإنه لا يتكبر ولا يختال ولا ينظر إلى أحد من الناس وإن قلت طاعاته وكثرت ذنوبه على أنه دونه فى المنزلة بل يخاف على نفسه وعلى أعماله

الصالحة ألا يقبلها الله منه أكثر من خوف العاصى أن يعاقب على معاصيه فيعيش بين الخوف والرجاء، الخوف حتى لا يحمله الطمع فى رحمة الله، ورجاء ما عنده على ترك التكاليف الشرعية والرجاء حتى لا يحمله الخوف على اليأس من رحمة الله.

قال تعالى مبيناً حال عباده الصالحين وأنهم يعملون الأعمال الصالحة مع خوفهم ألا يتقبلها الله منهم:

إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ{٥٧} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ{٥٨} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ{٥٩} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ{٦٠}أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ{٦١}المؤمنون

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ(أخرجه الترمذى وغيره).

وهذا ما قاله نبى الله نوح عليه السلام لقومه مبيناً لهم أن أمر الهداية إلى الله لا إليه وأن النصح لا ينفع إلا بتوفيق من الله وتسديدقال الله تعالى حاكيًا ما قاله نبى الله نوح لقومه:

وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{٣٤} هود

وبذلك يخرج المسلم من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويعترف بعجزه وقصوره وأنه ما هو إلا سبب من أسباب الله يحركه، الله تعالى ليقضى به ما أراد وأى تشريف للمسلم أعظم من أن يجعله الله تعالى من أسبابه؟ إنه لشرف لا يعدله شرف.

٢- إخلاص النية لله رب العالمين وتجريدها من الهوى

ينبغى ألا يريد الناصح بنصحه سوى وجه الله وثوابه ورد العباد إلى الله والتعاون على البر والتقوى، وذلك لا يتحقق إلا إذا أراد الناصح بنصحه إصلاح المنصوح فقط فلا يريد أن يتتبع

عيوب المنصوح أو التفتيش عن نقائصه ليحقره أو ليعيبه أو ليبين له أنه مهتد، والمنصوح ضال أو أنه عالم والمنصوح غارق فى الجهل والضلال، بل يريد الناصح الخير لنفسه أولاً فهو يسترضى الله بما يقول ويفعل ليفوز برضا الله والجنة، وليترك المنصوح ما هو متلبس به من الآثام فتعم رحمة الله الجميع.

لذلك وجب على الناصح أن يتخلص من آفات النفس ليسلم له عمله ويفتح الله له قلب المنصوح لقبول النصيحة ويجعله سببًا فى هداية الناس وإصلاحهم، بل ينبغى أن يتودد الناصح إلى المنصوح ويأتيه من الطريق الذى يحبه كما فعل أنبياء الله ورسله مع أممهم، ولا يصح أن يَمَلّ الناصح من المنصوح إن رآه معرضاً عنه فقد يكون العيب الحقيقى فى الناصح لا فى المنصوح، فإعراض المنصوح عن الناصح فيه خسارة عظمى للناصح لأن المنصوح لو قبل النصح فاستقام على منهج الله تعالى فإن الناصح سيؤجر على كل عمل صالح يقوم به المنصوح بدون أن ينقص من أجر العامل شيء.

فعن أبي مسعود البدري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليستحمله فقال إنه قد أبدع بي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائت فلانا فأتاه فحمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل أجر فاعله أو قال عامله(رواه مسلم وأبو داود والترمذي). فالناصح وإن نفع المنصوح بعد توفيق الله إلا أن له مثل أجر فاعله فينبغى أن يكون حريصًا على المنصوح انطلاقاً من حب الخير له ولنفسه فمحصلة عمل الناصح عائدة إليه إن شاء الله تعالى فلا ينقطع عمله بموته ما بقى من نصحه وأرشده مستمسكاً بالحق.

قال الله تعالى:

وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ{٦}العنكبوت

فعلى الناصح ألا يكلّ ولا يملّ بل عليه أن يكرر نصحه وإرشاده، وقبل ذلك كله عليه أن يراجع نفسه ويصحح نيته من آن لآخر فقد يأتيه الشيطان فيفسد عليه نيته وهو فى وسط الطريق. وليعلم الناصح أنه سبب فقط وأن الله هو الهادى وأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء لا معقب

لحكمه ولا راد لقضائه... وقد بين الله تعالى لنبيه وحبيبه أن أمر الهداية إليه وحده، وأن غيره لا يملك أمر نفسه فكيف يملك أمر غيره.

٣- الرفق بالمنصوح والشفقة به وعدم الإثقال عليه

ينبغى أن تكون نظرة الناصح للمنصوح كنظرة الطبيب النفسى لمريضه، فالمريض النفسى لا يُسَلم أنه مريض ويرفض الذهاب إلى الطبيب بخلاف المريض العضوى فلإحساسه بالآلام والأوجاع ولسلامة عقله وتفكيره يبحث لنفسه عن طبيب ويطلب من الناس إعانته على ذلك، فعلاج المريض النفسى أشد من علاج المريض العضوى وحاجة المريض النفسى إلى رفق الطبيب المعالج أشد.

والذى يفعل معصية من المعاصى يتلذذ بما يفعل ويشبع شهواته ويظن أنه فى سعادة غامرة، والذى يترك فعل واجب من الواجبات يرى نفسه مستريحًا من تبعاته ومشقاته ويرى نفسه حرًا سواء إذا فعل معصية أو ترك واجبًا فلا قيود عليه ولا تكاليف تشق على نفسه الضعيفة، خاصة وأنه ألف ما يفعل واعتاده ويخيل إليه أنه استراح من فعل الواجبات، خاصة وأنه لا يشعر بألم أو بفقدان شيء بل يرى نفسه مستريحًا.

والناصح يريد بنصحه أن يخرج المنصوح من هذه الحالة التى ألفها واعتادها وسكنت نفسه إليها. لذلك ينبغى أن يكون الناصح رحيمًا بالمنصوح شفوقاً عليه حريصًا عليه حتى يخرجه من هذه الحالة التى اعتادها وألفها. فلا يصح أن يدخل معه فى جدال عقيم قد لا ينتج إلا التباغض، ويمنعه من قبول النصح منه ومن غيره، وإن بدا الحق جليًا واضحًا بل قد يدفعه الجدل إلى رد الحق بعد وضوحه انتصارًا لنفسه. لذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الجدال الذى لا يثمر إلا الانتصار للنفس، ولا يوصل إلى المقصود ووعد تارك الجدال بالأجر العظيم.

فعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنا زعيم ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وترك الكذب وإن كان مازحا وحسن خلقه(رواه البزار والطبراني وحسنه الألباني).

والذى يدفع الإنسان إلى رد النصيحة هو الكبر ورؤية الإنسان لنفسه واعتداده بها واعتقاده الكمال فى نفسه فلو سلم للناصح بما يقول وقبل نصحه،فإن فى ذلك اعترافاً من المنصوح بأن به قصورا لذلك هو يبادر إلى رد النصيحة ويبغض من ينصحه حتى ولو كانت عيوبه واضحة جلية.

وفى الوقت نفسه يحب من يمدحه ويغض الطرف عن عيوبه متغافلاً عنها مع أن مدح المادحين لن يحقق له كمالاً يفتقده ولن يدفع عنه نقائصه التى هو متلبس بها.

بل يحقق له المدح الكاذب ذاتية مكتملة اكتمالاً كاذبًا. بل قد يصل الحال بالإنسان إلى حب من يزين له سوء عمله ليكون مصيره إلى التهلكة فى الدنيا والآخرة.

ومما تميز به الإسلام أنه نظر إلى الإنسان نظرة موضوعية تتناسب مع طبيعته التى خلقه الله عليها فنظر إليه على أنه يغضب لنفسه ولا يُسلم لخصمه بأنه مخطئ بل يحاول الانتصار لنفسه مهما كلفه ذلك، لأن المنصوح إن قبل النصيحة يكون قد سلم للناصح بأنه مخطئ ولو ضمنيًا، لذلك احترم الإسلام مشاعر الناس وترفق بهم غاية الترفق وهو يدعوهم إلى الخير وتصحيح ما هم عليه حتى لا تكون الخصومة ورغبة كل طرف فى الانتصار لنفسه، حائلاً بين الناس وبين قبول الحق لأن غاية الإسلام العظمى أن يستجيب الناس للحق بعد ظهوره ووضوحه بالأدلة، وليس من هدفه أن يوقع الناس فى الجدل بدافع الانتصار للنفس فينصرف الناس عن الحق بعد ظهوره ووضوحه عنادًا ومكابرة لأن الجدل والخصومة تدفع كل فريق إلى الانتصار لنفسه حتى ولو رأى الحق واضحًا جليًا.

وإذا كان النصح ثقيلاً على نفس المنصوح لأن النفس تبغض ترك ما ألفت واعتادت فلا يصح للناصح أن يرسل النصح جبلاً ثقيلاً على نفس المنصوح ولا يجعله جدلاً حتى لا يدفع ذلك المنصوح إلى رد الحق وإن ظهر واضحًا انتصارًا للنفس، ولا يصح للآمر بالمعروف الناهى عن المنكر أن يجمع على المدعوين بين إخراجهم مما ألفوا واعتادوا مع إرهاقهم وإعناتهم.

وقد أوصى الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام أن تكون دعوتهما لفرعون الطاغية المستبد الذى ذبح الأطفال، بل ادعى أنه الإله الكبير برفق ولين لعله يستجيب للحق ولا يكون العداء بينه وبينهما حائلاً يحول بينه وبين قبول الحق. قال:

اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى{٤٤}طه

وهذا هو منهج الإسلام سواء فى دعوة غير المسلمين أو فى تصحيح الأخطاء وإن عظمت ، قال تعالى:

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{١٢٥}النحل

٤-أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه

فإذا كان موضوع الأمر والنهى من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام أوالمحرمات المشهورة، كالزنا وشرب الخمر فكل المسلمين يعلمون هذه الأمور فعلي الناصح أن يأمر المتهاونين بفعل المأمورات وينهى الفاعلين للمنكرات. أما إذا كان موضوع الأمر والنهى من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالأمور الأخلاقية لم يكن للعوام فيه مدخل ولا لهم إنكاره بل ذلك خاص بالعلماء.

٥- الإسرار بالنصيحة

ينبغى أن يستر الناصح من ينصحه وأن يسر إليه بالنصيحة حتى تؤتى ثمارها الطيبة ولا يكشف أمره للناس بنصحه جهارًا حتى لا يدفعه ذلك إلى الإصرار على ما هو متلبس به بل قد يزيده ثباتًا على الباطل وتفاخرًا به.

قال الإمام الشافعى: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

وقال أيضا:

تَعَمَّدنى بِنُصحِكَ فى اِنفِرادي ..... وَجَنِّبنى النَصيحَة فى الجَماعَة

فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ ..... مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه

وَإِن خالَفتَنى وَعَصِيتَ قَولى .....فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَة

ولقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن لا يواجه أحدًا بما يكره على ملأ من الناس بل كان يسر بالنصيحة إلى المخطئ.

فإن كان الأمر يقتضى تنبيهًا عامًا حتى لا يقع أحد فيما وقع فيه المخطئ فإنه يعمم فى الموعظة فيقول: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا ...أو يفعلون كذا).

قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير.

٦- تخير الأوقات التى يكون فيها المنصوح أقرب إلى سماع النصيحة والتأثر بها

حتى لا ينصح عند انشغال قلبه عن النصيحة فلا تحدث فيه أثرًا لانصرافه عما يقال له. فإن عاود الناصح المنصوح بالنصح فإنه لا يحدث فيه أثرًا لأنه سمع هذه النصيحة قبل ذلك.

؛؛

٣٣- قضاء حوائج المسلمين :

فمساعدة الآخرين من أعظم أبواب الخير ولها مكانة عالية جداً في الإسلام الذي جاءت عقائده وشرائعه لإصلاح العلاقة بين العبد وربه، وبين العباد أنفسهم، ولهذا حث الإسلام على إيصال النفع للآخرين بقدر المستطاع ، حتى ولو كانت هذه المساعدة لحيوان فلها أجر عظيم .

ولأن هذه المساعدة نوع من العبادة التي يرجو بها المسلم الثواب من ربه، فإن من شروط قبولها وحصول المسلم على الأجر أن تكون هذه المساعدة خالصة لله تعالى يرجو بها المسلم رضا ربه، وأن يرزقه الثواب المترتب على هذه المساعدة، ويمكن أن ينوي المسلم بهذه المساعدة أكثر من نية مما لا تتعارض مع الإخلاص المطلوب، فيمكن أن ينوي إدخال السرور على المسلم وهذه نية مطلوبة وممدوحة ويثاب المسلم عليها، ويمكن أن ينوي شكر الله على نعمه عليه وأنه أغناه عن غيره فهو يخرج صدقة هذه النعمة ببذل المعونة لغيره من المحتاجين والنوايا في هذا كثيرة، أما بذل المساعدة من أجل المصالح الشخصية، فإن كنت تعني بالمصالح الشخصية أن يريد الإنسان الثناء من الناس ونحو ذلك، فإن ذلك يتنافى مع الإخلاص، وبالتالي، فثواب المسلم منها هو ما يتحقق له من مصلحة في الدنيا، أما في الآخرة فلا أجر له فيها، لأنه قد حصل في الدنيا على ما عمل لأجله.

وأما إن كان المقصود بالمصالح الشخصية الأمور المشروعة التي لا تتنافى مع الإخلاص كأن يقصد من جماع زوجته أن يعفها ويعف نفسه عن الحرام مع قضاء شهوته، فإن ذلك لا ضرر فيه ولا يتنافى مع تحصيل الأجر ففي الحديث الشريف :قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيت لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ ... الحديث .رواه مسلم.

وأما عن فضائل هذه المساعدة فمنها :

١-أن مساعدة الآخرين نوع من الإحسان قال تعالى﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾البقرة١٩٥

وقال سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾الأعراف٥٦

وقال سبحانه ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾يوسف٥٦

٢- ومن هذه الفضائل: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

٣- ومن هذه الفضائل: ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

قال الإمام النووي في شرح الحديث : ومعنى نفس الكربة: أزالها .

٤- وفيه :فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، إن كان هذا شرطاً في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم .انتهى من شرح صحيح مسلم.

٥- ومن هذه الفضائل: ما ثبت عن أبي أمامة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد من العمر(رواه الطبراني وحسنه الألباني).

والمصرع: هو مكان الموت، فيقي الله من يحسن إلى الناس بقضاء حوائجهم من الموت في مكان سيء أو هيئة سيئة أو ميتة سيئة.

٦- ومن هذه الفضائل:

هذا الحديث العظيم الذي يرغب في قضاء الحاجة ومساعدة الآخرين وينشط المسلم لفعل الخير، فعن ابن عمر رضي الله عنهما :أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة -شهراً، ومن كف غضبه

ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ـ ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة - حتى يثبتها له - أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام(رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والطبراني وغيرهما، وحسنه الألباني).

٧- ومن هذه الفضائل: ما ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وقال :حسن صحيح، وصححه الألباني عن البراء بن عازب قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من منح منيحة لبن أو ورق أو هدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبة .

قال الترمذي :ومعنى قوله: من منح منيحة ورق، إنما يعني به قرض الدراهم قوله: أو هدى زقاقاً، يعني به هداية الطريق.

٨- ومن هذه الفضائل: ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضيله ديناً، أو تطعمه خبزاً(رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والبيهقي وغيرهما، وحسنه الألباني).

قال المناوي في فيض القدير :أفضل الأعمال :أي من أفضلها أي بعد الفرائض كما ذكره في الحديث المار، والمراد الأعمال التي يفعلها المؤمن مع إخوانه أن تدخل أي إدخالك على أخيك المؤمن أي أخيك في الإيمان وإن لم يكن من النسب، سروراً أي سبباً لإنشراح صدره من جهة الدين والدنيا، أو تقضي تؤدي عنه ديناً لزمه أداؤه لما فيه من تفريج الكرب وإزالة الذل، أو تطعمه ولو خبزاً فما فوقه من نحو اللحم أفضل، وإنما خص الخبز لعموم تيسر وجوده حتى لا يبقى للمرء عذر في ترك الإفضال على الإخوان، والأفضل إطعامه ما يشتهيه .انتهى.

٩- ومن هذه الفضائل: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :خير الناس أنفعهم للناس(رواه القضاعي في مسند الشهاب، وحسنه الألباني).

١٠- فما أعظم هذا الدين الذي جعل مساعدة الناس بهذه المنزلة العظيمة، بل وحتى مساعدة الحيوانات، ولنقرأ هذا الحديث العظيم لنعلم فضل دين الإسلام وأن فيه صلاح الدنيا والآخرة وأن البشرية لم يصبها الشقاء إلا بعد أن تركت الأخذ بهذا الدين العظيم، ففي صحيحي البخاري ومسلم :

عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها .

والبغي: هي المرأة الزانية. ومع هذا، غفر الله لها بهذه المساعدة لهذا الحيوان، فكيف بمساعدة الصالحين لإخوانهم وأخواتهم؟ لا شك أن ثوابه أعظم.

- وأما :هل مساعدة الآخرين أفضل أم ذكر الله؟ فنقول: لكل منهما فضائل كثيرة، والمفاضلة بينهما صعبة، ولو أمكن الجمع بين الأمرين فهو خير، وإذا كان هناك محتاج ولا يوجد من يساعده غير السائل، ففي هذه الحالة المساعدة أفضل وقد تكون واجبة، وإذا كان المسلم من المسؤولين عن مساعدة الغير في وظيفة فالقيام بعمله في هذه الحالة أيضا أفضل من نوافل الذكر وأوجب، والقاعدة في الترجيح بين ما كان نفعه متعديا وما كان نفعه قاصراً ما ذكره فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال :قضاء حوائج المسلمين أهم من الاعتكاف، لأن نفعها متعدٍ، والنفع المتعدي أفضل من النفع القاصر، إلا إذا كان النفع القاصر من مهمات الإسلام وواجباته .انتهى.

١٢خرج من قريته بعد أن تآمر علية القوم على قتله خرج منها وهو خائفاً متلفتاً يتوقع الشر في كل لحظة هاربًا يسعى بكل طاقته ليس معه مال وليس معه متاع مشى ..ومشى حتى انتهى به المطاف إلى قرية فوصل وقد أنهكه التعب والجوع والظمأ وما كاد يجلس على الأرض ليستريح من عناءالسفر المتعب حتى رأى منظراً استفز فيه شهامته ورجولته ونخوته ودينه فماذا رأى..؟ رأى فتاتين عفيفتين طاهرتين تتحاشيان الاختلاط بالرجال معهما أغنامهما ؛ وعلى الرغم من أنه لا يعرفهما وليس له حاجة عندهما إلا أنه رأى أنها فرصة لأن يكسب الأجر عند الله بقضاء حاجتهما ، وعلى الرغم من حرارة الجو و ما كان يعانيه من تعب السفر إلا أنه بادر لقضاء حاجتهما فسقى لهما ثم بعد أن أنجز تلك المهمة لم يطلب منهما أجرة ما عمل أو انتظر منهن كلمة شكر إنما تولى إلى الظل ليستظل من تلك الحرارة الشديدة أعلمتم من هو ذلك الشاب إنه رسول من أولي العزم من الرسل إنه كليم الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم خلد الله لنا عمله ذلك في كتابه إلى يوم القيامة ليظل علماً للبشرية في مجال قضاء حوائج الناس واستمعوا لربكم يقص عليكم ذلك الموقف ... قال تعالى:

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٢١}وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ{٢٢}وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ{٢٣} فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ{٢٤}القصص

أذهب عمله ذلك هباء ؟ لا . لقد تكفل بثمن عمله رب العالمين واسمعوا للثمن ..قال تعالى:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٢٥}قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ{٢٦} قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ{٢٧}القصص

الله أكبر أمان بعد الخوف ورزق بعد الفقر وزوجة بعد العزوبة هذا مع ما ينتظره من الأجر في الآخرة.قضاء حوائج الناس خلق أصحاب الفطرة السليمة ومن باب أولى أن تكون سجية المتقين والمؤمنين .

١٣- فهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كان من ضمن شمائله الكريمة قضاء حوائج الناس كما أثنت بها عليه زوجه الوفية خديجة رضي الله عنها وأرضاها حيث قالت له يوم أن جاء فزعاً ملتاراً في بداية الوحي : (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) وبعد الرسالة كان سعيه في ذلك أشد حيث كانت الجارية الصغيرة (الطفلة الصغيرة) تأخذ بيده الشريفة فتنطلق به في شوارع المدينة وهو أكبر سلطة سياسية في ذلك الزمان فيمضي معها حتى يقضي حاجتها...قال الشاعر:

زانتك في الخُلق العظيم شمائلٌ .....يُغرىَ بهن ويولع الكرماء

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى .....وفعلت ما تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً .....لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب.....هذان في الدنيا هم الرحماء

١٤- قضاء حوائج الناس باب عظيم للخير فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قوله(إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس،حببهم إلىالخير،وحبب الخير إليهم،هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة).

١٥- أبشروا من يسعى في قضاء حوائج الناس بقضاء حوائجه ففي الصحيحين عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١٦- فمن كان الله في حاجته أتظنون أنه يخيب ..؟ بعض الناس قد يغره المنصب والوجاهة والمكانة فيترفع عن قضاء حوائج الناس فنقول له هذا خير الأمة بعد نبيها الصديق رضي الله عنه كان يواظب على خدمة عجوز مقعدة فبعد أن ولي الخلافة ذهب عمر رضي الله عنه لقضاء حوائجها ظانًا أن أبا بكر ستشغله الخلافة ولو بشكل مؤقت عن ذلك العمل فإذا به يجد أن الخليفة قد سبقه لذلك !

١٧- وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه وهو خليفة وجد وهو يعس بالليل امرأة في حالة المخاض تعاني من آلام الولادة فحث زوجته على قضاء حاجتها وكسب أجرها فكانت هي تمرض المرأة في الداخل وهو في الخارج ينهمك في إنضاج الطعام بالنفخ على الحطب تحت القدر حتى يتخلل الدخان لحيته وتفيض عيناه بالدمع لا من أثر الدخان الكثيف فحسب بل شكراً لله أن هيأه وزوجته لقضاء حوائج الناس!فما أشد حرمان من لم يوفق لقضاء حوائج الناس وأشد منه خسارة وبؤساً من سعى في تعطيل حوائج الناس.وإلى كل من جعل الله حاجة الناس إليه فبدأ يتبرم ويضيق بتلك الحاجات أقول له احمد الله أن جعل حوائج الناس إليك ولم يجعل حاجتك إلى الناس . أقول له من الذي أعطاك ما أعطاك فاحذر أن تترفع وتحتجب عن حاجات الناس فيمتنع الكريم عن حاجتك ، وقد يبدل الله حالك فيجعل حاجتك إلى الناس بدلاً من أن تكون حاجات الناس إليك معاشر من يسعى في قضاء حوائج العباد المؤمنين اعلموا أنه ليس من قضاء حوائج

الناس مساعدتهم على ارتكاب المنكر،كما أنه ليس من قضاء حوائج الناس أن تقضى حوائج الأقارب والمعارف على حساب الآخرين.

إذا كان الله قد شكر لامرأة زانية وغفر لها زناها لأنها سعت في قضاء حاجة كلب عطش ، فكيف بمن يقضي حاجة عبد مؤمن موحد؟كيف بمن يقضي حاجة جاره؟ كيف بمن يقضي حاجة زوجه وأولاده؟كيف بمن يقضي حاجة والديه من أم أو أب؟كيف بمن يقضي حاجة حاج ضيف من ضيوف الرحمن؟ قال تعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }الحج٧٧

;;;

٣٤- إنظار المعسر :

إن الأصل في الشرع وجوب إنظار المعسر الذي لم يجد سدادا إلى أن يجد ما يقضي به دينه، قال الله تعالى:

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{٢٨٠}البقرة

ولذلك، فإن على أصحاب الديون أن يصبروا عليك حتى ييسر الله لك ما تقضي به ديونهم.

فحث الله جل وعلا على إنظار المعسر، وعدم التثريب عليه والتشديد عليه في أداء ما عليه من الدين-فضلاً عن حبسه وأذيته بالمن ونحو ذلك- إذا كان لا يملك ما يسد به دينه مع رغبته في السداد. وقصده رد المال لصاحبه (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)، بل أرشد الله عز وجل إلى أمر أعظم من ذلك وهو التنازل عن الدين، والتصدق به على من كان لازماً له (وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

قال العلامة ابن كثير رحمه الله : وقوله: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: (وَإِنْ كَانَ ذُو

عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَة) أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي.

ثم يندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال:وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين. وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بذلك ، ومن تلك الأحاديث:

١-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ:أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌفَقَالَ: آللَّهِ ؟ قَالَ: آللَّهِ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) رواه مسلم في صحيحه. قال النووي رحمه اللهومَعْنَى (يُنَفِّس) أَيْ يَمُدّ وَيُؤَخِّر الْمُطَالَبَة ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ يُفَرِّج عَنْهُ .

٢- وروى مسلم في صحيحه: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ

وَمَعَافِرِيَّ ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ ! قَالَ: أَجَلْ. كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ[من بني حرام من الأنصار] مَالٌ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا لَا. فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ[أي صغير السن] فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي. فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ. فَخَرَجَ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا قُلْتُ: آللَّهِ ؟ قَالَ: اللَّهِ . قُلْتُ: آللَّهِ . قَالَ: اللَّهِ . قُلْتُ: آللَّهِ ؟ قَالَ: اللَّهِ .قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بِبَصَرِ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا،وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ- رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ(مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ).

٣- وفي رواية عند ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: (من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه) فتبين أن المراد بظل الله: ظل العرش.

٤-وقد جاء صريحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ) . رواه الترمذي وابن الأعرابي في معجمه والقضاعي في مسنده وغيرهم وإسناده صحيح . قال القرطبي في تفسيره: «وإنظار المعسر تأخيره إلى أن يوسر.والوضع عنه إسقاط الدين عن ذمته.

٥-عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ) رواه البخاري ومسلم.

٦- وفي الحديث الصحيح عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أنه كان يُحَدِّثُ: أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ- واسمه مرثد بن عبدالله اليزني-حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ)قَالَ يَزِيدُ: وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةٍ أَوْ بَصَلَةً أَوْ كَذَا .

٧- وقد جاء الحديث بمزيد تفسير عند أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه وغيرهم: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ(إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا.قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ).

٨- وروى البخاري ومسلم والسياق له عن حُذَيْفَةَ قَالَ: أُتِيَ اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ -قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا- قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَفَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِيفَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٩-وفي رواية: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنْ الْخَيْرِشَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُوسِرِ، قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ)وفي رواية: (أَنْظِرُ الْمُوسِرَوَأَتَجَاوَزُ عَنْ الْمُعْسِرِ).

١٠- صحَّ عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ ، فإذا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ بعد ذلك فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ).

١١عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) رواه البخاري في صحيحه.

١٢وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ(مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم.

لأن الإعسار من أعظم كرب الدنيا، بل هو أعظمها، فجوزي من نفس عن أحد من المعسرين بتفريج أعظم كرب الآخرة وهو هول الموقف وشدائده بأن يستظل بظل عرش الله.

١٣-كما في الحديث(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) رواه مسلم.

١٤عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) رواه أحمد

١٥-عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رسول الله قَالَ(رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى) أي أخذ الدين الذي له (رواه البخاري).

١٦- عن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

١٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ) رواه أحمد.

١٨- الدعاء له فضل عظيم على وجه العموم، وهو من أهم أسباب قضاء الحاجات، ومنها الديون التي في الذمة ، وقد جاءت أحاديث تبين أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله أن يقضي عنه دينه، بل كان يدعو بذلك كل ليلة قبل أن ينام ،ومن ذلك حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام يقول(اللهم رب السماوات ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)أخرجه مسلم .

- ومن الأدعية التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم بعض من عليهم دين :

عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل يقال له أبو أمامة،فقال: "يا أبا أمامة مالي أراك خالياً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله همك، وقضى عنك

دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت :اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبنوالبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: فقلت ذلك، فأذهب الله همي،وقضى عني ديني(أخرجه أبو داود).

- وعن علي أن مكاتباً(عبد يريد الحرية بدفع مال لمالكه)جاءه فقال :إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله لو كان عليك مثل جبل صبير ديناً أداه الله عنك؟ قال:(قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك،وأغنني بفضلك عمن سواك)أخرجه الترمذي وحسنه الألباني.

- وعن أنس قال: كنت أسمع النبي يكثر أن يقول:اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال(أخرجه البخاري).

؛؛

٣٥- الإيثار :

إذا كنت ممن يسهل عليهم العطاء ولا يؤلمهم البذل فأنت سَخِي، وإن كنتَ ممن يعطون الأكثر ويُبقون لأنفسهم فأنت جواد. أما إن كنت ممن يعطون الآخرين مع حاجتك إلى ما أعطيت لكنك قدمت غيرك على نفسك فقد وصلت إلى مرتبة الإيثار.

ورتبة الإيثار من أعلى المراتب، وإنما ينشأ الإيثار عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، مع الرغبة في الأجر والثواب.

قال تعالى:

{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }التغابن١٦

وقال تعالى:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ{٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٩}الحشر

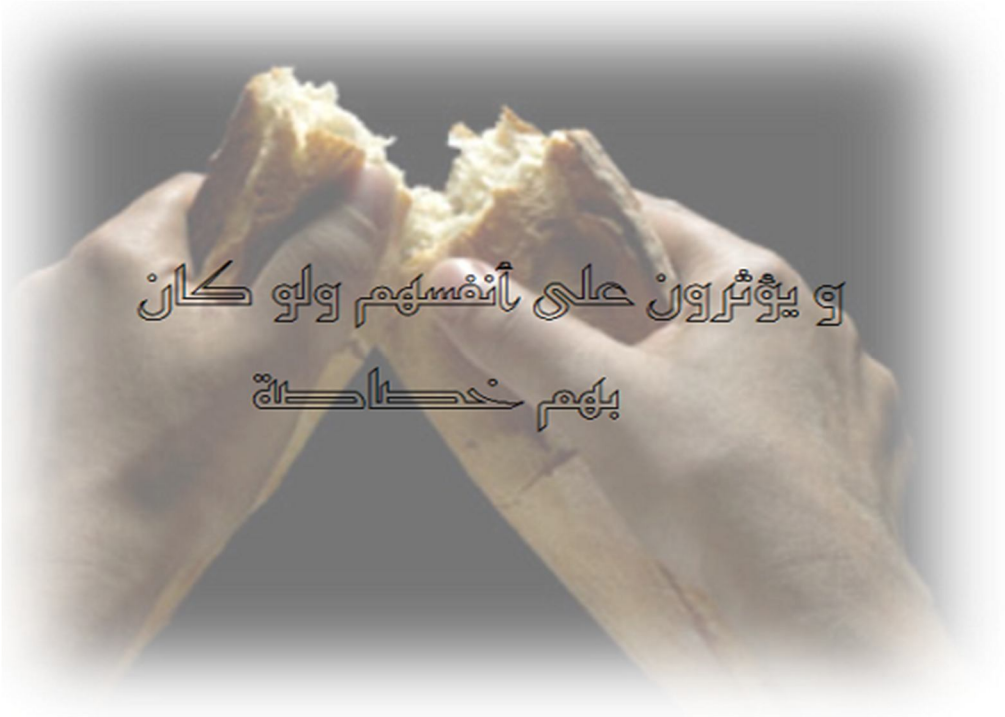

ويؤثرون على أنفسهم فما أَبْعَدَ مَن قَسا قلبُه عن الإيثارقال السعدي:أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم الإيثار.وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة.وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها.ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعا.والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح. ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه

بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه.

ومن أهم الأسباب التي تعين على الإيثار:

١- الرغبة في مكارم الأخلاق، والتنزه عن سيئها، إذ بحسب رغبة الإنسان في مكارم الأخلاق يكون إيثاره؛ لأن الإيثار أفضل مكارم الأخلاق.

٢- بُغض الشُّحِّ، فمن أبغض الشُّحَّ علم ألا خلاص له منه إلا بالجود والإيثار.

٣- تعظيم الحقوق، فمتى عظمت الحقوق عند امرئٍ قام بحقها ورعاها حق رعايتها، وأيقن أنه إن لم يبلغ رتبة الإيثار لم يؤد الحقوق كما ينبغي فيحتاط لذلك بالإيثار.

٤- الاستخفاف بالدنيا، والرغبة في الآخرة، فمن عظمت في عينه الآخرة هان عليه أمر الدنيا، وعلم أن ما يعطيه في الدنيا يُعطاه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه.

٥- توطين النفس على تحمل الشدائد والصعاب، فإن ذلك مما يعين على الإيثار، إذ قد يترتب على الإيثار قلة ذات اليد وضيق الحال أحيانًا، فما لم يكن العبد موطنًا نفسه على التحمل لم يطق أن يعطي مع حاجته.

درجات الإيثار:

لقد قسم بعض العلماء الإيثار إلى مراتب ودرجات، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

الأولى:

أن تُؤْثِرَ الخلقَ على نفسك فيما لا يخْرُمُ عليك دِينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يُفسد عليك وقتًا، يعني أن تُقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل: أن تطعِمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرَى، وتسقيهم وتظمأ، بحيثُ لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلافٍ لا يجوز في الدين، وكلُّ سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثِر به أحدًا، فإن آثرت به فإنما تُؤْثِر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

الثانية:

إيثارُ رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن ، وإيثار رضا الله عز وجل على غيره، هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلْق، وهي درجة الأنبياء، وأعلاها لِلرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا صلى الله عليه وسلم، وعليهم، فإنه قاومَ العالم كله وتجرد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومةُ لائم، بل كان همُّه وعزْمُه وسعيه كله مقصورًا على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتى ظهر دين الله على كل دين، وقامت حجته على العالمين، وتمت نعمتُهُ على المؤمنين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاد، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، فلم ينل أحدٌ من درجةِ هذا الإيثار ما نالَ، صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد جرت سنة الله التي لا تبديل لها أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يُسخط عليه من آثر رضاه، ويخذُله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامدُهُ ذامًّا، ومن آثر مرضاته ساخطًا، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل، وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

قال الشافعي رحمه الله: " رضا الناس غايةٌ لا تدرك فعليك بما فيه صلاحُ نفسك فالزمهُ"، ومعلومٌ أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد أحسن من قال:

فليتك تحلُو والحياةُ مريرَةٌ..... وليتك ترضى والأنامُ غِضَابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ.....وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ.....وكل الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه، فإذا آثرت غيرك بشيء؛ فإن الذي آثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة، إذ هو المُعطي حقيقةً.

مواقف خالدة في الإيثار

ولقد سجل التاريخ بأحرف من نور مواقف خالدة للمسلمين بلغوا فيها المرتبة العالية والغاية القصوى من الإيثار:

١- فهذا سيد الخلق وخاتم النبيين وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم تأتيه امرأة بُبردة فتقول: يا رسول الله أكسوك هذه ؟ فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه ؟ فاكسنيها ، فقال: نعم ، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لَعلِّي أُكفَّن فيها .

٢- وأما أصحابه رضي الله عنهم والتابعون فحدث ولا حرج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يُضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك (أوقديه) ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما، فأنزل الله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)سورة الحشر.

٢- وهؤلاء هم الأنصار يعرض أحدهم على أخيه من المهاجرين أن يناصفه أهله وماله فيأبى المهاجر ويقول:بارك الله لك في أهلك ومالك . لقد غرس النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة الصادقة في قلوب المهاجرين والأنصار، يوم وقف الأنصاري أمام أخيه المهاجر فقال: أخي! هذا مالي بيني وبينك، هذه دنياي! نصفُها لي ونصفها لك، هاتان زوجتاي! انظر إلى أحسنهما أطلقها وهي لك.

٣- وهذا أبو طلحة أكثر الأنصار مالاً وأحب ماله إليه حديقة تسمى بيرحاء يسمع قول الله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آل عمران ، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنًا أنه يتصدق بها لوجه الله تعالى.

٤- وذاك قيس بن سعد بن عبادة يمرض ويتأخر إخوانه عن زيارته فيسأل عنهم، فيقال له: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدَّين، فيقول: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة .

ثم أمر مناديًا ينادي:من كان لقيس عليه مالٌ فهو في حلٍّ .فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة الزوار.

٥- وإن تعجب فعجبٌ أمر هؤلاء الثلاثة الذين آثر كل منهم أخاه بالحياة، فقد قال حذيفة العَدَوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عَمٍّ لي، ومعي شيءٌ من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحتُ به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك ؟ فأشار إليَّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك ؟ فأشار إليَّ أن نعم، فسمع به آخر فقال: آهٍ، فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته، فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين .

٦- اجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي أكثر من ثلاثين رجلا، ومعهم أرغفة قليلة لا تكفيهم، فقطعوا الأرغفة قطعًا صغيرة وأطفئوا المصباح، وجلسوا للأكل، فلما رفعت السفرة، فإذا الأرغفة كما هي لم ينقص منها شيء؛ لأن كل واحد منهم آثر أخاه بالطعام وفضله على نفسه، فلم يأكلوا جميعًا.

٧- صور من أخوة التابعين وإيثارهم على أنفسهم :فهذا إمام من أئمتهم يقول :والله لو جُمِعَت لي الدنيا في لقمة واحدة، وجاءني أخ في الله لوضعتها في فمه ولا أبالي.

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فمر فلم يفعل

ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني ثم مر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال ألحق ومضى فأتبعته فاستأذن فأذن له فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال ألحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فتبسم فقال يا أبا هريرة فقلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة(رواه البخاري وغيره والحاكم وقال صحيح على شرطهما).

٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار(رواه مسلم وصححه الألباني).

١٠- وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه(رواه مسلم وصححه الألباني).

من فوائد الإيثار:

لو لم يكن من فوائده إلا أنه دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام ورفعة الأخلاق لكفى، فكيف وهو طريق إلى محبة الرب سبحانه، وحصول الألفة بين الناس وطريق لجلب البركة ووقاية من الشُّحِّ ؟.

؛؛؛

٣٦- المواساة :

فالمواساة في الاصطلاح الشرعي: معاونة الأصدقاء والمستحقين، ومشاركتهم في الأموال والأقوال. وفي تعريف آخر: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء.وفي تعريف ثالث: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق.

يعني معاونة الأخوة المؤمنين؛ أن تعينهم بمالك، بجاهك، بخدمتك، وببدنك، بالنصيحة والإرشاد، بالدعاء والاستغفار، بالتوجع لهم، إن لم تستطع أن تقدملهم شيئاً من هذه الأشياء فيجب أن تتوجع لهم.

المواساة في الكتاب والسنة

١- أفضل شاهد على ذلك:أن سيدنا عمر في عام المجاعة خاطب بطنه قال: قرقر أيها البطن أو لا تقرقر، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين. فالمواساة: أن تواسي أخاك في مالك، وجاهك، وخدمتك، ونصيحتك، وإرشادك، وبالدعاء، وبالتوجع له.

٢- يقول النبي عليه الصلاة والسلام ممن أقال عاثراً من عثرته، أقال الله عثرته . فأوضح أنواع المواساة: أن تقيل مسلماً من عثرته، وهذا من الأعمال الصالحة الطيبة.

٣- ويقول النبي عليه الصلاة والسلام :وَاللَّهُ فِيعَوْنِ الْعَبْدِ مَا كانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ (أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في سننه).

الله عز وجل شكور، فإذا خدمت عباده، وواسيتهم، أطعمتهم، طمأنتهم، نصحتهم، أقلت عثرتهم، عدت مريضهم، أمددتهم بالمال، فالله في حاجتك، والله في عونك.

٤- قد تجد أخيحًتاج إلى المال فقط، وقد تجد أخاً يحتاج إلى عمل، وقد تجد أخاً يحتاج إلى كلمة طيبة، عنده مشاعر حساسة، هو في موقف ظلم فأحيانًا الكلمة الطيبة تكريم لهذا الأخ، وردّ كرامته له هذه أكبر مواساة، إنسان بالمال، إنسان بتأمين عمل، إنسان برفع معنويات، وإنسان مظلوم أكبر مواساة له أن ترفع عنه الظلم، إذا كان لك جاه، ولك صديق قوي، بإمكانه أن ينصفه، هذه أكبر مواساة، وقد تكون المواساة بأن تشارك الناس في أفراحهم، هذه مواساة.أو أن تشاركهم في أحزانهم، أو أن تضع الدين عنهم، دخله يكفيه، لكن عليه دين، لا يطيق سداده، أو أن تقنع الدائن أن يرجئه في سداد الدين، هذه مواساة .

وبالتعريف الجامع المانع: المواساة: أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وهذا الذي تشير إليه الآية الكريمة :

مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{٢٤٥} البقرة

أنت حينما تواسي أخاً مسلماً، أو أخاً في الإنسانية، أو مخلوقاً، حيوانًا أليفًا مريض، هذه مواساة، أنت حينما تواسي مخلوقاً كأنك تقرض الله قرضاً حسناً، والسداد في الدنيا وفي الآخرة، لأن الله عز وجل شكور، إذا كنت في خدمة عباده كان الله في حاجتك.

أحد أبواب العمل الصالح أن تدخل على أخيك السرور، ما الذي يسره؟ أن تزوره في بيته، أن تلبي دعوته.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت (رواه البخاري وصححه الألباني).

٦- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر أخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أما صاحبكم فقد غامر " فسلم وقال : يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال : " يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا " ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق عليه أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ مرتين فما أوذي بعدها (صححه الألباني).

وفاء النبي بمستوى العقل لا يصدَّق، أنه بعثني الله عز وجل والناس كذبوه، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، وفي رواية: فاحفظوا له ذلك .ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر.

٧- وعن أنس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٨عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم (صحيح الجامع الصغير).

٩- عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني(رواه البخاري وصححه الألباني).

١٠- حديث أبي هريرة مرفرعا من أقال مسلما أقال الله عثرته يوم القيامة(صححه الألباني).

<u>من فوائد المواساة</u>

أنها تورث محبة الله عز وجل، وتورث محبة الخلق، ما قولك أن تجمع بين محبة الله ومحبة الخلق، وتشيع روح الأخوة بين المؤمنين، وتقوي العلاقات بين المسلمين، وتساعد على قضاء حاجات المحتاجين، وسد عوز المعوزين، تدخل السرور على المسلم، وترفع من معنوياته، فيقبل على الحياة مسروراً؟ فالمواساة هي الدين.

والحقيقة: أن الدين معاملة، والدين بذل، والدين عطاء، إنك في دار عمل والآخرة دار جزاء، إنك في دار تكليف والآخرة دار تشريف.

<u>قال ابن القيم في الفوائد</u>

المواساة للمؤمن أنواع، مواساة بالمال، ومواساة الجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، على قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر فقال :ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم به فأحببت أن أواسيهم في بردهم. أنتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

؛؛

٣٧- التعزية :

التعزية في الإسلام هي الأمر بالصبر والحمل عليه، بوعد الأجر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة، وهي مستحبة، ومأجور على فعلها، كما أنها تُهوِّن المصيبة، وتحض على التزام الصبر واحتساب الأجر، وفيها الدعاء للمعزَّى بالتعويض عن مُصابِه، والدعاء للميت بالرحمة والاستغفار.

التعزية في اللغة :مصدر عزَّى، إذا صبّر المصاب وواساه. يقال عزيته تعزية.

والعزاء: الصبر عن كل ما فقدت . تقول: عزيت فلانًاُأعزيه تعزية، أي آسيته، وضربت له الأسى، وأمرته بالعزاء فتعزى تعزيًا، أي تصبَّر تصبراً ، وتعازيالقوم: عزى بعضهم بعضاً .

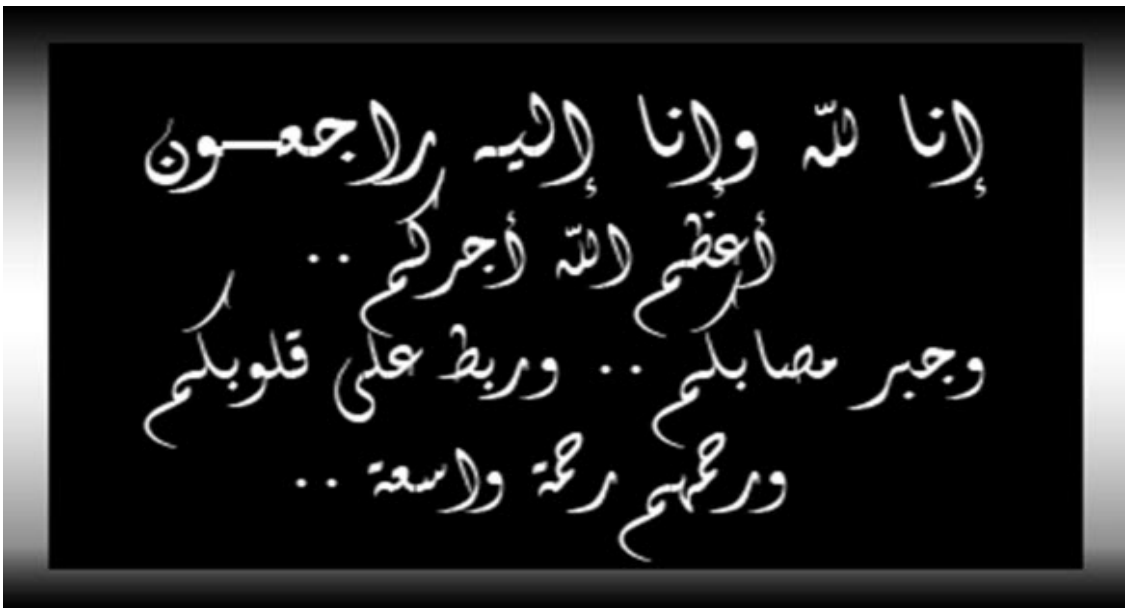

قال الدردير المالكي:وندب تعزية لأهله، وهي الحمل على الصبر بوعد الأجر، والدعاء للميت والمصاب.

قال ابن قدامة:والمقصود بالتعزية: تسلية أهل المصيبة، وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر(متفق عليه) وبالتالى فإن زيارة المسلم لأخيه المسلم من الواجبات التى يجب الحرص عليها، وخاصة في مناسبات الفرح والحزن.

قال تعالى:

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌقَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦}أُوْلَـئِكَعَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧}البقرة

ومن نعمة الله وإحسانه إلينا أنهشرع لنا ديناً حثنا على معالي الأمور ومكارم الأخلاق.فكان من محاسن الإسلام مشروعية العزاء ،وهو مواساة ذوي الميت وتسليتهم وحثهم على الصبر و الاحتساب .كذلك الدعاء للميت والترحم عليه و الاستغفار له.وبالتالى فإنها تخفف ألم المصاب، وتهدِّئ من رَوْعِه وفزعه،وتسكِّنُ حزنه وجزعه.

حكم التعزية:

التعزية مشروعة ومستحبة لمن مات له ميت، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عزى أخاه المؤمن من مصيبة كساه الله حلة خضراء يحبر بها يوم القيامة)، قيل: يا رسول الله، ما يحبر؟ قال: يغبط(حسنه الألباني).

كما اتفق الفقهاء على استحباب تعزية أهل الميت:

قال ابن قدامة: ويستحب تعزية أهل الميت، لا نعلم في هذه المسألة خلافاً إلا أن الثوري قال: لا تستحب التعزية بعد الدفن لأنه خاتمة أمره. قال النووي: قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله: التعزية مستحبة.

الحكمة من التعزية:

التعزية كغيرها من العبادات المشروعة لها حكمة، بل حِكَمٌ كثيرة، قد تظهر لنا، وقد لا تظهر، ولذلك تلَّمس بعض الفقهاء الحِكَم التي من أجلها شرعت التعزية، ومنهم: الصاوي المالكي، حيث ينقل عن ابن القاسم بأن التعزية لها حكم ثلاث:

١- تهوين المصيبة على المعزى، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر واحتسابه الأجر، والرضا بالقدر والتسليم لأمر الله تعالى.

٢- الدعاء بأن يعوضه الله تعالى عن مصابه جزيل الثواب.

٣- الدعاء للميت، والترحم عليه، والاستغفار له.

ويمكن أن نضيف أيضاً منها: هداية أهل الميت بأمرهم المعروف، وتذكيرهم بالله عز وجل وأن الموت آت لا محالة، وأنه يجب الاستعداد للموت والتأهب له، وأن موت قريبكم إنما هو تذكير من الله تعالى لكم بدنو الأجل حتى يستعد المرء للقائه عز وجل، ومنها: نهي أهل الميت عن الوقوع في المحرمات والبدع بعد موت قريبهم..فإن هذا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لمن تكون التعزية:

يستحب أن تكون التعزية لأهل المصيبة جميعهم بلا استثناء، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم إلا الصبي غير المميز، ولا يعزى الرجل المرأة الشابة إلا إذا كانت من محارمه، خشية الفتنة، وينبغي أن يخص خيارهم وذا الضعيف منهم على تحمل المصيبة لحاجته إليها.

فعند الحنفية ما نقله ابن عابدين عن شرح المنية:وتستحب التعزية للرجال والنساء اللاتي لا يفتن وفي الفتاوى الهندية:ويستحب أن يعمم بالتعزية جميع أقارب الميت الكبار والصغار والرجال والنساء، إلا أن تكون امرأة شابة فلا يعزيها إلا محارمها.

وعند فقهاء المالكية: ومنها: ما يذكره الدردير من استحباب التعزية، وأنها مستحبة للمصاب إلا عند الفتنة والصبي غير المميز.

وعند فقهاء الشافعية ما قاله النووي عن الشافعية :يستحب أن يعزى جميع أقارب الميت، الكبار والصغار، الرجال والنساء، إلا أن تكون المرأة الشابة فلا يعزيها إلا محارمها، قالوا: وتعزية الصلحاء والضعفاء عن احتمال المصيبة والصيبان آكد .

أما الحنابلة فقد قال ابن قدامة:

ويستحب تعزية جميع أهل المصيبة كبارهم وصغارهم، ويخص خيارهم والمنظور إليه، ليستن به غيره، وذا الضعف منهم عن تحمل المصيبة لحاجته إليه، ولا يعزى الرجل الأجنبي شواب النساء مخافة الفتنة .

تعزية غير المسلم:

أما بالنسبة لتعزية غير المسلم فإن مبدأ التعزية مشروع، وهو ضمن البر الذي جاء في قوله تعالى:

لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ{٨}الممتحنة

وقرر الفقهاء أن يقاللغير المسلم: أخلف الله عليك، ومن صور المجاملات أن النبي ؟ عاد غلاماً يهودياً كان يخدمه، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فالمجاملات جائزة، ولكن في حدود الشرع.

كان الحسن يقول: إذا عزيت الكافر فقل: لا يصيبك إلا خير.

وكان أبو عبد الله بن بطة يقول: يقال في تعزية الكافر: أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحداً من أهل دينك.

وقال بعض أهل العلم: والصحيح أن للمسلم أن يختار من الأدعية ما يراه مناسباً مما ليس فيه دعاء للميت ولا قوة للحي.

وهناك قول للشافعية، ورواية عن أحمد بالمنع من تعزية الكافر إلا إذا رجي إسلامهم.

حكم قول فلان مرحوم للميت: وقد يجري على بعض الألسنة عند العزاء أو الحديث عن ميت عبارة: المرحوم فلان، فإن كانت العبارة إخباراً عن الميت بأنه مرحوم فذلك لا يصح، لأنه ذهب إلى ربه بما عمل وهو أعلم به، حتى الإخبار عن المسلم بأنه مرحوم هو أمر ظني لا ينبغي أن يؤخذ مأخذ الحقيقة.

وقد وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : كثر الإعلان في الجرائد عن وفاة بعض الناس، كما كثر نشر التعازي لأقارب المتوفين، وهم يصفون الميت فيها بأنه مغفور له أو مرحوم أو ما أشبه من كونه من أهل الجنة، ولا يخفى على كل من له إلمام بأمور الإسلام وعقيدته بأن ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، وأن عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز أن يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من نص عليه القرآن الكريم كأبي لهب، أو شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك كالعشرة من الصحابة ونحوهم، ومثل ذلك في المعنى الشهادة له بأنه مغفور له أو مرحوم، لذا ينبغي أن يقال بدلاً منها: غفر الله له، أو رحمه الله ، أو نحو ذلك من كلمات الدعاء للميت.

أما الدعاء له بالرحمة، فذلك للمسلم جائز إذا مات على الإيمان بأن لم يصدر عنه شيء يكفر به، أما غير المسلم فقد تحدث العلماء عن الاستغفار، أو طلب الرحمة له، في حال حياته أو مماته، فقالوا: إن كان حياً جاز الاستغفار وطلب الرحمة والهداية بالتوفيق إلى الإيمان، وعليه يحمل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن قومه المشركين: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، وذلك على بعض الأقوال التي قالت: إن هذا إنشاء من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس حكاية عن نبي سابق دعا لقومه.

ويحمل أيضاً ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زار عمه أبا طالب في مرضه الذي مات فيه، وعرض عليه الإسلام فأبى، قال: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عن ذلك، فأنزل الله تعالى :

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ{١١٣} وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ{١١٤}التوبة

فالاستغفار للأحياء جائز، لأن إيمانهم مرجو، أما من مات فقد انقطع عنه الرجاء فلا يدعى له. قال ابن عباس: كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت، فأمسكوا عن الاستغفار، ولم ينهاهم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا . فالدعاء لمن مات غير مؤمن، بأن يرحمه الله أو يغفر له، لا يجوز، وقد استأذن النبي ؟ ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له.

ويقال إن الآية خاصة بالموتى المشركين، أما اليهود والنصارى فليسوا كذلك، ولا يقال هذا لأن الله قال في كل من كان على غير الإسلام:

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ{٨٥}آل عمران

وقال في عباد الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ{٦}البينة

ووصف بعض أهل الكتاب أنهم كفار، فقال جل شأنه:

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ{٧٢}لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٧٣}المائدة

وقال تعالى في الكفار جميعاً:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{١٦١} خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ{١٦٢}البقرة

صيغة التعزية: للتعزية صيغ نذكر بعض ما ورد في السنة:

١- عن أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابناً لي قبض فائتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول:إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب ، وفي رواية: وكل شيء عنده بأجل مسمى .

٢- وعن أم سلمة رضي الله عنها حينما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم عقب موت أبي سلمة فقال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه. ومعنى (واخلفه في عقبه في الغابرين) أي:

كن خلفاً أو خليفة له في عقبه، أي: من يعقبه ويتأخر عنه من ولد، في الغابرين: أي الباقين في الأحياء من الناس.

٣- وعن عبد الله بن جعفر حينما عزاه النبي صلى الله عليه وسلم في أبيه فقال :اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه ،قالها ثلاث مرات.

٤- أما رأي الفقهاء في صيغة التعزية نجد ابن عابدين قال: ويقول (أعظم الله أجرك)أي جعله عظيماً بزيادة الثواب والدرجات و (أحسن عزاءك)بالمد، أي جعل سلواك وصبرك حسناً، و(غفر لميتك)بقوله إن كان الميت مكلفاً وإلا فلا.

وقت التعزية:

يكاد يتفق الفقهاء على أن التعزية تجوز في كل وقت أي قبل دفن الميت أو بعده، لأن الأدلة جاءت بالتعزية دون تفريق ودون تحديد لوقتها، هل هو قبل الدفن أو بعده؟ ولأن المقصود والغاية من التعزية هو تسلية أهل الميت، وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم، وهذه الحاجة ظاهرة قبل الدفن وبعده.

إلا أنهم استحبوا التعزية بعد الدفن والعلة في ذلك كما يقول النووي لأن أهله قبل الدفن مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر، فكان ذلك الوقت أولى بالتعزية، وهذا أيضاً ليس على إطلاقه، فإذا ظهر فيهم الجزع ونحوه فإن الأفضل التعجيل بالتعزية ولو قبل الدفن، ليذهب جزعهم أو يخف.

وهذه العلة ذكرها ابن عابدين بقوله وأولها أفضلها، وهي بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون قبل الدفن بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد الدفن لفراقه أكثر، هذا إذا لم ير منهم جزع شديد، وإلا قدمت لتسكينهم.

مدة التعزية:

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : هل يعتبر تخصيص أيام ثلاثة للعزاء لأهل الميت من الأمور المبتدعة، وهل هناك عزاء للطفل، والعجوز، والمريض الذي لا يرجى شفاؤه.. بعد موتهم؟.

فأجاب: التعزية سنة لما فيها من جبر المصاب، والدعاء له بالخير، ولا فرق في ذلك بين كون الميت صغيراً أو كبيراً، وليس فيها لفظ مخصوص بل يعزي المسلم أخاه بما تيسر من الألفاظ المناسبة مثل أن يقول: أحسن الله عزاءك، وجبر مصيبتك، وغفر لميتك؛ إذا كان الميت مسلماً، أما إذا كان الميت كافراً فلا يدعى له، وإنما يعزي أقاربه المسلمين بنحو الكلمات المذكورة.

وليس لها وقت مخصوص، ولا أيام مخصوصة بل هي مشروعة من حين موت الميت، قبل الصلاة، وبعدها، وقبل الدفن، وبعده، والمبادرة بها أفضل في حال شدة المصيبة، وتجوز بعد ثلاث من موت الميت لعدم الدليل على التحديد.

يجب في التعزية بعض الأمور :

١- المسارعة: إذا علم المسلم بوفاة أحد من أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه وجب عليه زيارة أهله لتعزيتهم في مصابهم، والاشتراك معهم في تشييع جنازته؛عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم:حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس.(متفق عليه).

٢- عدم التأخر عن ثلاثة أيام :فإن طرأ عليه طارئ أخَّره عن المسارعة، فينبغي أن تكون الزيارة قبل مضي ثلاثة أيام، ويجب أن يتوجه المسلم بنفسه، ولا يكتفي ببرقية التعزية إلا في حالات الضرورة فقط.

٣- صنع الطعام:يستحب للأقارب والأصحاب أن يصنعوا لأهل الميت طعامًا؛ لأنهم يكونون في شُغْل بمصابهم يمنعهم من إعداده .قال صلى الله عليه وسلم :اصنعوا لأهل جعفر طعامًا فإنه قد جاءهم ما يشغلُهم(الترمذي).

٤- تعزية النساء :تخرج النساء محتشمات غير متبرجات بزينة،ولا يصدر عنهن ما يخالف الشرع؛كشق الملابس ولطم الخدود، والصراخ والعويل؛فكل هذا مما يغضب الله سبحانه ويكون سببًا في تعذيب الميت في قبره إن كان قد أوصى بذلك.

٥- عدم الجلوس للعزاء:على أهل الميت ألا يستقبلوا من يعزونهم في السرادقات من أجل العزاء؛ لأن هذا من قبيل البدع التي لم يقرها الإسلام،وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يؤدون العزاء أثناء تشييع الجنازة في المقابر،أو عند مقابلة أهل الميت في الطريق أو في المسجد.ولا مانع من الذهاب إلى أهل الميت في ديارهم لتعزيتهم مع تخفيف الزيارة، والالتزام فيها بالآداب السابقة، واجتناب ما يفعله الناس من التدخين والحديث فيما لا ينفع، وإنما يقتصر الحديث على كلام الصبر والسلوان ونحو ذلك.

٦- عدم الإسراف في إجراءات تشييع الجنازة:فالمسلم يبتعد عن كل البدع في هذا الأمر، مثل: إقامة السرادقات، وعمل الأربعين، والذكرى السنوية،وغير ذلك من البدع التي انتشرت في بعض مجتمعاتنا الإسلامية.ولكن للأسف ظهرت الكثير من المحدثات فى العزاء،وهى بعيدة عن ديننا الحنيف!!

من البدع في العزاء:

١-صنع أهل الميت طعاما للناس ،وذلك لتقديمه للمجتمعين للتعزية ،فهذا منكر لا يجوز . والوارد في هذا ما ذكرنا من صنع الطعام لأهل الميت قدر كفايتهم وتقديمه لهم لا لغيرهم ،لأن أهل الميت قد شغلوابالحزن على مصابهم عن صنع طعامهم ،فيقدم لهم الطعام وفي صنع أهل الميت طعاما للناس زيادة على مصابهم ، وشغل لهم ،وهو تشبه بأهل الجاهلية لخبر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : كنا – أي معشر الصحابة – نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.رواه الإمام أحمد بإسناد حسن .

٢- ومن البدع المحدثة أيضا: اجتماع المعزين للعزاء ،ومنه ما يعرف بالاجتماع في اليوم الثالث عند أهل الميت ، وقراءة القرآن ، ولإهداء ثوابه للميت. ومن ذلك ما تفعله بعض القبائل بالاجتماع بينها بعد الوفاة مدة ثلاثة أيام .

٣- ومن المحدثات المنكرة في العزاء: ما يحصل من المعزين من عبارات التسخط والاستياء من المصيبةوذلك لإرضاءالمصابين .وهذا عمل قبيح فيه رد لقضاء الله وقدره ، وعدم قبوله فيه أيضاً رد لقضاء الله وقدره ،وقضاؤه وقدره سبحانه وتعالى ماض ولا راد له ،والرضا به واجب على كل مسلم ،والإيمان به ركن من أركان الإيمان .

٤- ومنها ما تفعله بعض النساء من النياحة على الميت ورفع الصوت بالبكاء عليه ولطم الخدود وشق الجيب.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية (رواه البخاري). وقال صلى الله عليه وسلم :النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب (رواه مسلم).

٥- ومنها أيضاً: رفع اليدين في التعزية ، وقراءة سورة الفاتحة .

٦- وأيضاً: التزام ذبح الذبيحة للميت بعد دفنه .

كل هذه البدع منكرة في الشرع المطهر ،وتخالف ما ورد في المشروع في التعزية ،وقد جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد(رواه البخاري). والواجب على كل مسلم أن يحذر من الابتداع في الدين، وأن يسلك طريق الكتاب والسنة ، ولنعلم جميعاً كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة. فليتق الله أولئك الذين تجري بينهم تلك العادات وأشباهها المنكرة .

<u>وبذلك يمكن أن نتوصل إلى النتائج التالية:</u>

١- أن التعزية من الأمور المستحبة التي وردت بشأنها نصوص شرعية تفيد استحبابها، وترتب عليها الثواب والأجر للمعزي والمعزى.

٢-أن المقصود من التعزية تهوين المصيبة على المعزى من أهل الميت، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر، والرضا بقضاء الله وقدره.

٣- التعزية تكون للمسلم عن ميتة المسلم، وللمسلم عن ميتة الكافر، وللكافر عن ميتة الكافر، لأن معنى التعزية وحكمتها تشمل جميع ما ذكر، إلا أنه لا يجوز عند التعزية عن الميت الكافر الدعاء له بالرحمة أو الاستغفار لورود النهي عن ذلك.

٤- التعزية تكون للجميع من أهل المصيبة ذكوا ً وإناثًا، كبارا ً وصغارا ً، إلا أن الفقهاء استثنوا من ذلك الصبي الصغير غير المميز؛ لأنه لا يعقل معنى التعزية، وكذلك الرجل للشابة من غير محارمه، وعللوا لذلك الخوف من الفتنة.

٥- لا يستحب تكرار التعزية، بل ويكتفى بها مرة واحدة، لحصول المقصود، ولذلك نص الفقهاء على كراهة تكرار التعزية، وأنه يكتفى بها مرة واحدة فقط.

٦- تجوز التعزية بأي صيغة شرعية تؤدي الغرض المقصود من التعزية، وهو تسلية المصاب، وحثه على الصبر، وعدم الجزع، والتسخط على قضاء الله وقدره، إلا أن أصح صيغة وردت في السنة هي أن يقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. ومع ذلك يجوز أن يقال: أعظم الله أجرك أو أحسن الله عزاءك، أو نحوها من الألفاظ الشرعية.

٧- التعزية جائزة في كل وقت ، قبل دفن الميت أو بعده إلا أن أكثر الفقهاء يرون بأن الأفضل أن تكون التعزية بعد الدفن؛ لأن أهل الميت مشغولون بتجهيز الميت، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر، ويستثنى من ذلك حال جزع أهل الميت وشدته، فعند ذلك تكون التعزية قبل الدفن أفضل لهذا السبب.

؛؛

٣٨- التبسّم في وجوه الناس :

التبسُّم.. تلك اللغة الإنسانية العالمية، وذلك النوع من أنواع الجمال الراقي، وذاك السلوك الذي يوحي بالتقبُّل، والصفاء، والانشراح، والودِّ الإنساني.والتبسُّم كما يقول علماء اللغة: مبادئ الضَّحِك، وهو انبساط الوجه، وبُدُوُّ الأسنان من سرور النفس، ويُستعمل في السرور المجَرَّد.

قال تعالى:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ{٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ{٣٩}عبس

وهو مختصٌّ بالإنسان، وليس يوجد في غيره من الحيوان، فالتبسم من ثَمَّ جمالٌ من جمال الأخلاق والسلوك الإنساني.

تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقد اتَّصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبسُّم سائر يومه وسائر حياته؛ فكان أكثر الناس تبسُّمًا، وكان يمازح أصحابه ويلاطفهم، ولكنه لا يقول إلاَّ حقًّا، وقد روى عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قالَمَا: رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

كما روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه فقال :مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي.

وكان جُلُّ ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم، فإذا تبسم يفتر عن مثل حَبِّ الغمام.

ويسجل الإمام ابن القيم وصفه صلى الله عليه وسلم في الضحك أنه كان "جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه. وكان يضحكُ مما يُضحك منه، وهو مما يُتعجب من مثله ويُستغرب وقوعُه ويُستندر". ثم يضيف بعد أن سجل الوصف هديه صلى الله عليه وسلم أو فلسفته في الضحك، فيقول: "وللضحك أسباب عديدة، هذا أحدها، والثاني: ضحِك الفرح، وهو أن يرى ما يسرُّه أو يُباشره، والثالث: ضحِكُ الغضب، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتدَّ غضبه، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضبُ، وشعورُ نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكُه لِملكه نفسه عند الغضب، وإعراضِه عمَّن أغضبه، وعدم اكتراثه به.يؤكِّد ذلك ما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذب بردائه جذبةً شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثّرت فيها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي مِنْ مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء. ولم يكتفِ نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بأن يكون قدوة في تحقيق هذا الجمال الإنساني، بل إنه صلى الله عليه وسلم دعا إليه وحثَّ عليه؛ فروى أبو ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ(صححه الألباني)ويعني ذلك أن إظهار البشاشة والبِشْر للآخرين حين لُقياهم فيه أَجْرٌ، كما في الصدقة أَجْرٌ. إنها أفعال بسيطة، سهلة، غير مكلفة ولا مجهدة، ولكنها كأثر السحر في الناس. وهي في الإسلام من (المعروف) الذي هو معنى لكل ما يرضي الله تعالى ورسوله.

روى أبو ذر رضي الله عنه أيضًا قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ(صححه الألباني). أي: بوجه طليق، ومعناه سهلٌ منبسط باسمٌ مشرق.

التبسم طريق إلى القلوب

إن التبسم وطلاقة الوجه أول الطريق للقلوب، ونشر المودة والخير والرحمة بين الناس، بما يصبغ المجتمع بالأمان والإخاء والألفة، ومثل هذا المجتمع هو الذي ينشده الإسلام، وله نزلت الشرائع، ولقد كانت هذه الأشياء البسيطة من الإيمان، وكان المؤمن هو القريب من الناس.

عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس(حسنه الألباني) . والحديث ليس حثًّا على أن يكون المؤمن إلفًا مألوفًا فقط، بل فيه أيضًا التنفير من ضده، أي أنها أمور لا يقبل الإسلام تركها، ولا هي عنده من الزوائد غير الضروريَّة.

الكلمة الطيبة

الكلمة الطيبة في الإسلام ، لكل الناس، وليس لأحد دون أحد، قال الله تعالى في معرض الحديث عن أوامره لبني إسرائيل: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)البقرة ٨٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) صححه الألباني.

يقول الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث: وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير، وسكوتًا عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركا لما يضر.

ويكاد الإمام الفخر الرازي يلخِّص مسألة الكلمة الطيبة في تفسيره لآية (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) إذ يعتبر كل أدب الدنيا والدين داخل تحتها، يقول: قال أهل التحقيق: كلام الناس مع الناس إمَّا أن يكون في الأمور الدينية، أو في الأمور الدنيوية.

فإن كان في الأمور الدينية فإمَّا أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفَّار، أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق.

أما الدعوة إلى الإيمان : فلا بُدَّ أن تكون بالقول الحسن، كما قال تعالى لموسى وهارون(فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)طه ٤٤ . أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى. وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران ١٥٩

وأما دعوة الفسَّاق : فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)النحل ١٢٥ .[وقال تعالى(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت ٣٤

وأما في الأمور الدنيويَّة، فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصُّل إلى الغرض بالتلطُّف من القول لم يحسن سواه.

فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة: ٨٣. وبهذه التعاليم كان على المسلم أن يصبح جميلاً: بسمة، وطلاقة وجه، وكلمة طيبة.

؛؛

٣٩- عيادة المريض :

إن الإسلام دين الرحمة: قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧

وهذه الرحمة تشمل كل نواحي الحياة، ومن أعظم جوانب الرحمة رحمة الإسلام بالضعفاء والمرضى.إن المريض الذي يغالب العلة وتغالبه، ويُصارع السُّقْم ويصارعه، لهو من أكثر الناس حاجة إلى كل ما تستطيعه العلاقات الإنسانية من عون وسلوى، وبثٍّ للعزيمة والأمل والطمأنينة والسرور.

وهناك عند كل مريض تجد باقة من الزَّهْر الندي العَطِر، مهداةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين .

- عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع (رواه مسلم وصححه الألباني) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال أما

علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ (رواه مسلم وصححه الألباني).

فأي صورة من صور الحث والتكريم تفوق هذه الصورة أو حتى تضاهيها؟ وأنى للعلاقات الإنسانية أن تجد لها ضميرًا كهذا الذي تجده في كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الحث على عيادة المريض

-لقد بلغ من عناية الإسلام بالمريض أن جعل عيادته حقًّا من حقوقه على إخوانه المسلمين، ففي الحديث: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض وأتباع الجنازة(صححه الألباني).

- وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بعيادة المرضى: عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني (رواه البخاري وصححه الألباني).

- وعن البراء بن عازب قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام وإجابة الداعي وإبرار المقسم ونصر المظلوم ونهانا عن خاتم الذهب وعن الحرير والإستبرق والديباج والميثرة الحمراء والقسي وآنية الفضة وفي رواية وعن الشرب في الفضة فإنه من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة(متفق عليه).

الرسول صلى الله عليه وسلم يعود المرضى

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بحث المسلمين على عيادة المرضى، بل كان وهو الذي تحمَّل هموم الأمة يعود المرضى، يخفف عنهم ويسليهم. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير.

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم عاد بعض أصحابه حين مرضوا، وثبت أنه عاد غلامًا يهوديًا ودعاه إلى الإسلام فأسلم.

وينبغي أن يتعلم المسلمون هذا الخلق، حتى الكبراء منهم، فإنه لا يعيبهم أن يعودوا آحاد الرعية. وكان السلف رضي الله عنهم يهتمون بعيادة المريض، فكانوا إذا فقدوا الرجل سألوا عنه، فإن كان مريضًا عادوه.

وانظر إلى الإمام الشافعي رحمه الله يبين أثر عيادة المريض على كل من الزائر والمزور:

مرض الحبيب فعُدْته.....فمرضت من حذري عليه

فأتى الحبيب يعودني.....فشُفيت من نظري إليه

آداب عيادة المريض

لعيادة المريض آداب عديدة ينبغي أن تُراعى عند زيارته؛ منها:

١- أن يلتزم بالآداب العامة للزيارة، كأن يدُقَّ الباب برفق، وألا يُبهم نفسه، وأن يغُضَّ بصره، وألا يُقابل الباب عند الاستئذان.

٢- أن تكون العيادة في وقتٍ ملائم، فلا تكونُ في وقت الظهيرة صيفًا ولا في شهر رمضان نهارًا، وإنما تُستحبُّ بكرةً وعشيةً وفي رمضان ليلاً.

٣-أن يدنو العائد من المريض ويجلس عند رأسه ويضع يده على جبهته ويسأله عن حاله وعمَّا يشتهيه.

٤-أن تكون الزيارة غِبًّا، أي يومًا بعد يومٍ، وربما اختلف الأمر باختلاف الأحوال، سواء بالنِّسْبَة للعائد أو للمريض، فإذا استدعت حالةُ المريض زيارتَه يوميًا فلا بأس بذلك، خاصة إذا كان يرتاح لذلك ويبشُّ له.

٥-ينبغي للعائد ألا يُطيل الجلوس حتى يُضجر المريض، أو يَشُقَّ على أهله، فإذا اقتضت ذلك ضرورةٌ فلا بأس.

٦-ألا يُكثر العائد من سؤال المريض، لأن ذلك يثقُل عليه ويُضْجِرُهُ.

٧- من آداب العيادة أن يدعو العائد للمريض بالعافية والصلاح، وقد وردت في ذلك أدعية عديدة منها: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم؛ أن يشفيك (سبع مرات). وأن يقرأ عنده بالفاتحة والمعوذتين والإخلاص.

٨-ألا يتكلم العائد أمام المريض بما يُقلِقُهُ ويُزعجُهُ، وأن يظهر له من الرِّقة واللطف ما يُطيبُ به خاطره.

٩-أن يُوسع العائد للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذِّره من اليأس ومن الجزع لما فيهما من الوزر.

١٠- ألا يكثر عُوَّادُ المريض من اللغط والاختلاف بحضرته، لما في ذلك من إزعاجه، وله في هذه الحالة أن يطلب منهم الانصراف.

١١- يُسنُّ لمن عاد مريضًا أن يسأله الدُّعاء له.

ما يقال عند المريض ويرقى به يستحب لمن عاد مريضا أن يرقيه ويدعو له بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما يلي:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضًا أو ُأتي به إليه قال عليه الصلاة والسلام: أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما (صححه الألباني).

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرُأ على نفسه بالمعوِّذاتِ، وينفُثُ، فلما اشتدَّ وجعُهُ كنتُ أقرُأ عليه، وأمسحُ عنه بيده، رجاءَ بركتها.

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى سقيمنا بإذن ربنا (متفق عليه).

٤- وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعود مسلما فيقول سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا شفي إلا أن يكون قد حضر أجله(رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

٥- وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشي لك إلى جنازة(رواه أبو داود وصححه الألباني).

ثواب العائد

تكفل الله لمن عاد مريضا بالأجر العظيم والثواب الجزيل ، ومن الأدلة على ذلك:

١- عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عاد مريضًا لم يزل في خُرفة الجنة". قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: جناها(صححه الألباني).

٢- حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح اليوم منكم صائما قال أبو بكر أنا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا قال من شهد منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال من أطعم اليوم

مسكينا قال أبو بكر انا قال مروان بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة (صححه الألباني).

٣- عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم يعودُ مسلمًا غُدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشيةً إلا صلَّى عليه سبعُون ألف ملك حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة(صححه الألباني).

٤- وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا(رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني).

نسأل الله جل وعلا أن يشفي كل مريض وأن يعافي كل مبتلى.

؛؛

٤٠- نصرة المظلوم :

لاشك أن المسلم مأمور بنصر إخوانه من المسلمين والمسلمات، كما هو أيضا مطالب بنصرة المظلوم ولو كان غير مسلم.

ومن أدلة نصرة المظلوم ، عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقال رجل يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه(متفق عليه).

وعن البراء بن عازب قال :

أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام وإجابة الداعي وإبرار المقسم ونصر المظلوم ونهانا عن خاتم الذهب وعن

الحرير والإستبرق والديباج والميثرة الحمراء والقسي وآنية الفضة وفي رواية وعن الشرب في الفضة فإنه من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة (متفق عليه).

وهذه النصرة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيشترط لوجوبها ما يشترط لوجوب الأمر والنهي، من القدرة وأمن الضرر المعتبر.

قال النووي أَنَّ الْمَظْلُوم فَمِنْ فُرُوض الْكِفَايَة، وَهُوَ مِنْ جُمْلَة الْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر، وَإِنَّمَا يَتَوَجَّه الْأَمْر بِهِ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخَفْ ضَرَرًا اهـ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب(رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وحسنه الألباني).

وهذا القيد(هم أعز وأكثر ممن يعمل) لا بد من الالتفات إليه عند الحكم بالوجوب، فمن قدر على نصر مظلوم، ولم يخف بسبب ذلك وقوع ضرر محقق أو غالب على نفسه وجب عليه ذلك، وأثم بتركه .ومن فعل ذلك مع خوف الضرر فهو محسن مأجور ما لم تتسبب هذه النصرة في حصول مظالم أعظم ومفاسد أكبر.

نصرة المظلوم قيمة من قيم الإسلام الحنيف غرسها القرآن الكريم في نفوس المؤمنين، وربَّى عليها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وحافظت الأجيال المسلمة على هذه القيمة جيلاً بعد جيل.

نصرة المظلوم من شيم سلفنا الصالح :

إن نصرة المظلوم من شيم الفطرة السوية التي ترق للمظلوم، وتخف لنجدته، وتمقت الظلم، وتنهض لدفعه، وهي كذلك من القيم العربية الأصيلة التي تجلت بوضوح في حلف الفضول الذي تعاهدت فيه قريش ألا يتركوا مظلومًا في مكة، أو فيما يفد إليها من سائر الناس إلا قاموا معه حتى يدفعوا عنه مظلمته، ويردوا إليه حقه، قد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف، وظل يذكره معتزًا به لإقراره هذا المعنى الإنساني الفاضل، فيقول عنه لقد شهدت حلفًا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت(سيرة ابن هشام جـ١) ما يدل على أن الدفاع عن حقوق الإنسان ميدان تعاون رحب بين المسلمين ومخالفيهم في التوجهات والأفكار والعقائد.

وقد أكد مضمون هذا الحلف كذلك قانون الإجارة، وفيه يبسط المجير حمايته على المستجير، ويبذل له نصرته ويذود عن ماله، وعرضه، وحياته ما بقي في جواره ...وقد استفاد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من هذا القانون في أوقات الكرب والشدة، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي بعدما رجع من الطائف، وقد ناله من سفهائهم وصبيانهم أذى كثير، فإذا بالمطعم يحيطه بصفين من أبنائه المدججين بالسلاح، وهم على شركهم، ويتحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاء في حراستهم فلا يجرؤ أحد أن يقصده بأذى.

ودخل عثمان بن مظعون كذلك في جوار الوليد بن المغيرة، فظلَّ في عافية وسلامة حينًا، ثم أبت عليه شهامته الاستمرار على هذا الحال مع ما يلاقيه سائر المسلمين من صنوف الإيذاء والبلاء؛ فردَّ على الوليد جواره علانيةً في المسجد، ثم وقف على أحد الشعراء، فلما سمعه يقول :وكل نعيم لا محالة زائل فقال له :كذبت نعيم الجنة لا يزول ...وعندها هجم عليه أحد الحمقى وضربه على عينه فحضرها ولما رأى الوليد ما أصابه قال :إن كانت عينك لغنية عما أصابها، فيرد عثمان رضي الله عنه في جلد وشموخ :بل إن عيني الصحيحة لفقيرة لما أصاب أختها في سبيل الله.

وقد ظهر هذا المبدأ - نصرة المظلوم- واضحًا في موقف هذا الرهط الشهم الذي سعى في نقض صحيفة المقاطعة الجائرة الظالمة التي علقوها في جوف الكعبة، وأصاب المسلمون منها بلاء عظيم على مدى ثلاث سنوات، وكان كل واحد من هذا الرهط ينادي في الناس مستثيرًا المشاعر الإنسانية فيهم بقوله :أيهلك هذا الحي من قريش بين أظهرنا، كيف يطيب لكم طعام أو شراب وهؤلاء يموتون جوعًا وعطشًا"؛ وبهذا المنطق المؤثر التف أصحاب المروءة حولهم حتى مزقوا الصحيفة وأطلقوا المسلمين من هذا الحصار الخانق.

نصرة المظلوم من مبادئ الإسلام وقيم الشريعة:

وإذا كان هذا شأن العرب قبل الإسلام من الحمية والنخوة، فإن نصرة المظلوم قد ازدادت وجوبًا وتأكيدًا بعد الإسلام دينا وأخوة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل يا رسول الله أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال صلى الله عليه وسلم:تحجزه عن ظلمه فذلك نصره (رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه).

فهذا التوجيه النبوي الكريم قد أكد معنى النصرة، ووسع نطاقها حتى يشمل طرفي المشهد، فيدافعون عن المظلوم، ويأخذون له حقه، ويردون له اعتباره، ويضربون على يد الظالم، وينتزعون فتيل شره، ويوقفونه عند حده.

وقال صلى الله عليه وسلم :المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه(متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما)

وقال صلى الله عليه وسلم :مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى (متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما).

وقال صلى الله عليه وسلم:

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ثم شبك بين أصابعه(متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه).

مواقف وتجارب في نصرة المظلوم:

١- وقد تجسَّد هذا المعنى في مواقف عديدة عبر أيام تاريخنا المجيد، فحين احتال يهودي خبيث خسيس لكشف ساق امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع لم يجد الصحابي الجليل الذي رأى هذا ما يروي غليله سوى قتله، وعندهاثار عليه اليهود فقتلوه رضي الله عنه، وكان هذا سببًا لوقوع غزوة بني قينقاع، وإجلائهم إلى غير رجعة عن هذه البقاع الطاهرة.

٢- وحين صرخت مسلمة في أقصى الأرض :وا معتصماه جهَّز لها المعتصم جيشًا جرارًا لدفع مظلمتها، وتأديب من اعتدى عليها.

٣- بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخف لنصرة مخالفيه في العقيدة؛ التزامًا بميثاق المناصرة المعقودة بينه وبينهم، وهذا ما حدث مع خزاعة حين قدم عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم يشكو اعتداء بني بكر عليهم ومظاهرة قريش لهم، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحال : "نصرت يا عمرو بن سالم"، وانطلقت على إثرها كتائب الفتح الأعظم، فدانت لها مكة بما فيها، فإذا حدث هذا وفاءً بكلمة أعطيت لفصيل من المشركين؛ فماذا يوفي بحق عقد الإيمان وآصرة العقيدة، لا شك أنه أغلى وأولى خاصة، بعدما سمعنا قول الله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَآمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْوَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِاللّهِ وَالَّذِينَ آوَواّْوَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْوَلَمْيُهَاجِرُواْ مَالَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِفَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{٧٢} وَالَّذِينَكَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّتَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ{٧٣} وَالَّذِينَآمَنُواْ وَهَاجَرُواْوَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِاللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاًلَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ{٧٤}الأنفال

كيف تتحقق النصرة؟

١- إن أول مقتضيات النصرة الواجبة للمظلومين أن نشاركهم بمشاعرنا، وأن نعيش معهم بوجداننا مسار التظالم والظلمات الذي يخوضونه موقفًا بموقف . وحين نطوف بخيالنا مع هذه المشاهد تتأثر

الأفئدة، وتلهج الألسنة بالدعاء لهم بالتأييد والإنجاء والتفريج والدعاء كذلك على من ظلمهم.

٢- ومن النصرة كذلك إحاطة أهلهم بالمشاعر الأخوية الصادقة، والقلوب الحانية، ومساندتهم معنويًّا وماديًّا، وتعهدهم بالبر والسؤال والخفة لخدمتهم وقضاء حوائجهم.

٣- ومن النصرة سلوك كل سبيل وطرق كل باب، واتخاذ كل وسيلة -في الإطار الحكيم الرشيد- لتظل قضيتهم حية، وحاضرة.

٤- ومن النصرة كذلك تبني المواقف الداعمة لنصرة المظلومين ومحاربة الظلم، وتأييد الفعاليات التي تتبنى هذه القضية سواء كانوا أفرادًا أم كيانات.

؛؛؛

٤١-الهديّة بين الأصحاب :

الهدية كما عرفها أهل العلم هي عطية بلا اشتراط مقابل، وقد ورد ذكرها والحث عليها في القرآن والسنة، وهي من أعظم الأسباب التي تعين على إزالة ما في النفوس وتحبب المؤمنين بعضهم إلى بعض.

ذكر الهدية في القرآن الكريم

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الهدية، فقالت ملكة سبأ -بلقيس - لما خافت من سليمان عليه السلام، قالت للملأ من حولها:

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ{٣٥}فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ{٣٦}النمل

فأرادت استمالة قلب سليمان لدفع الضرر عنها، وأرادت مصانعته، وأن تثنيه عن دعوته لها ولقومها وتهديدهم لهم، وسليمان لم يقبل الهدية؛ لأنها لم تكن لوجه الله، ولا كان فيها معروف، وإنما أرادت إيقافه عن جهادها، عن الجهاد وقتال هذه البلدة وهي اليمن ، فلما رأى سليمان عليه السلام أن

هذه الهدية ليس فيها خير ولم يرد بها وجه الله ردها ليعلموا أنهم يريدون الجهاد وإقامة الدين، وليست القضية مجاملات وهدايا، كما هي العادة بين الملوك حتى لا ينخدعوا بحطام هذه الدنيا أو يظنوا أننا نغتر بالهدايا أو أننا سنترك الجهاد لأجل هديتهم.

ومما يدخل في الهدية مثل العطية والهبة، أو مما يقرب من معناها ما جاء في قوله تعالى:

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً{٤}النساء

فالله عز وجل أمر بإيتاء النساء المهور ، ومعنى نحلة: عطية عن طيب نفس.

الهدية في السنة

والهدية قد وردت في السنة النبوية، وجاء النص عليها لما لها من الأثر العظيم في النفوس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(تهادوا تحابوا) وقد رواه البخاري في الأدب المفرد وقال ابن حجر : إسناده حسن.

ولا شك أن الهدية سببٌ للمحبة وتآلف القلوب، وكان التابعون يرسلون بهداياهم، ويقول الواحد لأخيه الذي يهديه: نحن نعلم غناك عن مثل ذلك، وإنما لتعلم أنك منا على بال، يعني: نحن نعلم أنك مستغن عن هديتنا، ولكن لتعلم أننا نقدرك وأن لك في أنفسنا مكانة، وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهُم لبعضٍ.....تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هواً ووداً.....وتكسوهُ إذا حضروا جمالا

وقال آخر:

إن الهدايا لها حظٌ إذا وردت.....أحظى من الابن عند الوالد الحدبِ

وقال آخر:

إن الهدية حلوةٌ .....كالسحر تجتذب القلوبا

تدني البغيض من الهوى.....حتى تصيره قريبا

وتعيد مضتغن العداوة.....بعد نفرته حبيبا

جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يقبل الهدية ويثيب عليها) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت(رواه البخاري) .

جاء الأمر بقبول الهدية وعدم ردها إذا كانت لا شبهة فيها ولا حرام، فأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين (فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رد الهدية، وهذا الحديث صححه الألباني.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي عمرشيئاً من العطاء فكان يقول عمر : أعطه من هو أفقر مني يا رسول الله! فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إذا جاءك من هذا المال شيءٌ وأنت غير مستشرف أي: غير متطلع (ولا سائلٍ) ما طلبته (فخذه فتموله) أي: تملكه ، فإن شئت كله وإن شئت تصدقت به، ومالا إذا كان خالياً من هذه الشروط- فلا تتبعه نفسك فإذاً: قوله: (إذا جاءك من هذا المال شيء فخذه) يدخل فيه الهدايا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من آتاه الله شيئاً من هذا المال من غير مسألة فليقبل، فإنما هو رزقٌ ساقه الله إليه) مادام أن المال أتى من غير مسألة، وأنت لست مستشرفاً له، ولا متطلعاً له، ولا متعلقة نفسك به تهفو إليه وترجوه، فخذه ولا ترده، فهذا مال مبارك.

ومن الأدلة أيضاً -أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية- قصة بريرة رضي الله عنها، وجاء في صحيح البخاري عديدٌ من الروايات في هذه القصة، فمنها ما رواه في كتاب الأطعمة، وربما تكون هذه الرواية هي أوضحها وأتمها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوماً بيت عائشة وعلى النار برمةٌ تفور فدعا بالغداء، فأتي بخبزٍ وأدمٍ من أدم البيت فقال: (ألم أر لحماً؟ قالوا: بلى يا رسول الله! ولكنه لحمٌ تُصدق به على بريرة، فأهدته، لنا وأنت لا تأكل الصدق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو صدقة عليها وهديةٌ لنا).

إذاً: المال لما انتقل من شخص اختلف حكمه. من المتصدق إلى بريرة صدقة، ومن بريرة إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام هدية، إذاً: يجوز للنبي عليه الصلاة والسلام أن يأكل منه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أتي بطعامٍ سأل عنه: أهديته أم صدقة؟ فإن قيل صدقة قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل؛ -لأنه لا يليق بمقام النبوة أن يأخذ من صدقات الناس وأوساخهم- وإن قيل: هدية، ضرب بيده صلى الله عليه وسلم فأكل معهم) رواه البخاري في كتاب الهبة.

إذاً: النبي عليه الصلاة والسلام كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، والسبب في ذلك كما تقدم، وهذه آيته عليه الصلاة والسلام في الكتب المتقدمة، أنه كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، والكتب المتقدمة كانت فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم.ولا شك أن هناك فرقاً بين الهدية والصدقة، فالهدية نوع من الكرامة، ومن باب حسن الخلق، وتتألف بها القلوب، وكان عليه

الصلاة والسلام يأكلها؛ لأنها من باب الإكرام ولا يردها؛ لأجل ألا يغضب الذي أهدى، أو يصبح في نفسه عليه شيء، فلا شك أن في أخذ الهدية تألفاً للقلوب وإبلاغاً له بأن إكرامك مقبول.

أما الصدقة من اليد العليا إلى اليد السفلى فلا تليق بمقام النبوة، وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولو كانت قليلة ويسيرة، ولذلك قال: (ولو أهدي إلي ذراعٌ أو كراعٌ لقبلته) والكراع: ما دون الكعب، وما عليه إلا اليسير من اللحم، لكن لو أهدي إليه لقبله عليه الصلاة والسلام ولم يحتقر شيئاً، وبذلك أوصى نساء المؤمنين فقال: (يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فرسن شاة) والفرسن: هو في الأصل اسمٌ لخف البعير، فاستعير للشاة فهو ظلفها، ولم تجر العادة بإهداء ظلف الشاة، لكن ذكره على سبيل المبالغة، أي: اقبل الشيء اليسير من الهدية ولا ترده، فأحياناً قد يهدي إليك أخ شيئاً يصنعه بيده من الأوراق التي لا قيمة لها في الحقيقة، فاقبله تطييباً لخاطره وقلب

كان من كريم خلقه صلى الله عليه وسلم أنه إذا جاءته الهدية، أشرك فيها من معه، أو من حوله، كما جاء في كتاب الرقاق في صحيح البخاري، دخل عليه الصلاة والسلام فوجد لبناً في قدح فقال :من أين هذا اللبن؟ فقالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةٌ، فقال :أبا هر ! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا مال ولا على أحدٍ.

كان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها...) الحديث.

إذاً كان هذا من كريم خُلقه عليه الصلاة والسلام، من كرمه أنه كان إذا جاءته الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين، وكان من حضره يعطيه، وإذا أهديت إليه باكورة الثمر -أو الثمار- كان يعطيها لأصغر القوم سناً وهم الأطفال.

وكان صلى الله عليه وسلم يتألف بهداياه القوم، وربما كان رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام أو في قلبه شيء على الإسلام وأهله، أو على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يعطيه حتى يرضيه. ومن الأحاديث الجميلة التي وردت في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه

وسلم :أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه ولا يلزم أن يلبسوها؛ لأن لبس الحرير للرجال حرام لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم، أو كما فعل عمر حين أهداها لأخٍ له مشرك بمكة.

أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه، وعزل منها واحدة لمخرمة بن نوفل ، فجاء ومعه المسور بن مخرمة فقام على الباب فقال: ادعه لي - وكان صاحب جفاء وغلظة- فسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته فأخذ قباءً فتلقاه به واستقبله بأزراره فقال: يا أبا المسور !خبأت هذا لك، يا أبا المسور !خبأت هذا لك، وكان في خلقه شدة أي :أبو المسور.وقد كان ابنه المسور بن مخرمة من كبار رواة الأحاديث.

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الهدايا في أقربائه، وكان عنده من الوفاء لذكرى زوجته خديجة ما يستخدم الهدية فيه لإحيائه، والتدليل على أنه باقٍ في نفسه ذكرى تلك المرأة الطيبة التي ساعدته بمالها ودافعت عنه بنفسها، وكان أولاده منها، وأن ذكراها الطيبة لا زالت موجودة وحية، فكان إذا ذبح الشاة يُهدي لصديقات خديجة رضي الله عنها. وكان صلى الله عليه وسلم يكافئ على الهدية، كما جاء في الحديث (كان يقبل الهدية ويثيب عليها) ولا شك أن هذا من السنن الجميلة -المكافأة على الهدية- وذلك حتى :

١- لا يبقى له منةٌ عليك.

٢- أو أن تبادله محبة بمحبة

٣-أو أن تُظهر له أنك كافأته على جميله بجميل، وأنك لم تنس الجميل، وأنه صنع إليك معروفاً فصنعت إليه معروفاً مقابله، ولا شك كما قلنا أن الهدية الأصل فيها هو التبرع، وأن الذي يهدي لا يشترط المكافأة. وقد تكلم العلماء في حكم المكافأة على الهدية، وقال بعض أهل العلم: إن المكافأة على الهدية لا تجب، إذا أهداك شخص هدية لا يجب أن تكافئه عليها. وقال بعض المالكية: تجب المكافأة على الهدية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، لكن مجرد فعله عليه الصلاة والسلام لا يدل على الوجوب.

جعل بعض العلماء الناس في الهدايا على ثلاث طبقات:

أولها : هبة الرجل إلى من هو دونه، فهي إكرامٌ وإلطاف لا تقتضي الثواب والمكافأة بالمثل، فإذا استلمها هذا الأدون لا يستلزم ذلك أن يرد بهديةٍ مقابلها.

وثانيها : هبة النظير إلى نظيره.

وثالثها: هبة الأدنى إلى الأعلى، إذا أهدى الأدنى للأعلى فإنه يكون من المؤكد في حق الأعلى أن يثيبه، وذلك بما جرت به العُرف والعادة.

حكم الإثابة على الهدية مستحب؛ لأنه ورد في السنة.

إذا أهداك إنسان هدية يُسن لك أن تهديه أخرى، وخصوصاً عندما يكون الذي أهداك أقل منك منزلة أو سناً -مثلاً- والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه).

وقد أهدى أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فعوضه صلى الله عليه وسلم ستة، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) فالهدية على الهدية من شكر الناس.

فقد دخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه) الهدية على الهدية، وجاء في قوله عليه الصلاة والسلام: (من أُعطي عطاء فليجز به إن وجد، وإن لم يجد فليثن به، فإن من أثنى به فقد شكر، ومن كتمه فقد كفره، ومن تشبع بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور).

وهذا الحديث حسنه الترمذي وصححه ابن حبان، وإذا لم يجد شيئاً، فأقل شيء أن يدعو لمن أهدى له الهدية، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وحسنه: (من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء، وأجزل له في العطاء). وينبغي كذلك على المدعو له أن يبادل الدعاء بدعاء، كأن يقول له: وجزاك، أو وإياك، ونحو ذلك، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فقال:

اقسميها، فكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول: ما قالوا؟ عندما ترسل عائشة الهدية أو العطية مع الخادم إلى شخصٍ آخر أو بيت ناس، تسأل الخادم إذا رجع، تقول له: ماذا قال أهل البيت لما أعطيتهم ما أرسلنا به إليهم؟

فيقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم، فتقول عائشة : وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثلما قالوا، ويبقى أجرنا لنا.

أما بالنسبة لمن يُستحب أن يهدي إليهم الإنسان ويبدأ بهم، فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الهبة أن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أعتقت وليدةً لها -جارية- فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام :لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك، يعني لو أعطيتها بعض أخوالك، كان أعظم لأجرك من العتق؛ لأنهم قد يكون بهم حاجة، فإعطاؤها إياهم أحسن وأكثر أجراً.

وكذلك من الضوابط في مسألة الإهداءات أن نبدأ بمن جاء في صحيح البخاري في كتاب الشفعة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابًا ، فالجار الأقرب يُبدأ به في الهدية؛ لأن الإنسان قد تكون مقدرته محدودة على الإهداء، ليس عنده هدايا كثيرة تسع الجميع، فيبدأ بالأقرب بابًا بالنسبة لهدايا الجيران.

وكذلك من الأحوال التي يتأكد فيها الإهداء: إذا احتاج الناس، إذا كانت هناك حاجة كما جاء في صحيح البخاري في كتاب المغازي: أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهصنع طعاماً فلما أوشك على النضج جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله! طعيمٌ لي -طعيم: تصغير طعام، أي: هو قليل- فقم أنت يا رسول الله! ورجلٌ أو رجلان عندي طعيم لو تأتي أنت ورجل أو رجلان قال: كم هو؟ فذكرت له كم هو مقدار الطعام، فقال: كثيرٌ طيب.

ثم قال: قل لها -يعني لزوجتك التي تطبخ الطعام- لا تنزعي البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: قوموا، ومن حوله كان المهاجرون والأنصار، فقام المهاجرون والأنصار، والرجل يريد واحداً أو اثنين أو ثلاثة بالكثير، فالنبي عليه الصلاة والسلام نادى المهاجرين والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك -مصيبة- جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار، فقالت المرأة -وكانت فقيهة-: هل سألك عن مقدار الطعام؟! قلت: نعم.

فاطمأنت، لأنه ما دام يعلم أن الطعام قليل ومع ذلك دعاهم، فلا بد أن يكون هناك سبب، فلما دخلوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادخلوا ولا تباغطوا - فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقيت بقية، فقال عليه الصلاة والسلام للمرأة: كلي هذا واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة).

إذا تأكد أن الهدية احتاج الناس إليها وصارت حاجة، فيكون إرسالها فيه أجر عظيم.

وبالنسبة لبعض الهدايا التي يتأكد عدم ردها: ما كان غير ذي مئونة ولا فيه كلفة، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عُرض عليه ريحانٌ فلا يرده؛ لأنه خفيف المحمل طيب الرائحة (رواه أحمد وأبو داود ، وصحح إسناده في صحيح الجامع الصغير) .

الأشياء اليسيرة يتأكد عدم ردها.

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رد هدايا بعض المشركين، وقال -أيضاً- في الحديث الصحيح: وايم الله! لا أقبل بعد يومي هذا من أحدٍ هدية إلا أن يكون مهاجراً قرشياً أو أنصاريًا أو دوسياً أو ثقفياً). والسبب أن أعرابياً وهب النبي عليه الصلاة والسلام ناقة فأثابه النبي صلى الله عليه وسلم عليها، فقال: (أرضيت؟ قال: لا. فزاده حتى عوضه ست بكرات) هذا الأعرابي كأنه يريد بالهدية أن يأخذ أكثر منها.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه العبارة الشديدة: أنه هم ألا يقبل هدية إلا من هؤلاء الأحياء من العرب، قال: إن فلانًا أهدى إلي ناقةً فعوضته عنها ست بكرات، فظل ساخطاً، ولقد هممت ألا أقبل هديةً إلا من قرشي أو أنصاريٍ أو ثقفيٍ أو دوسي(رواه أحمد والترمذي) .

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: إن رجالاً من العرب يهدي أحدهم الهدية فأعوضه منها بقدر ما عندي، ثم يتسخطه فيظل يتسخط فيه عليّ، وايم الله! لا أقبل بعد مقامي هذا من رجلٍ من

العرب هدية إلا من قرشيٍ أو أنصاريٍ أو ثقفي أو دوسي . لأن هؤلاء لا يفعلون هذه الأفاعيل، هؤلاء الأربعة الأحياء من العرب معروفون بجودة الأخلاق، فالواحد منهم لا يلجأ إلى هذه الأساليب الملتوية، ثم يتسخط إذا أُعطي رداً عليها.

فالإنسان إذا أحس أن الشخص يُريد بالهدية إحراجه، فإن له أن يردها، وإذا كانت الهدية من حرام، فإنه يجب ردها.

وإن كانت فيها شبهة فإنه يستحب له أن يردها، وإذا كانت رشوة، فإنه يجب عليه أن يردها، كأن يكون موظفاً صاحب منصب ولولا وظيفته ما أعطي الهدية.

إذا اشتم منها رائحة التهمة أو الرشوة أو الريبة فإنه يردها.

فإذاً هناك بعض الحالات التي يجب فيها رد الهدية، أو يستحب فيها رد الهدية. كذلك لو أهداك إياها فاجر فاسق، أو كافر يريد بالهدية أن يبقى له منةٌ عليك، حتى إذا قابلك انكسرت عينك وذلت نفسك له، ففي هذه الحالة لا تقبلها، لكن إذا جاءتك الهدية سليمة نقية ما فيها شائبة ولا ريبة ولا شبهة ولا حرمة فاقبلها ولا تردها، وربما قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا وهو لا يحبها، لا يحبها من جهة نفسه؛ لأن نفسه لا تشتهيها لكن يأخذها إكراماً لصحابها، كما جاء في كتاب الهبة في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن عباس قال: أهدت أم حفيدة خالة ابن عباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقطاً وسمناً وأضباً -جمع ضب- فأكل النبي من الأقط والسمن وترك الضب تقذراً -نفسه تعافه؛ لأنه لم يكن بأرض قومه، لم يكن من طعام قريش- وأكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان حراماً لما أكل على مائدته.

يأخذ الإنسان الطعام ولو كانت هذه الآكلة لا تعجبه، فيأخذها ويعطيها إلى أناس آخرين.

بعض الأحيان قد يطبخ جيرانك طعاماً، ويهدوك منه، وأنت لا يعجبك هذا النوع من الطعام مطلقاً، فلا غضاضة عليك لو أخذته وطيبت خاطرهم بأخذه، ثم أعطيته بعض الفقراء أو العمال أو المساكين، أو الناس الآخرين فهم يأكلونه أو يستفيدون منه. وإذا أراد الإنسان أن يُهدي أخاه هدية، فإنه يتحرى أحسن الأوقات والأماكن، ليهدي إليه حتى تصبح أعظم، وحتى تصبح أوقع في

النفس، والدليل على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض.

وقالت عائشة: كان الناس يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذاً: الهدية إذا كانت في يوم مُفضل أو ساعة أو مكان معين أو ظرف معين عند المهدى إليه تكون أوقع في النفس وأحسن، فهذا من آداب الهدية.

وقد حدثت قصة طويلة في هذا الباب رواها البخاري رحمه الله في كتاب الهبة وفي كتاب المناقب، وملخص هذه الهدية أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحبي - تقول عائشة - إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة! والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار -لا يتقصدون عائشة - قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشة، فإنه -والله- ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها. وهذا من فضلها رضي الله عنها.

وجاء في رواية أخرى: أنهن وسطن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر ، فكلمته فقال: يا بنية! ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى. فرجعت إليهن فاطمة ثم أنه ليس من المناسب للنبي عليه الصلاة والسلام أن يقول: يا أيها الناس! أهدوني في بيت فلان وفلان.

فعلى أية حال: النبي عليه الصلاة والسلام كان يُحب أن يهدى إليه وهو في بيت عائشة؛ لأنه يحب عائشة رضي الله عنها، وأن تأتيه الهدية في هذا البيت يكون موقعها أجمل وأحسن.

أو من أسباب تنغيص عيشه في بيته مع زوجاته، وقد جاءت قصة حفصة مع النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من

أحدهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، تقول عائشة: فغرت، لماذا أطال عند حفصة أكثر من المعتاد؟ فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكّة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له، وجاءت قصة العرفط والمغافير التي حصلت من حيلة عائشة رضي الله عنها، فالإنسان على أية حال يحتاج أن ينتبه إلى مسألة الغيرة بين الزوجات، ولا يكون هو سبب الشر، أو يكون هو مفتاح الشر.

من آداب الهدية أن الإنسان إذا رد الهدية لسبب يبين للشخص الذي ردها له ما هو السبب، مثال: روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عباس عن الصعب بن جثامة الليثي : أنه أهدى لرسول صلى الله عليه وسلم حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بودان- هذا موضع بين مكة والمدينة -صاده، فرده عليه النبي عليه الصلاة والسلام وكان محرماً صلى الله عليه وسلم، فلما رأى ما في وجهه قال :إنا لم نرده عليك إلا أننا حرمٌ، وقد يقال: ألم يقبل من أبي قتادة الهدية وهو محرم؟ فقد جمع العلماء بين هذين الحديثين وقالوا: إن الصيد إذا صِيْدَ للمحرم -صيد لأجله- فإن عليه أن يرده؛ لأن المحرم لا يأكل الصيد، لا يصيد ولا يأكل الصيد الذي صيد لأجله، لكن إذا لم يصد لأجله جاز له أن يأكل، فأبو قتادة لما صاد حمار الوحش عندما لما تضاحك المحرمون من رفقائه والتفتوا ورأى الصيد وصاده، ما صاده لأجل النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان بعيداً عنه، فهو صاده لأجل نفسه، وأهدى للنبي عليه الصلاة والسلام وأكل النبي صلى الله عليه وسلم. فالفرق بين القصتين أن ما صيد لأجل المحرم لا يُؤكل، وإذا كان لم يُصد لأجله جاز للمحرم أن يأكل منه.والشاهد الذي أورد الحديث من أجله هنا فهو تبيان أن الإنسان إذا رد الهدية لسبب، فإنه يُطيب خاطر المهدي بتبيان السبب.

وكذلك من الأمور التي تتعلق بالهدية والتي ذكرها أهل العلم: إذا مات المهدى إليه قبل وصول الهدية، فلمن هي؟ هل ترجع للمهدي؟ أو هي لورثة المهدى إليه؟

فالإمام أحمدرحمه الله سُئل عن ذلك، فقال مجيباً عن هذا السؤال: إن كان حاملها - لما حصل الموت- رسول المهدي رجعت إلى المهدي، وإن كان حاملها رسول المهدى إليه فهي لورثته.ةفإذا حصل الاستلام من المهدى إليه أو من رسوله أو ولده دخلت في ملكه وإلا فلا.

والهدايا للوالدين لا شك أنها من أعظم الهدايا؛ لأن بر الوالدين واجب، ويتقرب الإنسان إلى الله بالهدية للوالدين أكثر من غيرهما، أما هدية الوالدين للأبناء فإنها تتعلق بها أحكام، فلا يجوز للأبوين أن يفضلا أحد الأولاد أو بعض الأولاد على بعض دون مسوغ شرعي، كأن يكون أعطاه هبةً لفقره أو لأنه تزوج، أو لأنه مريض يحتاج إلى علاج، أو لأنه نجح في الدراسة ولم ينجح بقية إخوانه، أو لأنه حفظ سورة لم يحفظها بقية إخوانه، فإذا كانت لسبب شرعي فلا بأس بذلك، ولو لم يعط بقية الإخوة، لكن ينبغي عليه أن ينوي في نفسه أنه لو مر أحدٌ من الأولاد الآخرين بالظرف نفسه الذي مر به هذا الولد الذي أعطاه أن يُعطيهم مثلما أعطاه.

ولا يجوز له أن يميز أحد الأولاد على بعض، كأن يُعطي هدية أو عطية أو هبة لولدٍ دون آخر دون سببٍ شرعي، فالراجح أنه حرام لا يجوز، ويكاد يكون هذا هو مذهب الإمام أحمد رحمه الله خلافاً لجمهور العلماء.

وقد نصر ذلك ابن القيم نصراً مؤزراً في تهذيب السنن في شرحه على أبي داود وذكر أدلة الفريقين ورجح المذهب القائل بعدم جواز أن يميز الأب ولداً من أولاده بعطية أو هدية أو هبة دون مسوغٍ شرعي، وحديث(اذهب فأشهد على هذا غيري، فإني لا أشهد على جور) ونحو ذلك من ألفاظ الحديث كلها تدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام رفض أن يشهد على عطية النعمان وتمييزه عن بقية إخوانه.

ولذلك التمييز بينهم حرامٌ، ولا شك أنه من الأسباب التي تولد الضغائن بين الأولاد، أن يميز الأب واحداً منهم بشيء، والله سبحانه وتعالى قال :

آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً)النساء:١١

وبقي في موضوع الهدية بقية، وخصوصاً الكلام على الفرق بين الهدية والرشوة؛ لأنها مهمة في خِضم الحياة التي نعيشهافأقول أيضاً أيها الإخوة: إن الهدية العلمية الشرعية والنصيحة من أعظم ما يُهدى للإنسان المسلم. ويدل على ذلك ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن عيسى أنه سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال :ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا:

يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، فإذا أهديت لإنسان معلومة دينية شرعية فلا شك أن هذه من أعظم ما يُهدى.

ومن الأمور والأحكام المتعلقة بالهدية ذكرنا هدية المحبة والمودة، وهدية الوالدين.

الراجح أنه لا يجوز أخذ الهدية على الشفاعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن: من شفع لأخيه شفاعةً فأهدى له هديةًعليها فقبلها منه، فقد أتى بابًا عظيماً من أبواب الربا.

ولعل من الحكم من وراء هذا الأمر -وهو عدم جواز أخذ الهدية على الشفاعة والواسطة الحسنة- أن الجاه نعمة من الله ينبغي أن يُستخدم في خدمة عباد الله مجانًا بدون مقابل، وينبغي أن يتسارع إليه الناس المستطيعون، لنصرة حقٍ أو رفع ظُلم، ولا ينبغي لمن ساهم بجاهه في جلب حقٍ أو دفع ظلم أن يأخذ مالاً على ذلك، حتى لا يتكاسل الناس عن هذه المسألة، ويشترطون الأجر، فيقول أحدهم: لا أتوسط لك إلا بمقابل.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: الهدية لمن يشفع له بشفاعة عند السلطان ونحوه لا يجوز أخذ الأجرة عليها. وقال بعض الفقهاء: لا يجوز أخذ العوض مقابل الدفع عن المظلوم، وإنه يجب أن تُقضى له الحاجة مجانًا.

وقال ابن الجوزي : يجب على الولاة إيصال قصص المظلومين وأهل الحوائج، وقال: والواجب كف الظلم عنهم بحسب القدرة، وقضاء حوائجهم التي لا تتم مصلحة الناس إلا بها من تبليغه للسلطان حاجاتهم، وتعريفه بأمورهم، ودلالته على مصالحهم، وصرفه عن مفاسدهم، بأنواع الطرق اللطيفة وغير اللطيفة.

لا يجوز أخذ المقابل على هذه الشفاعة وخصوصاً إذا كانت لجلب حقٍ أو دفع ظُلم.

وقد أفتى ابن تيمية رحمه الله -في مسألة أخذ العوض أو الهدية على قضاء الحاجة- بعدم الجواز، وقال: هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الكبار، ولما سئل ابن مسعود عن السحت قال:إنما

السحت أن يستعينك على مظلمةٍ فيهدي لك فلا تقبل. يقول: تعال ادفع عني هذه المظلمة فإذا أهدى لك هدية لا تقبل؛ لأنه سحت، لو قبلتها فهذا سحت.

وعن مسروق أنه كلم ابن زيادفي مظلمة فردها، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفاً فرده ولم يقبله، وقال مسروق : سمعت ابن مسعود يقول: من رد عن مسلمٍ مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم، قال: ذلك كفرٌ نعوذ بالله من ذلك ، أي: أشد وأشنع، أي: الرشوة للقاضي أشد وأشنع ليحكم بغير الحق والصواب.

وجاء نصرانيٌ إلى الإمام الأوزاعي وكان يسكن بيروت فقال: إن والي بعلبك ظلمني وأريد أن تكتب فيَّ إليه، وأتاه بقلة عسل -هدية معه- فقال له: إن شئت رددت عليك قلتك وأكتب إليه؟ وإن شئت أخذتها ولا أكتب؟ -أنت بين أمرين إما أن تأخذ هديتك وأكتب لك ، وإلا لا أكتب لك ولا أقبل هديتك- فقال النصراني: بل اكتب لي وارددها، فكتب له أن ضع عنه من خراجه، فشفّعه الوالي فيه، وحط له عن جزيته ثلاثين درهماً . أي: كان قد أخذ أكثر من الجزية الشرعية.

لذلك لا ينبغي الاستعانة بالهدايا على قضاء الحوائج وتيسير المهام؛ حتى لا تتوقف الأمور على ذلك وتضيع المروءات والأخلاق بين الناس، ويكون التعامل بينهم على أساس مادي، فيضيع باب الاحتساب ويضعف الوازع الديني عند الناس.

وكذلك من الأشياء التي لا ينبغي قبول الهدية فيها مطلقاً: الهدية مقابل حفظ الأمانة، كأن يستودع أحد عندك أمانة ثم جاء فأخذها كاملة فأعطاك هدية فلا تأخذها منه، إلا بنية أن تكافئه عليها، حتى يبقى أجرك عند الله موفوراً، وحتى لا تصبح قضية حفظ الأمانات بين الناس مقابل هدايا ومكافآت، وينبغي أن يُسعى في قضاء الحوائج للناس ابتغاء الأجر من الله سبحانه تعالى، وينبغي أن يبذل المسلم جاهه بدون مقابل؛ لأن الجاه زكاة مثل المال.

ولذلك فإن الذي يُعطي شخصاً مالاً وهو مضطر، أعطاه إياه؛ لأنه ما عنده طريقة أخرى يصل بها إلى حقه أو يدفع الظلم عن نفسه، فيجوز له أن يدفعها؛ لأنه مضطر، لكن لا يجوز للآخر أن

يأخذها، وإنما يستخدم جاهه في مساعدته، أما إذا كانت الهدية لإحقاق باطل، أو إبطال حق فلا شك أنها محرمة تحريماً عظيماً.

ما بالنسبة للحاكم، فإنه لا يأخذ شيئاً مطلقاً، ولذلك قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين! مالك لا تقبل الهدية وكان رسول صلى الله عليه وسلم يقبلها؟ فقال عمر رضي الله عنه ورحمه: إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، وإنها اليوم رشوة.

كانوا يهدونه لنبوته يتقربون بها إلى الله، لكن نحن لماذا يهدوننا؟! لسلطاننا وإمرتنا، ولذلك قال: هي رشوة، فإذاً: لا يجوز له أخذها من الرعية.

أما بالنسبة لمسألة قبوله هو لهدايا من ملوك الأرض -مثلاً- كما أهدى النجاشي وأكيدر دومة الجندل وغيرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء، فقبلها عليه الصلاة والسلام، فإن كان فيها مصلحة للمسلمين أخذها، وهذا الباب فيه تفصيل، لكن لعلنا لا نحتاج إليه في هذا المقام والزمان.

أما بالنسبة للعمال وهم الموظفون العاملون، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر الحكم صريحاً فقال :هدايا العمال غلولأي: سرقة وحرام وسحت، من هم العمال؟ موظفو الدولة عموماً، كل من تولى ولاية عامة، أو في مكان له علاقة بالناس يقضي لهم المعاملات، فإن هذا الموظف لا يجوز له أخذ الهدية من الناس أبداً، وحديث ابن اللتبية واضح جداً لما جاء يحاسب النبي عليه الصلاة والسلام قال :هذا مالكم وهذا هدية قال: هذه الزكوات جمعتها لكم وهذه أعطوني إياها هدية - فغضب النبي عليه الصلاة والسلام غضباً شديداً وخطب الناس وقال: أما بعد :فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذه هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟! والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله عز وجل يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاةً تيعر، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت؟.

وفي رواية: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً...أي: يقول: لو لم تكن موظفاً عندنا وكنت في بيت أبيك وأمك هل كانت تأتيك الهدية؟ لو كنت صادقاً اقعد في بيت أبيك وأمك وانتظر الهدية.

لذلك كانت كل هدية تأتي للموظف بسبب وظيفته حرامٌ عليه أخذها؛ لأنها رشوة، وهذه مسألة صريحة لا تحتاج إلى نقاش، ويقع بسبب قبول الموظفين في الأماكن العامة للهدايا من المراجعين والناس فسادٌ عظيم.

وعن سليمان بن يسار : أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر هذا موظف النبي عليه الصلاة والسلام أرسله إلى يهود خيبر لأجل الخرص؛ لأن بينهم صُلح ولا بد أن يؤدوا أشياء معينة ونسبة معينة، قال:

فجمعوا له حلياً من حلي نسائهم -اليهود- فقالوا: هذا لك، وخفف عنا وتجاوز القسط، رشوة واضحة من إخوان القردة والخنازير، خذ هدية وخفف عنا ، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود! والله لأنكم من أبغض خلق الله إليّ وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم يقول: أنتم أبغض خلق الله إليّ وربما ما فعلتموه الآن معي يزيدني عليكم حنقاً وبغضاً، لكن مع ذلك لن أجور عليكم في القسمة فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وما أخذ ولاة الأمور وغيرهم من مال المسلمين بغير حق، فلولي الأمر العادل استخراجه منهم، كالهدايا التي يأخذونها بسبب العمل، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (هدايا العمال غلول) أي: خيانة.

فلذلكلا يجوز للموظف أخذ الهدية من الناس مطلقاً، إلا إذا كانت هدية لا علاقة لها بالوظيفة أبداً، مثل هدية شخصية، أبوه أهداه هدية، أو أخوه، لا علاقة له بأنه موظف أو غير موظف، فهنا في هذه الحالة يأخذها، لكن أن يأخذ من عامة الناس ومن المراجعين فهذا حرام وسحت ولا يجوز.

وقد تكون الهدية بأشكال كثيرة، كأن يقول صاحب ورشة لشخص: هات أصلح لك السيارة، هات نراعك فيها، هات نعطك أثاثًا بنصف السعر، فهذا كله سحت، حرام سواءً كان بشيءٍ مادي، أو خصم، أو خدمة مثل إصلاح سيارة أو تأجيرها، أو أشياء مجانية، لشخصه هو فهي

حرام، ولا يجوز للآخر أن يدفعها، وإعطاء الهدية للموظف في الجوازات أو الشرطي أو لشخص في المرور حرام مطلقاً، وذكرنا استثناء في موضوع دفع الظلم عن نفسه وهي قضية أخرى.

أما بالنسبة لقبول الهدايا من الكفار، فإنه قد وردت نصوص أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ هدايا من الكفار، مثلما أخذ -مثلاً- من أكيدر دومة الجندل.

وكذلك قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدية اليهود لما أهدوه الشاة التي وضعوا فيها السم، ووردت أحاديث بمنع أخذ الهدية منهم، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نقبل زبد المشركين) وزبد المشركين: هو عطاؤهم وهداياهم، فكيف جمع العلماء بين هذه الأحاديث؟

قال بعضهم: إن أحاديث المنع ناسخة، والأخذ منسوخة. وقال بعضهم: أحاديث الأخذ ناسخة، وأحاديث المنع منسوخة. وقال بعضهم: إنه إذا أُهدي إليه عليه الصلاة والسلام خاصةً لا يقبل، وفيما أهدي للمسلمين يقبل، لكن هذا فيه نظر، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قد أُهدي هدايا خاصة، فقد أهداه المقوقس ملك الإسكندرية بغلة ومارية القبطية له خاصة، فهذا قد لا يكون جوابًا صحيحاً أو راجحاً.

وقال بعض العلماء: إذا كان الذي أهداه قصد الموالاة فيردها، وإذا كان الذي أهداه يُرجى بقبول هديته تأليفه إلى الإسلام وتأنيسه فيأخذها، وهذا جمعٌ جيد.

وقال بعضهم: إن كانت من أهل الكتاب قبلها، وإن كانت من أهل الأوثان لم يقبلها، وقال بعضهم: إن كانت من المحاربين لم يقبلها وإن كانت من غير المحاربين قبلها، فلعل الراجح إن كانت من غير المحاربين ومن غير أهل الأوثان من أهل الكتاب، الذين يراد بقبول هديتهم تأليفهم، فيقبل وإلا فلا.

ما حكم أن نهدي المشرك؟

فالجواب: إذا كان المشرك محاربًا فلا يجوز إهداؤه؛ لأنه لا يوجد بيننا وبينه إلا السيف، وإذا كان غير محارب فالله يقول لا(يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[الممتحنة:٨] .

كانت أم أسماء مشركة، فلما رغبت في صلتها قال لها النبي عليه الصلاة والسلام: (صلي أمك) والوصل عام يمكن أن يكون بالهدايا أو بغير الهدايا ، والصلة عامة لهذه الأم المشركة.فإذاً : يجوز أن نهدي المشرك خصوصاً إذا أهديناه لأجل تأليف قلبه، ودعوته إلى الله.

ما حكم إهداء الكفار في مناسباتهم الدينية مثل الأعياد؟

الجواب: لا يجوز ذلك مطلقاً ؛ لأنه مشاركة وإقرار ولا ينبغي إظهار الفرحة، أو مشاركتهم بفرحتهم مطلقاً مهما كانت، وأصحاب أبي حنيفة يشددون في ذلك جداً ، حتى قالوا في بعض كتبهم: من أهدى إليهم يوم عيدهم بطيخة بقصد تعظيم عيدهم فقد كفر.

؛؛؛

٤٢- إكرام الضّيف :

إن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون،واتصف بها الأجواد كرام النفوس، فَمَنْ عُرِفَ بالضيافة عُرِف بشرف المنزلة، وعُلُوِّ المكانة، وانقاد له قومُه، فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام، إلا كان من كمال سُؤدده إطعام الطعام، وإكرام الضيَّف، كما قال ابن حِبَّان يرحمه الله: (والعرب لم تكن تعدُّ الجودَ إلا قِرَى الضَّيف، وإطعام الطعام، ولا تعدُّ السَّخيَّ من لم يكن فيه ذلك).

وقد حثَّنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على إكرام الضيف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلْيكرم ضيفَه(رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي شُرَيحٍ خُويْلد بن عمرو رضي الله عنه قال: أبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعتْهُ أذناي حين تكلم به، قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفَهُ جائزتَهُ، قالوا: وما جائزتُه؟ قال: يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدَقةٌ عليه(رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية أخرى عنه أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الضيافةُ ثلاثة أيام، وجائزتُه يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يُؤثمه، قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمُهُ؟ قال: يقيم عنده ولا شيء له يقْرِيه به(رواه مسلم).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: إن لزَوْرِك عليك حقًّا(رواه البخاري ومسلم).

ويقر النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: إن لضيفك عليك حقًّا (رواه الترمذي).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تبوك فقال: ما من الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه، فيجاهد في سبيل الله، ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل في غنمه يقري ضيفَهُ ويؤدِّي حقَّهُ(رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهودٌ (المجهود من أصابه الجهد والمشقة والحاجة والجوع). فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي

بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهنَّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق. فقال: من يُضيف هذا الليلة رَحمه الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحْلِهِ فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا إلا قُوتُ صِبياني. قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السِّراج حتى تُطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة (رواه البخاري ومسلم).

فانظر إلى هذا الكرم كيف رفع منزلة أهل هذا البيت حتى أخبر الله نبيه خبرهم وعجب من صنيعهم!!.

قال الشاعر:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البِنَا ..... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا

وإن كانت النعماءُ فيهم جزَوا بها ..... وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

وعلى المضيف عدم احتقار القليل، بل يجود بالموجود ولو بشق تمرة، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احتقار القليل.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا نساء المسلمات، لا تحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسنَ شاةٍ(صححه الألباني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ينقلب، فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج العُكَّة (وعاء من جلد يوضع فيه السمن والعسل)، ليس فيها شيءٌ فنشُقُّها، فنلعق ما فيها.

قال ابن حبان يرحمه الله: يجب على العاقل ابتغاء الأضياف، وبذل الكِسَر؛ لأنَّ نعمة الله إذا لم تُصَن بالقيام في حقوقها، ترجع من حيثُ بدأتْ، ثم لا ينفع من زالت عنه التَّلهُّف عليها، ولا الإفكار في الظَّفر بها، وإذا رأى حقَّ الله فيها، استجلب النماء والزيادة، واستأخر الأجر في القيامة، واستصغر إطعام الطعام.

وعنصر قِرَى الضيف هو تركُ استحقار القليل، وتقديم ما حضر للأضياف؛ لأن من حقر منع من إكرام الضيف بما قدر عليه، وترك الادخار عنه، وقد سئل الأوزاعيُّ – رحمه الله – ما إكرامُ الضيف؟ قال: طلاقةُ الوَجْهِ، وطيبُ الكلام.

فننظر إلى فقه هذا الإمام الذي جعل إكرام الضيف في طلاقة الوجه، وطيب الكلام، ونقارن ذلك بحال أهل زماننا، فالضيافة عند أكثرهم هي بتكثير الطعام، حتى إنك تجد كثيرًا من الناس من يمتنع عن القِرَى لعدم وجود اللحم في حال وجود الضيف، والقاصد لوجه الله يجود بالموجود، ولا يتكلف التكلف الذي هو فوق الطاقة، وأما ما دون ذلك فلا بأس به، بل هو محمودٌ لقول الله سبحانه وتعالى – في شأن إبراهيم خليله لما أتاه الأضياف –{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} [الذرايات:٢٦] وقال تعالى: {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود:٦٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلةٍ فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأتهُ المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمدُ لله، ما أحدٌ اليوم أكرَمَ أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك والحَلُوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا.

ومن تمام الضيافة أن تفرح بمقدم ضيفك، وتظهر له البشر، وأن تلاطفَهُ بحسن الحديث، وتشكرَه على تفضله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغِنى وبشاشة الوجه؛ فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى، وقد نظم بعضهم هذا الكلام بأبيات فقال:

إذا المرءُ وافى منزلاً منك قاصدًا ..... قراكَ وأرمَتْهُ لديك المسالكُ

فكن باسمًا في وجهه مُتهللا ..... وقل مرحبًا أهلا ويومٌ مباركُ

وقدم له ما تستطيع من القِرَى .....عجولاً ولا تبخل بما هو هالِكُ

فقد قيل ببيتِ سالفِ مُتقدّمِ ..... تداولهُ زيدٌ وعمرو ومالكُ

بشاشةٌ وجْه المرء خيرٌ من القِرَى ..... فكيف بمن يأتي و هو ضَاحِكُ

وقال آخر:

الله يعلم أنه ما سرني ..... شيء كطارقة الضيوف النزل

مازلت بالترحيب حتى خلتني ..... ضيفًا لهم والضيف رب المنزل

أخذها من قول بعضهم:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ..... نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وقال سيف الدولة ابن حمدان:

منزلنا حب لمن زاره.....نحن سواء فيه و الطارق

وكل ما فيه حلال له ..... إلا الذي حرمه الخالق

قال ابن حبان يرحمه الله: ومن إكرام الضيف طيبُ الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمةُ بالنفس فإنه لا يَنِلُّ من خدَم أضيافه، كما لا يعِزُّ من استخدمهم، أو طلب لِقَراه أجرًا. وكرام الناس وسادتهم يقضون هذا الحق، فيقبلون على ضيوفهم، ويرفعون من قدرهم، ويُعلون من منزلتهم، والتقربُ تجُّملُ الحديث، والبسطُ ، والتأنيسُ ، والتلقّي بالبشر من حقوق القِرَى ، ومن تمام الإكرام.

وقالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أوَّلِ وهْلةٍ، وإطالةُ الحديث عند المأكلة.

وقال حاتم الطائي:

سَلِي الجائعَ الغَرْثان يا أُمَّ مُنذرٍ .....إذا ما أتاني بَين ناري ومجْزري

هل أبسطُ له وبجهي إنه أولُ القِرَى .....وأبذل معروفي له دُونَ مُنْكَرِي

وقال آخر:

وإني لطلق الوجه للمبتغي القِرَى .....وإن فنائي للقِرى لَرَحيبُ

أضاحك ضَيفي قبل إنزال رَحْلِهِ ..... فيخصبُ عندي والمكانُ جديبُ

وما الخَصْبُ للأضياف أن يكثر القِرَى ..... ولكنَّما وجُهُ الكريم خصيبُ

وإذا كان معك أكثر من ضيف، فأقبل على كُلِّ واحدٍ منهم بوجهك، ولا تخصَّ أحدًا دون الآخر بحديثك، أو شيء من ضيافتك، وحاول أن تلتمس رضى كل واحد منهم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس لضيوفه، فقد كان يعطي كل واحدٍ من ضيوفه نصيبَهُ، ولا يحسبُ ضيفُهُ أن أحدًا أكرمُ عليه منه.

قال الشاعر:

أتاك رسول المكْرُمات مسلمًا ..... يريد رسول الله أعظمَ مُتَّقي

فأقبل يسعى في البساط فما دَرَى .....إلى البحر يسعى أم إلى الشمس يَرتقي

اعلم أن العبوس وإبداء الضيق، وكثرةَ الدخول والخروج لغير حاجة، ونهر الأطفال أو الخادم بحضرة الضيوف – دليل الشُّحِّ، وأمارةُ البخل، والموتُ خيرٌ من إجابة دعوة بخيل، كما قيل:

وللموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ ..... يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ

رزقنا الله وإياكم نفوسا كريمة سخية ، ووجوها باسمة ندية ، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأجواد سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي التنزيل العزيز قال تعالى: (قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) ٦٨ سورة الحجر .

أما الأداب التي يجب أن يراعيها المضيف مع ضيفة فهي تعجيل الطعام ، لأن ذلك من إكرام الضيف ، قال حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إطعام الضيف ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب .

إذا عزم على ضيفه بالطعام فاعتذر فأمسك عنه بمجرد الاعتذار وكأنه تخلص من ورطه ، كان ذلك علامة على بخله وسوء تصرفه ، بل لا يقول لضيفه : هل أقدم لك طعاما ؟ فإن ذلك علامة البخل أيضا ، بل عليه أن يقدم الطعام ، وكما قال الثورى : إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل ؟ أو أأقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع. ألا يبخل بمائدة ، أو يوارى بعض الطعام .

حكى عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل ، فرفع الخبز ، وأراد أن يرفع العسل ، فدخل الضيف قبل أن يرفعه ، فظن الرجل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز ، فقال له : ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال : نعم ، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقه ، فقال له هذا البخيل ، مهلاً يا أخى والله أنه يحرق القلب ، قال : نعم صدقت ولكن قلبك.

ومن الآداب التي يراعيها المضيف كذلك :

- ألا يرفع المائدة قبل أن يأخذ الضيف كفايته من الطعام.

- وكذلك لا يشبع قبله ثم ينصرف ويتركه لأن ذلك يحرج الضيف ، بل حتى لو كان شبعانا أن يشاركه أو حتى يوهمه بالمشاركه و محادثة الضيف بما يميل إليه نفسه .

- ولا ينام قبله.

- ولا يشكو الزمان بحضوره .

- كما لا يكلف نفسه فوق ما يطيق .

- وكذا من السنة تشييع الضيف إلى باب الدار.

ولقد قيل : الضيف دليل الجنة .

وقال شقيق البلخى : ليس شئ أحب إلى من الضيف لأن مؤنته على الله تعالى ومحمدته لي .

وقال يحيى بن معاذ : لو كانت الجنة لقمة فى يدى لوضعتها فى فم ضيفى.

وعن علي قال : لأن أجمع إخوان على صالح طعام أحب إلىّ من أن أعتق رقبة ، وكان الصحابة يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق.

وليس الغرض من الطعام هو الأكل فى حد ذاته ، بل الغرض هو الإجتماع فى المأدب ليحصل الأنس ، كما أوجبت الشريعة على الناس أن يجتمعوا فى مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد وليحصل لهم هذا الأنس الطبيعى. لذا كان الاجتماع على الضيافة فرصة لتعلم آداب الإسلام الخاصة بالضيف والخاصة بالمضيف .

؛؛

٤٣- معاشرة الزوجة بالمعروف :

جعل الله تعالى للرجل حق القوامة في الحياة الزوجية، فقال تعالى:

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً }النساء٣٤

فهو يتحمل مسؤولية الكيان العائلي، بالمبادرة الى تأسيسه حيث يطلب يد الفتاة، ويدفع المهر، ثم هو المتكفل بالانفاق على متطلبات الحياة للأسرة ,وهو المتصدى لحمايتها والدفاع عنها .

وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة ,فالرجل في موقعية تتيح له التزام هذه المسؤولية وتحملها، من حيث قوته الجسدية، وطبيعته النفسية المؤهلة أكثر لتحمل المشاق والأعباء، وتوفير نفقات الحياة . بينما تمتاز المرأة برقة الجسد ونعومته، وبما تمتلك من فيض الحنان والعاطفة، الذي يؤهلها للقيام بدور

الأمومة العظيم .فهناك امتيازات وخصائص متقابلة بين الزوجين، فليس هناك امتياز مطلق لأحدهما على الآخر، بل نقاط قوة عند كل منهما تجاه الآخر، وبمشاركتهما وتكاملهما تتحقق سعادتها ويؤديان دورهما الإنساني الاجتماعي .

وقوامة الرجل على المرأة في الحياة الزوجية تكليف قبل أن تكون تشريفا، وفي مقابل الواجبات الملقاة على عاتقه تجاهها، تكون له بعض الصلاحيات وأهمها أن حق الطلاق بيده، ما لم تشترط هي في العقد وكالتها عنه في طلاق نفسها، حيث تشاركه بموجب هذا الشرط في حق الطلاق . وللزوج حق الاستمتاع وهي تشاركه في ذلك، لكن صلاحيته أوسع، كما أن له التحكم في أمر خروجها من المنزل على تفصيل، لكن هذه الصلاحيات الممنوحة للرجل من خلال موقع القوامة في الحياة الزوجية، لا يصح أبدا ان تتحول الى تسلط وقهر، والى استضعاف للمرأة وإساءة لكرامتها، ولأن ذلك كثيرا ما يحدث من بعض الأزواج تجاه زوجاتهن، فقد جاء التأكيد في آيات عديدة، واحاديث كثيرة، على اهمية مراعاة حقوق الزوجة المادية والمعنوية، والتعامل معها باحترام واحسان .

وتؤكد أكثر من آية في القرآن الكريم أن تعامل الزوج مع زوجته يجب أن يكون في اطار المعروف ,وتكرر ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف).

(فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان).

(فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه).

(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

(وعاشروهن بالمعروف).

(فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف).

والمعاشرة بالمعروف تعني ان تكون مخالطة الرجل ومعاملته لزوجته بأسلوب لائق منسجم مع تعاليم الشرع وأعراف المجتمع .

وقال الشيخ السعدي النجدي في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن": "وعاشروهن بالمعروف" وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة ,ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الاحوال .

أما في السنة الشريفة فقد وردت أحاديث وروايات كثيرة توصي الأزواج بحسن المعاشرة مع زوجاتهم، ففي صحيح البخاري عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (استوصوا بالنساء خيرا)

وقال: (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله).

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم).

الاحترام المتبادل :

المعاشرة بالمعروف بين الزوجين تعني شيئين:

اولا: أن يؤدي كل منهما للآخر حقوقه ضمن المستوى المتعارف في المجتمع، وليس ضمن الحد الأدنى، فنفقة الزوجة مثلا، تكون حسب المتداول لمثيلاتها في المجتمع .

وثانيا :الاحترام المتبادل مما يرتبط بالجانب المعنوي، فلا يجوز إيذاء الزوجة بجرح مشاعرها أو إهانتها وإذلالها بغير حق، كما لا يجوز للزوجة خدش احترام زوجها وكرامته .ولا يقف الأمر عند حدود التحريم الشرعي واستحقاق الإثم عند إيذاء الزوجة، بل أقر الإسلام إجراءات رادعة، للانتصاف للمرأة وحماية حقوقها، إذا كان الزوج معتديا مسيئا، لأن الدين لا يسمح أن تبقى المرأة مستضعفة فريسة لاضطهاد الزوج غير الملتزم بأوامر الله تعالى .

فاذا كان الزوج يؤذي زوجته ويشاكسها بغير وجه شرعي، جاز لها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعي، ليمنعه من الإيذاء والظلم، ويلزمه بالمعاشرة معها بالمعروف، فان نفع وإلا عزره بما يراه - من توبيخ أو ضرب أو ما أشبه - فان لم ينفع أيضا كان لها المطالبة بالطلاق، فان امتنع منه ولم يمكن اجباره عليه طلقها الحاكم الشرعي .

والآيات القرآنية واضحة في أن الحالة المشروعة المقبولة للحياة الزوجية هي المعاشرة بالمعروف، وإلا فهو إنهاء العلاقة والتسريح باحسان (فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف). وأن الله سبحانه أوجب على الزوج معاشرة زوجته بالمعروف فقال سبحانه: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. {النساء:١٩}.

قال الجصاص: أمر للأزواج بعشرة نسائهم بالمعروف، ومن المعروف أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والقسم، وترك أذاها بالكلام الغليظ والإعراض عنها، والميل إلى غيرها وترك العبوس والقطوب في وجهها بغير ذنب، وما جرى مجرى ذلك، وهو نظير قوله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان). انتهى.

فإن استجاب لك فاحمدي الله جلا وعلا على نعمة الهداية، وإن لم يستجب لك فأنت بالخيار بين أن تصبري عليه مع إدامة نصحه ووعظه وبين أن تطلبي منه الطلاق، ولكن إن أصر ولم تجد معه النصيحة فالأفضل تركه وطلب الطلاق منه.

جعل الله تعالى للرجل حق القوامة في الحياة الزوجية، فقال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم). فهو يتحمل مسؤولية الكيان العائلي، بالمبادرة الى تأسيسه حيث يطلب يد الفتاة، ويدفع المهر، ثم هو المتكفل بالانفاق على متطلبات الحياة للأسرة، وهو المتصدى لحمايتها والدفاع عنها .وهذا ما تشير اليه الآية الكريم، فالرجل في موقعية تتيح له التزام هذه المسؤولية وتحملها، من حيث قوته الجسدية، وطبيعته النفسية المؤهلة اكثر لتحمل المشاق والأعباء، وتوفير نفقات الحياة .بينما تمتاز المرأة برقة الجسد ونعومته، وبما تمتلك من فيض الحنان والعاطفة، الذي يؤهلها للقيام بدور الأمومة العظيم .

؛؛؛

٤٤- الإنفاق على الزوجةو الأولاد :

فإن من حق المرأة على زوجها أن ينفق عليها وعلى أولاده بالمعروف، وقد حث الإسلام الزوج على الإنفاق على بيته ووعده الأجر على ذلك.

فعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك(متفق عليه).

كما أن الزوجة مؤتمنة على مال زوجها ومسؤولة عنه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها(رواه البخاري ومسلم).

ولا يحق للمرأة أن تأخذ شيئاً من مال زوجها بغير إذنه ما دام ينفق عليها وعلى أولاده بالمعروف، أما إذا كان الزوج شحيحاً بالنفقة، فإن للمرأة حينئذ أن تأخذ من ماله بغير إذنه بالمعروف، فعن عائشة رضي الله عنها: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله؛ إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف(رواه البخاري ومسلم).

وعلى ذلك؛ فإنه يجوز لك أن تأخذي من مال زوجك دون علمه ما تحتاجينه لك أو لولدك بما يعد في العرف في حدود الكفاية لكم، اعتباراً بحالك وحال زوجك. أما ما تدخرينه بعلمه، فالأصل أن ما يعطيه لك حكمه حكم الهبة، وعليه.. فإذا حزته فلك الحق في التصرف فيه ولو بدون علمه.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأحمد من تقديم الأهل على قرابته حيث قال عليه الصلاة والسلام :أنفقه على أهلك ثم على قرابتك ثم ههنا وههنا ،يعني تصدّق به. فالحاصل أن القدرة على الإنفاق شرط في النفقة على الأقارب ، ومعنى القدرة أن يكون لديه فاضل عن كفايته وكفاية أهله ـ أي زوجته أوزوجاته ـ ثم بعد ذلك تأتي نفقة الأقارب.

بقول النبي صلى الله عليه وسلم:كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول. وقدوضع الإسلام حقوقاً للزوجة يجب على الزوج تنفيذها وأداءها ، وهي ضرورية لاشاعة الاستقرار والاطمئنان في أجواء الأُسرة ، وإنهاء أسباب المنافرة والتدابر قبل وقوعها.

ومن حقوق الزوجة على زوجها : حق النفقة ، حيث جعله الله تعالى من الحقوق التي يتوقف عليها حقّ القيمومة للرجل ، كما جاء في قوله تعالى:

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... }النساء٣٤

فيجب على الزوج الإنفاق على زوجته ، وشدّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الواجب حتى جعل المقصّر في أدائه ملعونًا ،فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت(رواه أبو داود والنسائي والحاكم إلا أنه قال من يعول وقال صحيح الإسناد وحسنه الألباني).

والنفقة الواجبة هي الإطعام والكسوة للشتاء والصيف وما تحتاج إليه من الزينة حسب يسار الزوج والضابط في النفقة القيام بما تحتاج إليه المرأة من طعام وأداء وكسوة وفراش وغطاء واسكان واخدام وآلات تحتاج إليها لشربها وطبخها وتنظيفها ويقدم الإطعام والكساء على غيره من أنواع النفقة ، فعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال: أن تطعمها إذ طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت قال أبو داود ولا تقبح أن تقول قبحك الله(حسنه وصححه الألباني).

؛؛؛

٤٥- إفشاء السّلام :

إن إفشاء السلام هو مفتاح القلوب، فإذا أردت أن تُفتح لك قلوب العباد فسلم عليهم إذا لقيتهم وابتسم في وجوههم، وكن سباقًا لهذا الخير يزرع الله محبتك في قلوب الناس وييسر لك طريقًا إلى الجنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاثٌ يُصْفِين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

السلام تحية أهل الجنة:

ويكفي أن السلام هو تحية أهل الجنة الذين لا يختار الله تعالى لهم إلا ما هو أكمل وأحسن شيئ.

فقد قال الله عز وجل عن أهل الجنة: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ} [الأحزاب:٤٤]

وقال سبحانه وتعالى: {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً} [الواقعة:٢٦]

وقال: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ} [إبراهيم:٢٣].

السلام حق المسلم على أخيه:

إن إلقاء السلام ورده أحد الحقوق التي كفلها الشرع للمسلم على أخيه المسلم. أما إلقاء السلام ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه(صححه الألباني).

وأما رد السلام ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: خمسٌ تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز(صححه الألباني).

إفشاء السلام سبب العلو ورفعة الدرجات:

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفشوا السلام كي تعلوا(صححه الألباني).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه مَن هو خيرٌ منهم وأطيب(صححه الألباني).

إن الذي يبدا الناس بالسلام هو أقرب وأحب إلى الله ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: إن أولى الناس بالله مَن بدأهم بالسلام(صححه الألباني).

من آداب السلام:

١- أن يكون التسليم بصوت مسموع يسمعه اليقظان ولا ينزعج منه النائم، فعن المقداد رضي الله عنه قال: كنا نرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه من اللبن فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان.

قال الإمام النووي رحمه الله: أقلُّه أن يرفع صوته بحيث يسمعه المُسَلَّمُ عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتيًا بالسنة.

٢- أن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد، والقليل على الكثير. وفي لفظ: "يسلم الصغير على الكبير ..." الحديث (صححه الألباني).

٣- أن يعيد إلقاء السلام إذا فارق أخاه ولو يسيرًا لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه(صححه الألباني).

٤- أن يسلم على أهل بيته عند الدخول عليهم كما سبق.

٥- عدم الاكتفاء بالإشارة باليد أو الرأس، فإنه مخالف للسنة، إلا إذا كان المسلَّم عليه بعيدًا فإنه يسلم بلسانه ويشير بيده ولا يكتفي بالإشارة.

٦- السلام في بداية المجلس وعند مفارقته لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة(صححه الألباني).

٧- أن يسلم على الصبيان إذا لقيهم اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه دليل على التواضع والرحمة، كما إن فيه تربية الناشئة على تعاليم الإسلام وغير ذلك من الفوائد.

٨- البشاشة وطلاقة الوجه والمصافحة.

٩- الحرص على السلام بالألفاظ الواردة في السنة، وعدم الزيادة عليها أو النقصان، أو استبدالها بألفاظ أخرى (صباح الخير، أو يعطيكم العافية) والمحذور أن تكون هذه الألفاظ بديلة للسلام، أما إن سلَّم السلام الوارد في السنة ودعا بعد ذلك بما شاء فلا بأس.

١٠- ألا يبدأ كافرا بالسلام فإن سلم عليه أحد من أهل الكتاب قال: وعليكم.

سلام الرجل على المرأة والعكس:

ذكر أهل العلم أن الرجل يسلم على المرأة الأجنبية ويرد عليها السلام، وكذا المرأة تسلم على الرجل وترد عليه السلام بشرط أمن الفتنة وعدم المصافحة وترك الخضوع بالقول، فإذا لم تؤمن الفتنة ترك إلقاء السلام ورده أيضا.

فيا أيها الحبيب هل بعد كل ما سبق بيانه من فضائل السلام نبخل به مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أبخل الناس من بخل بالسلام؟ وهل نختص به من نعرف من الناس فقط مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن خير الإسلام أن يطعم المسلم الطعام ، وأن يقرأ السلام على من عرف ومن لم يعرف؟!.

جاء في البخاري عن عمار رضي الله عنه قال: ثلاثة من جمعهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

والسلام سبب لمغفرة الذنوب لقول نبينا صلى الله عليه وسلم : إن من موجبات المغفرة بذلَ السلام ، وحسن الكلام (الطبراني وصححه الألباني).

عرف الصالحون فضل هذه العبادة فحرصوا عليها وأكثروا منها فعن الأغر أغر مزينة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لي بجريب من تمر عند رجل من الأنصار ، فمطلني به ، فكلمت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :«اغد يا أبا بكر فخذ له تمره». فوعدني أبو بكر المسجد إذا صلينا الصبح ، فوجدته حيث وعدني ، فانطلقنا ، فكلما رأى أبا بكر رجلٌ من بعيد سلم عليه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل ؟ لا يسبقك إلى السلام أحد . فكنا إذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا (رواه الطبراني في الكبير).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفرق بيننا شجرة ، فإذا التقينا يسلم بعضنا على بعض (رواه الطبراني).

وفي موطأ مالك أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَخْبَرَهُ :

أَنَّهُ كانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَفَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ ، قَالَ : فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سقَّاط وَلا صَاحِبِ بِيعَةٍ وَلا مِسْكِينٍ وَلا أَحَدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ : فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَيَوْمًا فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ فِي السُّوقِ وَأَنْتَ لا تَقِفُ عَلَى الْبَيِّعِ وَلا تَسْأَلُ عَنْ السِّلَعِ وَلا تَسُومُ بِهَا وَلا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ ؟ قَالَ : وَأَقُولُ اجْلِسْ بِنَا هَاهُنَانَتَحَدَّثُ ، قَالَ : فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ ، نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَا.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أبخل الناس من بخل بالسلام جاء في الحديث:أعجز الناس من عجز في الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام (صححه الألباني).

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم(صححه الألباني).

؛؛

٤٦- الاستئذان :

الاستئذان في اللغة هو طلب الإذن، والإذن من أَذِنَ بالشيء إِذْنًا؛ بمعنى أباحه، وعليه فإن الاستئذان هو: طلب الإباحة.

الاستئذان في الشرع فيعني: طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن.

حكم الاستئذان:

والاستئذان واجب على الناس إذا بلغوا الحلم، إن أرادوا دخول بيوت بعضهم، ولا يجوز للإنسان أن يدخل بيت غيره بدون إذنه لقول الله تعالى:

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{٢٧}النور

وذكر المالكية أن الاستئذان واجب وجوب الفرائض، فمن ترك الاستئذان فهو عاصٍ لله ورسوله.

صفة الاستئذان:

الأصل في الاستئذان أن يكون باللفظ، وصيغته المثلى أن يقول المستأذن: السلام عليكم، أأدخل؟

فعن ربعي بن خراس قال: حدثنا رجل من بني عامر قال: إنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال: أَلِجُ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟ فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذِنَ له فدخل.

فإن أذن صاحب الدار دخل وإن أُمر بالرجوع انصرف؟ لقوله تعالى:

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ{٢٨}النور

الاستئذان ثلاثا لا يزيد عليها وإن سُكِتَ عنه استأذن ثلاثًا ثم ينصرف بعد الثالثة. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي؛ فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع. فقال: والله لتقيمنَّ عليه بينة، أمنكم أحدٌ سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أُبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك.

ولا يزيد على الثالثة، سمعه أهل البيت أم لم يسمعوه. وإن سأله صاحب الدار من؟ أجاب باسمه الذي يعرفه صاحب الدار ولا يقول: أنا، لكراهة النبي صلى الله عليه وسلم هذه الإجابة.

هل يقوم قرع الباب ونحوه مقام اللفظ؟

ثبت في الأحاديث أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فدق عليه الباب ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فدل على المشروعية. وقد ذكر العلماء

أنه لا بأس بالاستئذان عن طريق ما تعارف عليه أكثر الناس اليوم من دق الأبواب وفي معناه دق الأجراس، مع تحري صاحب الدار ألا يكون في صوت الجرس موسيقى وألا يشبه جرس الكنيسة لنهي الشريعة عن مشابهة الكفار، واستحبوا أن يكون الدق خفيفًا بغير عنف.

أين يقف المستأذن؟

ينبغي على المستأذن أن يقف على صفة لا يطلع معها على داخل البيت في إقباله وإدباره.

عن هزيل بن شرحبيل قال: جاء رجل فوقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن مستقبل الباب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا عنك؟ فإنما الاستئذان من أجل النظر (رواه أبو داود وصححه الألباني).

تحريم النظر في البيوت بغير إذن أهلها:

إن البيت كالحرم الآمن لأهله، لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم في الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقاهم عليها الناس، ولا يحل لأحد أن يتطفل على الحياة الخاصة للآخرين سواء بالتنصت أو التجسس، أو اقتحام الدور ولو بالنظر من قريب أو بعيد.

فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن(صحيح الأدب المفرد).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: اطلع رجل من حجرة في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدري يحك به رأسه، فقال:

لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

واستأذن رجل على حذيفة فاطلع في داره وقال: أدخل؟ فقال حذيفة: أما عينك فقد دخلت وأما إسْتُك فلم تدخل.

الاستئذان على المحارم:

بيَّن المحققون من العلماء أن الرجل يلزمه أن يستأذن على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغين، وكذا عمته وخالته إن كانت تعيش معه في بيت واحد.

أطفالنا وأدب الاستئذان:

ذهب الجمهور إلى وجوب أمر الصغير المميز بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي هي مظنة كشف العورات، قال الله تعالى:

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ{٥٨}النور

وقد كان أنس بن مالك دون البلوغ يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك الصحابة مع أبنائهم وغلمانهم. أما إذا بلغ الأطفال الحلم فعليهم حينئذ الاستئذان كلما أرادوا الدخول.

تنبيه مهم:

إن هذا التأديب الإسلامي الرفيع أمر يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بما ينشأ عن التفريط فيه من صدمات نفسية، وانحرافات سلوكية، ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون لهذه الأمور، في حين يقرر علماء التربية وعلماء النفس أن وقوع عين الطفل على شيء من هذه العورات، أو اطلاعه على هاتيك الأحوال، قد يترتب عليه معاناة نفسية، واضطراب سلوكي لا تُحمدُ عقباه. وهذا يلفتنا إلى ضرورة حفظ تلك الأعين البريئة من كل ما يُلوِّث فطرتها النقية، ويجني على صحتها النفسية، ويهدد استقامتها الخُلُقية، سواء في ذلك داخل البيت أو خارجه، وسواء في ذلك أوقات العورات الثلاث أو غيرها؛ فالتفلت والتسيب الذي قد تتسم به بعض البيوت؛ حيث يحصل تساهل قبيح، بل إفراط مشين، في كشف الأبدان، والأحوال التي سماها القرآن الكريم "عورات" أمام الصغار، بحجة أنهم "لا يفهمون" كل ذلك مما يناقض الحِكَم

التشريعية السامية، التي ترمي إلى حماية هؤلاء الأطفال من التنبيه المبكر للغرائز وتعكير صفو الفطرة، وانحراف السلوك، وكم من حادثة مشينة كانت وليدة التقليد والمحاكاة، نتيجة الانحراف عن هذا الأدب الإسلامي السامي.

؛؛؛

رابعا :وإذا جئنا إلى ما نهى الإسلام عنه

لوجدناه في مصلحة الفرد والمجتمع وكلّ النواهي لحماية العلاقة بين الربّ والعبد وبين الإنسان ونفسه وبين الإنسان وبني جنسه . ولنأخذ هذه الأمثلة الكثيرة لتوضيح المقصود :

فقد جاء الإسلام :

بالنهي عن الشرك بالله وعبادة غير الله وأنّ عبادة غير الله تعاسة وشقاء .

والنهي عن إتيان الكهان والعرافين وعن تصديقهم .

والنهي عن السحر الذي يعمل للتفريق بين شخصين أو الجمع بينهما وعن الاعتقاد في تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس .

والنهي عن سب الدهر لأن الله هو الذي يصرفه والنهي عن الطيرة وهي التشاؤم .

والنهي عن إبطال الأعمال كما إذا قصد الرياء والسمعة والمن .

والنهي عن الانحناء أو السجود لغير الله .

والنهي عن الجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناسا بهم أو إيناسا لهم .

والنهي عن التلاعن بلعنة الله أو بغضبه أو بالنار.

والنهي عن البول في الماء الراكد.

والنهي عن قضاء الحاجة على قارعة الطريق وفي ظل الناس وفي موارد الماء .

والنهي عن استقبال القبلة واستدبارها ببول أو غائط.

والنهيأن يمسك الرجل ذكره بيمينه وهو يبول .

والنهي عن السلام على من يقضي حاجته .

ونهي المستيقظ من نومه عن إدخال يده في الإناء حتى يغسلها .

والنهي عن التنفل عند طلوع الشمس وعند زوالها وعند غروبها وهي تطلع وتغرب بين قرني شيطان .

والنهي عن الصلاة وهو بحضرة طعام يشتهيه وعن الصلاة وهو يدافع البول والغائط والريح لأن كل ذلك يشغل المصلي ويصرفه عن الخشوع المطلوب .

والنهي أن يرفع المصلي صوته في الصلاة فيؤذي المؤمنين.

والنهي عن مواصلة قيام الليل إذا أصابه النعاس بل ينام ثم يقوم وعن قيام الليل كله وبخاصة إذا كان ذلك تباعا .

والنهي أن يخرج المصلي من صلاته إذا شك في الحدث حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا.

والنهي عن الشراء والبيع ونشد الضالة في المساجد لأنها أماكن العبادة وذكر الله فلا يليق فعل الأمور الدنيوية فيها .

والنهيعن الإسراع بالمشي إذا أقيمت الصلاة بل يمشي وعليه السكينة والوقار.

والنهي عن التباهي في المساجد وعن تزيينها بتحمير أو تصفير أو زخرفة وكل ما يشغل المصلين.

والنهي أن يصل يوما بيوم في الصوم دون إفطار بينهما.

والنهي أن تصوم المرأة صيام نافلة وبعلها شاهد إلا بإذنه.

والنهي عن البناء على القبور أوتعليتها ورفعها والجلوس عليها والمشي بينها بالنعال وإنارتها والكتابة عليها و نبشها.

والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

والنهي عن النياحة وعن شق الثوب ونشر الشعر لموت ميت .

والنهي عن نعي أهل الجاهلية أما مجرد الإخبار بموت الميت فلا حرج فيه .

والنهي عن أكل الربا .

والنهيعن كلّ أنواع البيوع التي تشتمل على الجهالة والتغرير والخداع.

والنهي عن بيع الدم والخمر والخنزير والأصنام وكل شيْء حرمه الله فثمنه حرام بيعا وشراء.

والنهي عن النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها كما يحصل في كثير من المزادات .

والنهي عن كتم عيوب السلعة وإخفائها عند بيعها .

والنهي عن بيع ما لا يملك .

والنهي عن بيع الشيء قبل أن يحوزه.

والنهي أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يشتري على شراء أخيه وأن يسوم على سوم أخيه.

والنهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها وتنجو من العاهة .

والنهي عن التطفيف في المكيال والميزان .

والنهي عن الاحتكار.

ونهي الشريك في الأرض أو النخل وما شابهها عن بيع نصيبه حتى يعرضه على شريكه.

والنهي عن أكل أموال اليتامى ظلما .

والنهي عن الميسر والغصب .

والنهي عن أخذ الرشوة وإعطائها .

والنهي عن نهب أموال الناس.

والنهي عن أكل أموالهم بالباطل وكذلك أخذها بقصد إتلافها .

والنهي عن بخس الناس أشياءهم .

والنهي عن كتمان اللقطة وتغييبها وعن أخذ اللقطة إلا لمن يعرفها .

والنهي عن الغش بأنواعه .

والنهي عن الاستدانة بدين لايريد وفاءه .

والنهي أن يأخذ المسلم من مال أخيه المسلم شيئا إلا بطيب نفس منه وما أخذ بسيف الحياء فهو حرام .

والنهي عن قبول الهدية بسبب الشفاعة.

والنهي عن التبتل وهو ترك النكاح .

والنهي عن الاختصاء .

والنهي عن الجمع بين الأختين .

والنهي عن الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها .

والنهي عن الشغار وهو أن يقول مثلا زوجني ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتي أو أختي فتكون هذه مقابل الأخرى وهذا ظلم وحرام .

والنهي عن نكاح المتعة وهو نكاح إلى متفق عليه بين الطرفين ينتهي العقد بانتهاء الأجل .

والنهي عن وطء المرأة في المحيض وإنما يأتيها بعد أن تتطهر.

والنهي عن إتيان المرأة في دبرها .

والنهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك أو يأذن له .

والنهي أن تنكح الثيب حتى تستأمر والبكر حتى تستأذن .

والنهيعن التهنئة بقولهم بالرفاء والبنين لأنها من تهنئة الجاهلية وأهل الجاهلية كانوا يكرهون الإناث.

والنهي أن تكتم المطلقة ما خلق الله في رحمها .

والنهي أن يحدث الزوج والزوجة بما يكون بينهما من أمور الاستمتاع .

والنهي عن إفساد المرأة على زوجها .

والنهي عن اللعب بالطلاق

والنهي أن تسأل المرأة طلاق أختها سواء كانت زوجة أو مخطوبة مثل أن تسأل المرأة الرجل أن يطلق زوجته لتتزوجه.

ونهي المرأة أن تنفق من مال زوجها إلا بإذنه.

ونهي المرأة أن تهجر فراش زوجها فإن فعلت دون عذر شرعي لعنتها الملائكة.

والنهي أن ينكح الرجل امرأة أبيه .

والنهي أن يطأ الرجل امرأة فيها حمل من غيره .

والنهي أن يعزل الرجل عن زوجته الحرة إلا بإذنها .

والنهي أن يطرق الرجل أهله ويفاجأهم ليلا إذا قدم من سفر فإذا أخبرهم بوقت قدومه فلا حرج .

ونهي الزوج أن يأخذ من مهر زوجته بغير طيب نفس منها .

والنهي عن الإضرار بالزوجة لتفتدي منه بالمال .

ونهي النساء عن التبرج.

والنهي عن المبالغة في ختان المرأة .

والنهي أن تدخل المرأة أحدا بيت زوجها إلا بإذنه ويكفي إذنه العام إذا لم يخالف الشرع.

والنهي عن التفريق بين الوالدة وولدها.

و **النهي** عن الدياثة .

والنهي عن إطلاق النظر إلى المرأة الأجنبية وعن اتباع النظرة النظرة .

والنهي عن أكل الميتة سواء ماتت بالغرق أو الخنق أو الصعق أو السقوط من مكان مرتفع.

والنهي عن شرب أو أكل الدم .

والنهي عن أكل لحم الخنزير .

والنهي عن أكل ما ذبح على غير اسم الله .

والنهي عن أكل ما ذبح للأصنام .

والنهي عن أكل لحم الجلالة وهي الدابة التي تتغذى على القاذورات والنجاسات وكذا شرب لبنها.

والنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وأكل لحم الحمار الأهلي.

والنهي عن صبر البهائم وهو أن تمسك ثم ترمى بشيئ إلى أن تموت أو أن تحبس بلا علف.

والنهي عن الذبح بالسن والظفر وأن يذبح بهيمة بحضرة أخرى وأن يحد الشفرة أمامها .

النهي عن الإسراف في اللباس .

والنهي عن لبس الذهب للرجال .

والنهي عن التعري وعن المشي عريانا وعن كشف الفخذ .

والنهي عن إسبال الثياب وعن جرها خيلاء.

والنهي عن لبس ثوب الشهرة .

والنهي عن شهادة الزور .

والنهي عن قذف المحصنة .

والنهي عن قذف البريء وعن البهتان .

والنهي عن الهمز واللمز والتنابز بالألقاب والغيبة وا لنميمة والسخرية بالمسلمين

والنهي عن التفاخر بالأحساب.

والنهي عن الطعن في الأنساب .

والنهي عن السباب والشتم والفحش والخنا والبذاءة .

والنهي عن الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم .

والنهي عن الكذب ومن أشده الكذب في المنام مثل اختلاق الرؤى والمنامات لتحصيل فضيلة أو كسب مادي أو تخويفا لمن بينه وبينهم عداوة.

والنهي أن يزكي المرء نفسه

والنهي عن النجوى فلا يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه

والنهي عن لعن المؤمن ولعن من لايستحق اللعن .

والنهي عن سب الأموات .

والنهي عن الدعاء بالموت أو تمنيه لضر نزل به .

والنهي عن الدعاء على النفس والأولاد والخدم والأموال .

والنهي عن الأكل مما بين أيدي الآخرين .

والنهي عن الأكل من وسط الطعام وإنما يأكل من حافته وجوانبه فإن البركة تنزل وسط الطعام.

والنهي عن الشرب من ثلمة الإناء المكسور حتى لايؤذي نفسه .

والنهي عن الشرب من فم الإناء .

والنهي عن التنفس فيه وأن يأكل الشخص وهو منبطح على بطنه .

والنهي عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر .

والنهي عن ترك النار في البيت موقدة حين النوم .

والنهي أن يبيت الرجل وفي يده غمر مثل الزهومة والزفر.

والنهي عن النوم على البطن.

والنهي أن يحدث الإنسان بالرؤيا القبيحة أو أن يفسرها لأنها من تلاعب الشيطان.

والنهي عن قتل النفس بغير حق .

والنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر .

والنهي عن الانتحار .

والنهي عن الزنا.

والنهي عن اللواط .

والنهي عن شرب الخمر وعصره وحمله وبيعه.

والنهي عن إرضاء الناس بسخط الله.

والنهي عن نهر الوالدين وقول أف لهما .

والنهي عن انتساب الولد لغير أبيه .

والنهي عن التعذيب بالنار.

والنهي عن تحريق الأحياء والأموات بالنار .

والنهي عن المثلة وهي تشويه جثث القتلى.

والنهي عن الإعانة على الباطل والتعاون على الإثم والعدوان .

والنهي عن طاعة أحد في معصية الله .

والنهي عن الحلف كاذبا وعن اليمين الغموس.

والنهي أن يستمع لحديث قوم بغير إذنهم.

والنهي عن النظر إلى العورات.

والنهي أن يدّعي ما ليس له

والنهي أن يتشبع بما لم يعط وأن يسعى إلى أن يحمد بما لم يفعل.

والنهي عن الاطلاع في بيت قوم بغير إذنهم.

والنهي عن الإسراف والتبذير .

والنهي عن اليمين الآثمة والتجسس وسوء الظن بالصالحين والصالحات.

والنهي عن التحاسد والتباغض والتدابر.

والنهي عن التمادي في الباطل .

والنهي عن الكبر والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس والفرح والمرح أشرا وبطرا .

والنهي أن يعود المسلم في صدقتة ولو بشرائها .

والنهي عن استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره .

والنهي عن عدم العدل في العطية بين الأولاد.

والنهي أن يوصي بماله كله ويترك ورثته فقراء فإن فعل فلا تنفذ وصيته إلا في الثلث .

والنهي عن سوء الجوار.

والنهي عن المضارة في الوصية.

والنهي عن هجر المسلم فوق ثلاثة أيام دون سبب شرعي .

والنهي عن الخذف وهو رمي الحصاة بين أصبعين لأنها مظنة الأذى مثل فقء العين وكسر السن.

والنهي عن الوصية لوارث لأن الله قد أعطى الورثة حقوقهم.

والنهي عن إيذاء الجار .

والنهي عن إشارة المسلم لأخيه بالسلاح.

والنهي عن تعاطي السيف مسلولا خشية الإيذاء .

والنهي أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما.

والنهي عن ردّ الهدية إذا لم يكن فيها محذور شرعي .

والنهي عن الإسراف والتبذير .

والنهي عن إعطاء المال للسفهاء .

ونهي الناس أن يتمنى ما فضل الله بعضهم على بعض من الرجال والنساء.

والنهي عن إبطال الصدقات بالمن والأذى .

والنهي عن كتمان الشهادة .

والنهي عن قهر اليتيم ونهر السائل .

والنهي عن التداوي بالدواء الخبيث فإن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها.

والنهي عن قتل النساء والصبيان في الحرب.

والنهي أن يفخر أحد على أحد .

والنهي عن إخلاف الوعد.

والنهي عن خيانة الأمانة.

والنهي عن سؤال الناس دون حاجة .

والنهي أن يروع المسلم أخاه المسلم أو يأخذ متاعه لاعبا أو جادا .

والنهي أن يرجع الشخص في هبته وعطيته إلا الوالد فيما أعطى ولده.

والنهي عن ممارسة الطب بغير خبرة.

والنهي عن قتل النمل والنحل والهدهد.

والنهي أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة.

والنهي عن الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما .

والنهي عن جعل السلام للمعرفة وإنما يسلم على من عرف ومن لم يعرف.

والنهي عن جعل اليمين حائلة بين الحالف وعمل البر بل يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه .

والنهي عن القضاء بين الخصمين وهو غضبان أو يقضي لأحدهما دون أن يسمع كلام الآخر.

والنهي أن يمر الرجل في السوق ومعه ما يؤذي المسلمين كالأدوات الحادة المكشوفة.

والنهي أن يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يقعد فيه.

والنهي أن يقوم الرجل من عند أخيه حتى يستأذن .

إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي التي جاءت لسعادة الإنسان وسعادة البشرية ، فهل رأيتم أو عرفتم دينا مثل هذا الدّين ؟

وللاستزادة من المنهيات مع الدليل الشرعي لها يمكن تحميل كتاب (منهيات النبي صلى الله عليه وسلم) لمؤلفه أبو إسلام أحمد بن علي – على هذا الرابط:

http://saaid.net/book/open.php?cat=3&book=4755

قال الله تعالى فيقرآن العظيم : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ(٨٥) سورة آل عمران

وصلى اللّه تعالى وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

تم الانتهاء من هذا الكتاب بإذن الله تعالى ومشيئته

يوم السبت ١٤٣٦/٤/١١هـ الموافق ٢٠١٥/١/٣١م

ahmedaly240@hotmail.com

ahmedaly2407@gmail.com